عبدالمنعم المحجوب

سلالة شيشنق



الدار العربية للكتاب

هذا الكتاب

ضمن استراتيجية الدار العربية للكتاب في الاهتمام بماضي شمال أفريقيا وتاريخ العرب القديم، ننشر هذا البحث القيم عن الأسرة الثانية والعشرين المصرية، ومؤسسها الملك شيشنق الأول، وما يتصل بعهده من مفردات تاريخية أساسية، وهو من تأليف الدكتور عبدالمنعم المحجوب، وفيه يخلص المؤلف إلى نتائج تناقض ما عُرف من مسلّمات في تاريخ ليبيا القديم، منها:

■ شيشنق لم يكن من أصول ليبية، بل كان مصرياً من أصل أشوري، ويعني اسمه الأشوري «لوتس (سوسن) الوادي»، وكانت زوجته تدعى «كريمُت»، وهي صيغة تأنيث من «كريمو» الأشورية بمعنى النبيلة أو العزيزة.

■ لا يُعرف شيءٌ عن أسلاف شيشنق أبعد من جدّه «شيشنق الأكبر» في عهد پسوسنس الثاني، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، أما السلف الأول، وفق لوحة پاسن-حُر، واسمه بويوواوا، فهو اسم أسطوري لا حقيقة تاريخية له، وصفة «تحن» المضافة إليه لا تعني قبيلة «التحنو»، بل هو لقب يضاف إلى الأسماء بمعنى المشرق أو صاحب الإشراق، وكان ممّن حمله أمنحوتب الثاني ورمسيس الثالث.

■ لا شيء في المصادر القديمة يثبت أن المشوش أو الربو كانوا في ليبيا أو كانوا جزءاً من سكانها أو قبائلها.

■ استقر الربو في ليبيا منذ عهد رمسيس الثاني، وهم من البدو، ويماثل اسمهم كلمة «ربو» المصرية، و«لبو» الفينيقية، بمعنى أسد، دلالةً على الصحراء، كما يماثل كلمة «أليبي» المصرية، و«عريبي» الأشورية بمعنى عرب. وهم من منحوا ليبيا اسمها المعروف.

إن الدار العربية للكتاب إذ تنشر هذا البحث الذي يثير الجدل فإنها ترحّب بردود الباحثين العرب في إطار التعقيب والنقد وطرح الفرضيات العلمية البديلة، بعيداً عن الآراء المسبقة أو محض التصوّرات المتناقَلة، من أجل تقديم كل شيء على حقيقته.

الناشر

سلالة شيشنق

سلالة شيشنق

عبدالمنعم المحجوب

الدار العربيّة للكتاب

سلالة شيشنق

تأليف: عبدالمنعم المحجوب

**

الطبعة الأولى - 2024

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للكتاب

شارع عمر المختار، إدارة الكتاب، المطابع الحكومية – طرابلس

4 شارع محي الدين القليبي - 2092 المنار 2 – تونس

**

رقم الإيداع الوطني 282/7 - 2024

ر.د.م.ك ISBN 978-9959-822-14-7

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد

دار الكتب الوطنية - بنغازي

9090509 - 9096379 - 9097074

**

الغلاف: شيشنق الأول (وسط) يقدم قرباناً إلى آمون (يسار)، يرافقه ابنه إيوبوت (يمين). رسمٌ نسخه عالم المصريات الإيطالي نيكولا روزيليني عن معبد بوباستيس (تل بسطة).

في ذكرى
عثمان سعدي
ابن ثازبنت الكبير

اختصارات التوثيق:

ج. : جزء.

ش. : شكل.

ص. : صفحة.

م. : مرجع.

م. س. : مرجع سابق.

م. ن. : المرجع نفسه.

الفهرس

تمهيد 9

ملاحظات 17

1

سلالة شيشنق

تقديم 21

1. فرضية ومعطيات 25
2. الجد الأسطوري بويوواوا 31
3. عودة إلى أشور 41
4. شيشنق، الملك – السّوسن 47
5. عن «م» و«المشوش» 59
6. من هم المشوش إذن؟ 89

2

لوحة ونقش

1. لوحة پاسن حُر *Pꜣ-sn-Ḥr* 113
2. نقش ملك الملوك 131

3

مراجعة اسم ليبيا

1. المصدر المصري 144
2. المصدر الإغريقي 149
3. المصدر الفينيقي 151

4. مناقشة وتحليل 153
5. عودة إلى العرب 163
6. هذه الجغرافيا المرنة 174

فهرس الأشكال

1. تسلسل أبناء وأحفاد شيشنق الجد بين كهنة وملوك... 24
2. التسلسل الأسطوري والتاريخي في نسب الأسرة 22 38
3. خراطيش شيشنق وأبنائه 42
4. يوبوت ينبثق من زهرة اللوتس الأصلية 53
5. تحوت ناسخ الآلهة ومعت 75
6. تردّد اسمي ربو ومشوش في عهود الملوك المصريين ... 92
7. تحولات اسم المشوش من الأسرة 18 إلى الأسرة 20 102
8. النص الأساسي من لوحة پاسن-حُر 118
9. خط النَّسب في لوحة پاسن-حُر وفق پتري 123
10. خط النَّسب في لوحة پاسن-حُر وفق بريستد 126
11، الأسطر الأولى من نقش ملك الملوك، نسخة بلاكمان .. 140
12. نقش «أرض الليبيين» 157
13. جذور اسم ليبيا التاريخية وتحولاته اللغوية 158
14. أفارقة أم ليبيون؟ 160
15. الأطوار اللغوية في اسم ليبيا 174

تمهيد

أعرض في هذا التمهيد بعض الخلاصات كما استقرت لدي، ومنها كما يرى القراء ما يخالف آراءً كنتُ قد ذهبتُ إليها في مؤلفات سابقة. لن ألجأ هنا إلى سرد ما يبرّر هذا التحوّل، إنما أكتفي بالقول إن تضاعيف التاريخ أعمق غالباً مما يعدّه الباحثون «حقائق» صلبة بينما هي في الواقع محض تصوّرات تعوزها الشواهد، ما لم تسعفهم سير موازية Vitae Parallelae لا بد لهم من إثبات أصولها كلما أرادوا مقاربة الحدث التاريخي.

الصورةُ التي يحضُر بها اسم الليبيين في سجلات مصر القديمة محدَّدة سلفاً، ومرسومة بإتقان منذ أواخر القرن التاسع عشر. يعود الفضل في ذلك إلى الروّاد من قراء المتون المصرية الأوائل، وما بذلوه من جهود عظيمة في ترتيب أبجديات المعرفة التاريخية وأنساقها بعد سلسلة الاكتشافات الأثرية التي أعادت إحياء ركن حيوي مهم من ماضي الشرق الأدنى وكان قبل ذلك يقبع تحت الرمال، أو خلف جدار هيروغليفي منيع، نسياً منسياً.

بعد فكّ هيروغليفيات اللغة المصرية القديمة، وإعادة بناء السجلات المصرية العظيمة بدأت تتكوّن تدريجياً صورة الليبيين القدماء، على مراحل متفاوتة، ضمن أربعة نماذج رئيسية:

النموذج الأول: الليبيون، وهم قبائل بدائية من سكان الصحراء الكبرى

وشمال أفريقيا، مهّدوا مع أقوام أخرى من الصحراء الشرقية والجنوب (صحراء السودان) للاستقرار في مصر القديمة التي خرجت من العصر الجليدي الأخير منذ 10.000 عام، وتحوّل شمالها من مستنقع كبير غير صالح للتوطّن إلى أرض جفّت تدريجياً وأصبحت مؤهلة للاستيطان، فهاجروا إليها بعدما صاروا يعانون من آثار الجدب والجفاف في مواطنهم الأصلية، وهناك استقروا وصنعوا ما يُسمّى بثقافات مرمدة بني سلامة (الدلتا) والفيوم والبداري ونقادة، فكانوا بذلك جزءاً من طبقة مؤسّسة lower stratum في بناء الحضارة في مصر القديمة قبل زمن الأسرات.

النموذج الثاني: الليبيون كانوا يتوطنون الدلتا منذ زمن ما قبل الأسرات، وتركّز وجودهم في جزئها الغربي، ولهم هناك ممالك متعاقبة، وهم الذين سعوا أولاً إلى توحيد أقاليم مصر الأربعة، ثم شطريها الأعلى والأسفل، وما زال عدد قليل من الدلائل النصية والأيقونية يدلّ على ذلك، بينما فُقدت غالبية الدلائل أو طمرها طمي الدلتا، ربما إلى الأبد.

النموذج الثالث: الليبيون قبائل متفرقة عاشت غرب النيل، كانت تتسلّل إلى مدن مصر أو تغير على مدن وأرباض الوادي، وغالباً ما كانت تحاول استيطان مصر سلماً، ثم تحالفت مع «شعوب البحر» وقادتهم في محاولة غزو مصر عنوةً.

النموذج الرابع: الليبيون الرحّل الذين توطّن أسلافهم مصر، أو وُطّنوا فيها، تمصّروا تدريجياً، أو صاروا مصريين في نهاية مطافهم، ومن بين أحفادهم ظهر كهنةٌ وقادةٌ استطاعوا الارتقاء إلى عرش مصر مع شيشنق الأول، ثم ورثته.

هذه النماذج الرئيسية، وثمة نماذج أخرى فرعية، شكّلت صورة الليبيين في علم الدراسات المصرية، وقد كانت متساوية تقريباً من حيث

الاهتمام بها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما كان كل اكتشاف أثري جديد يعدّ فتحاً علمياً في قراءة التاريخ القديم، إلا أن النموذجين الأول والثاني تواريا تدريجياً أمام إبراز النموذج الثالث والتركيز عليه بحثياً، دون أن يُذكَرا غالباً إلا بإشارات قليلة أثناء الحديث عن مراحل ما قبل التاريخ في مصر. وكان التركيز ضمن هذا النموذج قد اتجه مؤخراً إلى الإشادة بالأساليب والأدوات والخطط العسكرية التي تطوّرت من كونها موضوع «حدث» تاريخي قديم حتى صارت «استراتيجية فرعونية دائمة» صانت كيان مصر يليق بها أن تكون دليلاً خالداً (أشير هنا إلى انعطافات الغاية من البحث العلمي وتحوّلها إلى نوع من الرغبة في انعكاس الحاضر على الماضي، أو سحب تصوّر لاحق على وضع سابق)، ولا يخلو الأمر في مثل هذه الظاهرة من تصورات مسبقة مضفاة على هذا النموذج الذي صار تناوله مجرّد تنويع على توظيف الشواهد والسجلات نفسها، المعروفة منذ بداية القرن العشرين، دون جديد.

أما النموذج الرابع فقد انكفأ إلى عكس ما كان عليه منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين، إذ غالباً ما ذُكرت الأسر 22، 23، 24، في البداية بوصفها أساس مرحلة اضطراب في تسلسل الأسر المصرية المنتظم، ثم توافق الباحثون على وصف هذه المرحلة بـ«الفوضى الليبية» ضمن الفترة الانتقالية الثالثة. بينما كانت تلك الأسر قبل ذلك تُحسَب أشورية الأصل على الأغلب، أو عيلامية الأصل أحياناً. ولكن الأمر استقر على أنها ذات أصل ليبي في نهاية المطاف.

وهكذا، فإن دفق البحوث في علم المصريات وتواتر الآراء، قد انتهى إلى صورة عامة في ما يتعلق بتاريخ الليبيين القدماء في مصر، ووَجَد في النموذجين الثالث والرابع ما يغذّيه ويدعم تواصله حتى نهاية الفترة

الإنتقالية الثالثة، على إننا لا نعثر بعد ذلك على شيء تقريباً يشير إلى الليبيين، مع إهمال النموذجين الأول والثاني تماماً.

لقد سرتُ في مؤلفات سابقة، مثل «ليبيا القديمة»، على نحوٍ دارجٍ في دراسة التاريخ القديم، ولم يخامرني الشكّ قط في هوية الأسر «الليبية» أو صحة تسلسلها وتصنيفها، كما استقرّت في علم الدراسات المصرية، لكن الشواهد والدلائل الأثرية، النصية والنقشية والأيقونية، لا تقول على اليقين بهوية هذه الأسر، ولا تؤكّد فرضية الأصل الليبي، بقدر ما تشير إلى بدائل أخرى أكثر وضوحاً وثباتاً، وهي تؤيد الشكّ، لا في انتماء تلك الأسر فقط، بل أيضاً في صحة الأدوار الليبية في تاريخ مصر القديم برمته، بدءاً بظهور قبيلتي ربو Rbw ومشوش Mšwš في المصادر المصرية. وكان في ذلك بمرور الوقت ما يكفي بالنسبة لي لإعادة إحياء فرضية الأصل الآشوري، لا عن طريق إعادة توظيف شواهدها القديمة ودلائلها النصيّة فقط، بل باللجوء أيضاً إلى إعادة قراءة مفرداتها المؤسّسة، وعلى رأسها أسماء الملوك، ثم أسماء القبائل، والتدقيق في ما تقوله السجلات المصرية عن ذلك.

**

بالعودة إلى النماذج الرئيسية الأربعة، يمكننا القول بأن الحضور الليبي في مصر قديم جداً، بدأ من التشكّلات الحضارية الأولى، كما في نقادة والفيوم عندما كان تكوين مصر يعتمد على قبائل متناثرة، وسطاً وشرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، واستمر إلى عصر ما قبل الأسرات عندما أخذت مصر ملامحها التاريخية المبكرة (النموذج الأول)، ومن الثابت أن أولى محاولات توحيد شطري مصر قد بدأت من شمالها على يد ملوك الدلتا عندما كان غرب الدلتا موطن التحنو القادمين من غرب النيل (النموذج

الثاني). هذا في الواقع هو معظم ما يتعلّق بوجود الليبيين في مصر، أما القول بتحالف القبائل الليبية مع شعوب البحر، وقيادة هذه «الشعوب» إلى غزو مصر (النموذج الثالث)، أو تكوّن أسر «ليبية» حاكمة ارتقى قادتها عرش مصر (النموذج الرابع) فهو بالنسبة لي مجرد وهم من أوهام التاريخ الليبي القديم. إن صورة الليبيين القدماء في علم الدراسات المصرية الحالية «معكوسة» تماماً؛ فالنموذجان (1) و(2)، هما الأساس، بالرغم من إهمالهما وعدم إيلائهما ما يستحقان من بحث ودراسة. أما النموذجان (3) و(4) فهما مجرّد مظهر من مظاهر توافق الباحثين وتواضعهم على سياق متعارف عليه يُبرزون فيه الليبيين في صورة غزاة ومخرّبين أو في صورة مَعْزَل getto تاريخي كأنهم عرق مختلف عن المصريين الذين يحيطون بهم، وقد صارت هاتان الصورتان «لازمة تقنية» في سياق الإجماع العلمي Scientific consensus يتمكّن بها بعض الباحثين من إدراج أعمالهم في ذلك الصرح العميق الذي صنعه علم المصريات، ولكن أعمالهم لا تعدو أن تكون بحوثاً نظرية أقرب إلى التأملات والانطباعات التي لا علاقة لها بقراءة وتصنيف الأصل الأثري وتحليل دلالاته.

إننا نعثر في النموذج الثالث على الشماليين الذين «جاؤوا من كل مكان»، كما يقول الأثر المصري، وهم من نسميهم الآن «شعوب البحر»، فبعضهم ممن عرفنا، وبعضهم ممن لم نعرف، ولا نعثر في النموذج الرابع سوى على «مصريين» تميزهم خصائص ثقافية هامشية ضمن محيط ثقافي شامل ذي سمات قياسية عامة، لغوياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً، حتى وإن قيل بأصلهم غير المصري. لا يتعلّق الأمر بالليبيين القدماء في النموذجين الثالث والرابع، على العكس مما هو دارجٌ بين الباحثين، ومن غير الممكن أن نفهم وجود «الليبيين» في مصر دون العودة إلى النموذجين الأول والثاني وإعادة بحثهما والتركيز على شواهدهما الأثرية، أما ما بعدهما فإننا نجد

الليبيين مع القرن العاشر قبل الميلاد، لا في مصر التي انصهر في بوتقتها من كان قد لجأ إليها منهم وانتهى تمييزهم بمرور الوقت، بل في غرب النيل بأسماء ومكوّنات عرفها العالم عن طريق الإغريق، وكانت في صورة قبائل وأقوام متفرقة تنتشر على امتداد شمال أفريقيا، دون أن يكون لغير بعضهم في أقصى شرق ليبيا القديمة صلة بمصر والمصريين.

**

وجود الليبيين في مصر لا يقتصر على النماذج الأربعة السابقة، هناك نماذج فرعية أخرى كما ألمحت، فالليبيون –أو ذوو الأصل الليبي، أي القادمون من غرب النيل– كانوا في مصر دائماً في جميع مراحل تاريخها القديم، لكن ما الصفة التي يمكن إلحاقها بهم؟ إنهم مصريّون، في وقت لم يكن فيه أحدٌ يعي شيئاً عن «ليبيا»، لأنها ببساطة لم تكن قد سُمّيت بعد، بينما كانت مصر القديمة تمتدّ غرباً وجنوباً إلى حيث تصل مصالح شعوبها وسيطرة جنودها.

لقد مثّلت مجموعتا التحنو والتمحو وحدهما من يمكن أن نسميهم «ليبيين» في مصر، وكان تمييز أسرة ما، أو أفراد من أسرة، في بعض الأحيان بلقب «تحنو» أو «تمحو» يشير إلى خصائص ثقافية في الأساس، أو يتصل بسمات أنثروبولوجية، دون أن ينفي ذلك انتماء المسمّى إلى كيان مصر نفسها. كما كان تغلغل بعض الأسر ذات الأصل «الليبي» في الأسر الحاكمة أمراً شائعاً في العديد من الأسر المصرية، ومن أمثلة ذلك الملكة أحمس التي عرفت بلقب «أميرة التمحو» (أحمس خنت تمحو *ʾIḥms ḫnt Tmḥu*)، وكانت حفيدة ملك وابنة ملك وأخت ملك وزوجة ملك وأم ملكة، فأمها هي «أنحابي» التي وُصفت في حجر باليرمو بأنها «ابنة ملك» من ملوك الدلتا، وقد اقترن بأنحابي الملك أحمس الأول، فأنجبا الأميرة أحمس، وهي أخت

الملك أمنحوتب الأول، غير الشقيقة، ثم اقترن بأحمس الملك تحوتمس الأول، فأنجبا حتشبسوت التي أصبحت الملكة الخامسة في الأسرة الثامنة عشرة.

لكن بأي قدر نستطيع أن نصف التحنو والتمحو في مثل هذا الانصهار الاجتماعي بأنهم «ليبيون»؟ لقد كانوا مصريين بكل ما للكلمة من معنى، ومن العبث وصفهم بغير ذلك، لأن أرض التحنو وأرض التمحو لم تكونا سوى جزء من مصر نفسها، وإن تميزتا ثقافياً أو اتسمتا بأعراف وتقاليد خاصة بهما. أما عندما نميّز التحنو والتمحو بأنهم «ليبييون» فذلك لا يعني أكثر من أن أصولهم تعود إلى غرب النيل، دون أن نغفل اسميهما اللذين كانا مصريين تماماً، وأن الانفصال الجغرافي والتميّز الاثني لم يُعرف إلا بعد ذلك بوقت طويل، أي عندما انتهى تمييز التحنو والتمحو عرقياً في المصادر المصرية، دلالةً على انصهارهم الكامل في المجتمع المصري القديم، وبدأ الدور الحضاري الإغريقي الذي قسّم مصر وشمال أفريقيا إلى كتلتين مختلفتين بوضوح، وحَدَثَت «ليبيا».

من الدّارج القول بأن اسم ليبيا بدأ مع الإغريق، اشتقاقاً من اسم قبيلة ربو (ليبو)، للدلالة على عدد من الكيانات القبلية المتفرقة. هنا علينا أيضاً أن نواجه وهماً آخر من أوهام التاريخ الليبي القديم، وأساس ذلك الشكّ في صحّة اشتقاق الاسم، وما يتطلبه ذلك من مقارنة بين المصادر المصرية والإغريقية والفينيقية، وما إذا كان كيان ليبيا القديمة مرتبط حقاً بتلك القبيلة ذات الأصل المجهول، أم أن هناك مسارات متداخلة، بعضها مما نعرف، وبعضها مما لا نعرف.

إن جزءاً من تاريخ ليبيا القديم هو محض خرافات «علميّة» صارت كأنها أسسٌ عميقة بُتَّ فيها القولُ فلا تُراجَع ثانيةً، ويعود ذلك بالطبع إلى ما

حدث من فوضى واضطراب في فهم وتصنيف القبائل والأقوام الليبية منذ بداية علم الدراسات المصرية، حتى صار الباحثون يستخدمون كلمة «ليبيا» أو صفة «ليبي» دون تردّد أينما ورد اسم من أسماء تلك القبائل التي ترتبط بغرب مصر، أو تأتي منه، أو تتصل به. وقد أدّى ذلك إلى فهم مشوّش ومعرفة مضطربة بتاريخ ليبيا القديم، يستوي في ذلك الكثير من نصوص الرواد الأوائل وغالبية الباحثين المتأخرين. لا سبيل إلى تجاوز هذه الإشكالية دون العودة إلى المصادر المصرية كما دوّنتها الشواهد النصيّة والنقشية الهيروغليفية. لا نُدحة عن العودة إلى الأسماء القديمة في مضانها الأصلية وإعادة نقحرتها قياساً على صيغها الأولى، ثم تقويم صورتها في ماضي ليبيا القديم، إثنياً وجغرافياً وتاريخياً.

ملاحظات

- عمدتُ في هذا البحث إلى إعادة توظيف نظرية المقاطع الجذرية لاستظهار دلالة أهم أسماء الأسرة الثانية والعشرين، أي شيشنق وسلفه الأول، وتحليل الملامح المشتركة في التواصل الآفروآسيوي بين مصر وآشور. ذلك أن أسماء الأعلام مفردات لغوية ذات دلالات محدّدة، ترد بأصلها أو على الاشتقاق. للاطلاع على نظرية المقاطع الجذرية، انظر: «ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية».

- اعتمدت، دلالةً وتأثيلاً، في جميع الكلمات المصرية القديمة التي ترد بخط هيروغليفي في هذا الكتاب على معجمي والاس بدج وريموند فوكنر، بشكل أساسي، كما نقلت عنهما جميع العلامات الهيروغليفية، باستثناء نزر يسير كتبتُه. أما الكلمات الآشورية فمرجعها «معجم شيكاغو»، بينما عدت في الكلمات السومرية إلى كتابي «المعجم السومري».

- أعدت ترجمة لوحة پاسن-حُر بالاستعانة بنص اللوحة كما أورده غاردنر في «سجلات مصر القديمة، ج. 3» (1906)، وريتنر في «الفوضى الليبية» (2009)، مقارنةً برسمها الهيروغليفي كما نشره فلندرز پتري في «تاريخ مصر، ج. 3» (1905)، مع الاستعانة بترجمة نشرها سليم حسن في «مصر القديمة، ج. 5» (1952).

- ختمتُ البحث بترجمة نقش «ملك الملوك» الذي كان بروغش قد ترجم نصّه الهيروغليفي ثم نشره في «تاريخ مصر في ظل الفراعنة»، ولأنني أعتمد في هذا البحث على منهج محدّد هو التحليل اللغوي، فلم أوظّف نص

هذا النقش لإثبات فرضية الأصل الأشوري، بل اكتفيت في الختام بطرح ما يثيره من أسئلة أولية، خاصة وأنه قد تنوسي تماماً، وعدّ من الشواهد القديمة غير المثبَتة في «أرشيف» المصريات، كأن ذلك يلغي أهميته أو يشكّك في محتواه، وكما هو واضح الآن فقد صار من النادر أن نجد من يشير إليه في الدراسات المصرية أو الأشورية.

- بالاستناد إلى ما خلصت إليه من «سيرة موازية» في تتبع الأسرة الثانية والعشرين، أعدتُ بناء صورة الأدوار المنسوبة إلى قبيلتي المشوش والربو، وقد أدرجتُ ذلك في الجزء الأخير من الفصل الثاني، وفي الفصل الثالث الذي خصّصته لمراجعة اسم ليبيا.



سلالة شيشنق

تقديم

يحيط بالفترة الانتقالية الثالثة في مصر غموض كبير، وخاصةً في ما يتعلق بالأسر 22، 23، 24، فعلماء المصريّات لم يسلّموا لفترة طويلة بأن هذه الأسرات ذات أصل ليبي، ومال أكثرهم إلى عدّها متمصّرة تماماً، بغض النظر عن أصلها، بينما ركّز بعضهم على ما صار يسمّى «الفوضى الليبيّة» تعبيراً عن تشظّي وعدم انتظام الفترة الانتقالية الثالثة التي سيطر فيها «مرتزقة ليبيون» على عرش مصر،[1] أما الذين تشبثوا بفرضية الأصل الليبي المحض فلجؤوا إلى ما أمكنهم من شواهد تؤكّد أن ملوك تلك الأسرات إنما كانوا ينتمون إلى أسر ليبية توطّن أسلافها مصر، فكان منها الكهنة الكبار والقادة العسكريون ورؤساء القبائل، قبل أن يتولّوا حكم مصر على مدى عدة أسرات.

1. من بين الأعمال المبكرة التي تناولت أسر الفترة الانتقالية الثالثة مقال جين يويوت J. Yoyotte الذي نشره سنة 1961 بعنوان «مقاطعات الدلتا في زمن الفوضى الليبية، دراسات في التاريخ السياسي» *Les Principautés du Delta au temps de L'anarchie Libyenne, Études d'histoire politique* وتوالت المقالات والأبحاث التي تشير، عرضاً أو على نحو أساسي، إلى هذه الفترة، وتسبغ عليها طابعاً ليبياً محضاً، كان من بينها مقال أنتوني ليهي A. Leahy بعنوان «الحقبة الليبية في مصر» *The Libyan Period in Egypt*، سنة 1985، وفيه دعى إلى تسمية الفترة الانتقالية الثالثة باسم «الحقبة الليبية»، وقد تكلّل نداءه هذا بعقد مؤتمر دولي سنة 2007 في جامعة ليدن الهولندية تحت العنوان نفسه، أي «الحقبة الليبية في مصر»، ثم صدر كتاب ر. ريتنر R. Ritner «الفوضى الليبية» *The Libyan Anarchy* سنة 2009.

سوف نعيد طرح موضوعة الأصل هذه بإعادة التفكير في معطياتها الأساسية وما يرفدها من شواهد أثرية ومتون مصرية، مع عقد ما يتطلبه ذلك من مقارنات أساسية، إلى أن نخلص إلى ما يمكن أن نسميه سيرة موازية vita parallela تختلف، كلياً أو جزئياً، عمّا هو سائد في فرضية الأصل الليبي الذي مُيّز به الملك شيشنق وخلفاؤه.

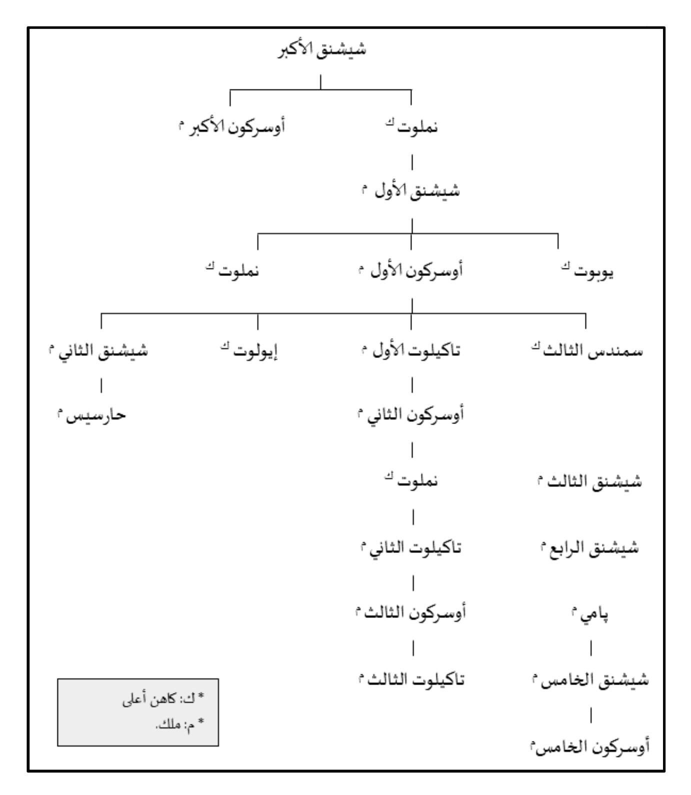
يشير روبرت ريتنر R. Ritner في كتاب خصّصه لنصوص ونقائش العصر الانتقالي الثالث بعنوان «الفوضى الليبية» The Libyan Anarchy إلى أن الاعتراف بالطابع الليبي الذي وسم هذا العصر قد كان على نحو تدريجي، فباحثو الأجيال الأولى من علماء المصريات اعتقدوا أنهم وجدوا في الأسماء غير المصرية التي اتخذها الحكّام آنذاك دليلاً على وجود سلالة رافدينية أو عيلامية، حيث رأوا في اسم أوسركون Osorkon تحويراً من اسم سرغون Sargon، وفي تاكيلوت تحويراً من تيغلاث Tiglath، وفي نملوت Nimlot تحويراً من نمرود Nimrod، كما اعتقدوا أن اسم شيشنق يعني «رجل من شوشان» Shushan (أي سوسة Susa)، وأن اسم إيويلت (أوروت) Iuwelt (Aorot) تحوير من الاسم البابلي أردو Ardu. وهكذا لم يتم الإجماع على الهوية الليبية لهذه السلالة حتى عام 1908، وهو يخلص من ذلك إلى أنه إذا كان الأصل الليبي للأسر 22، 23، 24 قد تم الاعتراف به صراحةً فإن عناصر ليبية محتملة في الأسر الحاكمة من الأسرة 21 إلى الأسرة 26 كانت موجودة دائماً ولكنها لا تُذكر على الأغلب لاندماجها في أسر غير ليبية. مؤكداً أن «الروابط العرقية» التي ميّزت الأسرة 21 أصبحت واضحةً جليّة عن طريق نشر نقائش معبد خونسو Khonsu التي كشفت عن أسماء ليبية سُمّي بها أطفال مؤسسي طيبة، وأن هذه الروابط ظهرت من الأسرة 22 حتى الأسرة 24 ، كما وُجدت كذلك في الأسرة 26 التي حُدّدت أصولها الليبية، ولكن هذه المسألة كانت عرضة للتجاهل بالنسبة إلى الباحثين، كما إنها

كانت دائماً تحت تأثير نوع من «التعميمات الرسمية» التي تتمحور حول سلطة الملك على أرض مصر وسكانها، فلم تولَ إلا القليل من الاهتمام، وقد خصّص ريتنر لإثبات ذلك كتابه المشار إليه،[1] وهو شكل من إعادة التأثيث الشاملة لولا أن أسئلة الأصل التي أثيرت وتثار حول الأسر الليبية الحاكمة لا يبدو أنها قد انتهت حقاً.

هذا ،إذن، بحث تطبيقيّ نهدف من ورائه إلى إثبات أن ما يَدْرُج الباحثون والمؤرخون على عدّه «حقيقةً» كاملةً باتّةً قد لا يصمد أمام المراجعة وإعادة النظر بإعمال أدوات منهجية جديدة لم تُستخدم سابقاً، أو أدوات قديمة لم يُستوفَ العمل بها، وأن كل «حقيقة» تاريخية تقبل بقدر أو بآخر أن تكون موضع شكّ كلما توفّرت معطيات نقدها ونقضها، وما لم نقرأ ذلك جيداً ونفسح المجال أمام كل سؤال جديد فإننا لا نقوم سوى بمراكمة أوهام التاريخ والبناء عليها؛ وعلى الاختصار: الدرس التاريخي في مجمله ينحو إلى المقاربات واستخلاص النتائج مما تتيحه الشواهد الأثرية الصريحة، وهي عملية مركّبة بالغة التعقيد لا تنتهي أحياناً. فلا يجب الركون إلى توافقات الباحثين وتواضعات الدارسين في بعض المسائل على نحو يقيني باتّ، وإن كنّا نستطيع أن نستأنس بها في فهم المسارات العامة والسرديات الكبرى. وقائع التاريخ القديم لم تنته بعدُ، وبعضها لن ينتهي أبداً!

---

11. ترجم ريتنر في «الفوضى الليبية» The Libyan Anarchy (2009) نقائش معبد خونسو الكبير (جنوب الكرنك) وسلاسلها النّسابيّة (الجينالوجية)، ويعتمد بالدرجة الأولى على ما ورد في كتاب ك. أ. كيتشن K. A. Kitchen's الذي نشر عام 1973 والمعنون: الفترة الانتقالية الثالثة في مصر The Third Intermediate Period in Egypt ضمن هدف أساسي هو إعادة بناء التسلسل الزمني للأسرات 21 إلى 25، ووضع إطار تاريخي لما يقارب خمسة قرون من التاريخ المصري يثبت فيها أن هذه الفترة لم تكن «فوضوية» ومن الخطأ بالتالي اعتبارها فترة انتقالية.



ش. 1: تسلسل أبناء وأحفاد شيشنق الجد بين كهنة وملوك

1

فرضية ومعطيات

درج الكثير من الباحثين وقراء المتون المصرية في بداية القرن العشرين على ردّ شيشنق إلى أصل ليبي لأسباب واضحة سوف نناقشها في هذا البحث، حتى إنهم ألفوا الأمر بعد أن كان مثار جدل كبير، ثم صار خبراً يقيناً، أو في حكم اليقين، لا يأبه أحد منهم بالتفكير في إعادة بحث أسبابه وتفحّصها.

لكننا على طرف نقيض من ذلك نجد أن الكثير من الدراسات والأبحاث قد خُصّصت لإثبات الأصل الأشوري، لعلّ أبرز من تصدّرها كان عالم المصريات الالماني هاينريش بروغش H. K. Brugsch (1827– 1894) الذي أكّد في أحد أشهر مؤلفاته (تاريخ مصر في ظل الفراعنة)[1] صلة مصر بآشور من واقع الشواهد الأثرية والنقوش المصرية، وقد أوردتُ عنه نقش «ملك الملوك» الذي ترجمه عن المصرية القديمة ترجمةً تختلف كلياً عمّا نراه سائداً في الدراسات التاريخية الآن (انظر نص النقش في الفصل الثاني)، وبسبب هذه الترجمة تلقى بروغش الكثير من الانتقادات التي شكّكت في دقتها، إلا أن ما ميّزه فعلاً هو اعتماده تلقائياً على الصلة بين اللغتين المصرية القديمة والآشورية على نحو متّصل، ومثل هذا التعويل في

---

1. انظر:

Henry Brugsch; *History of Egypt under the Pharaohs*, II. Trans. and ed. by Philip Smith, London, John Murkay, 1881

وقت مبكّر على وحدة البناء اللغوي الأفروآسيوي وإدراك الصلة بين منظومتين لغويتين (كانتا منفصلتين وفق التصنيف السائد آنذاك) يدلّ على رؤية ثاقبة لم يقع تأكيدها إلا بعد زمنه بعقود.

مثال آخر، كان الكيميائي-الآثاري الأمريكي دونوڤان كورڤيل Donovan Courville (1901 – 1996) أيضاً ممن أخذوا بفرضية الأصل الأشوري، ويقول أن هوية الأسرة 22 الليبية «مغالطة»[1] واضحة، وهو يتّخذ الأصل الأشوري أساساً لإثبات فرضية أخرى تتمثل في أن شيشنق الأول Ššnq ليس هو شيشك שִׁישַׁק التوراتي، ويشدّد بكل وضوح في كتابه «مسألة الهجرة وتداعياتها»، قائلاً: «يجب التخلي عن نظرية الأصل الليبي... فهذه السلالة أشورية الأصل، ولابد من [إعادة] نِسبتها إلى الزمن الذي اتسمت فيه آشور بحضور سياسي في تاريخ مصر أتاح لها التدخل هناك، وكان ذلك في أواخر عهد أسرحدون ثم في عهد أشوربانيبال... أي إن ذلك كان في القرن السابع ق.م. وليس في القرن العاشر ق.م. في زمن رحبعام... ولأن سيطرة أشور على مصر في ذلك الوقت لم تكن كاملةً، فقد نتج عن ذلك أن الأسرة الثانية والعشرين لم تكن تحكم مصر وحدها، بل حكمت بالتزامن مع أسرة أخرى، سواء تضمّنت أشوريين أم لا».[2] ويستشهد كورڤيل بنص «ملك الملوك» كما ترجمه بروغش، ليقول أن ملكاً أشورياً اسمه پلاشنس Pallashens (أو پلا شنيسو Palladhnisu) جاء إلى مصر ليعاين قبر ابنه الذي مات في مصر في الحملة السابقة، وكان اسم هذا الأمير نمرث، وهو الذي عادله بروغش باسم نمرود، وكانت أمه مصرية تحمل اسم متح.ن.وسخ Muthenusekh»، ويضيف: «مع إعادة احتلال مصر، بقيادة أحد ضباط أشوربانيبال، تم

1. Courville 1971, 314.
2. Ibid.

تعيين ابن نمرث هذا ملكاً على مصر، وكان اسمه شيشنق».[1]

ثمة أمثلة كثيرة أخرى، وأسماء باحثين على قدر كبير من الأهمية في الدراسات التاريخية ممن أخذوا بالأصل الأشوري في الأسر 22–24 (فلندرز پتري مثلاً، وسوف نتعرّف على آرائه المميزة لاحقاً)، ولكنني أوردت هذين المثالين البارزين معاً لارتباطهما بنقش «ملك الملوك» الذي أنشره في ختام هذا البحث، معتبراً عمل بروغش على نحو خاص مقدّمةً قادت –وإن بشكل غير مباشر– إلى الكثير من النتائج الحاسمة في وقت لاحق، أبرزها ظهور التصنيف الأفروآسيوي، والجمع بين اللغتين المصرية والآشورية، والفصحى ضمناً، وهو مسار علمي دقيق استغرق قرناً من الزمان، وكان قد مهّد له آرون إمبر Aaron Ember (1900)، وبدأ فعلياً بمعجم أحمد كمال (ت. 1923)، وكُلّل في نهاية القرن العشرين بأبحاث علي فهمي خشيم (ت. 2011).

هذان المثالان، على وجه العموم، أي بروغش وكورڤيل، يشيران إلى ما كان يحيط «تجنيس» الأسر 22–24 من جدل في أوساط البحث التاريخي، سواء المصري أو الأشوري أو التوراتي، ولكنني لا آخذ هنا بما يتبنيانه من معطيات، إذ إنني أطرح في هذا البحث وجهة نظر مختلفة، حيث أقول بصحّة الفرضية الأشورية من ناحية، وأقدّم من ناحية أرى دليلاً جديداً يعتمد على التحليل اللغوي-التاريخي المقارن، بالعودة إلى اللغات الأفروآسيوية، المصرية والأشورية والسومرية والبربرية، مع الاستفادة من السجلات الكوشية، ضمن حدود تصوّرٍ منجَزٍ كنتُ قد رسمت إطاره منذ أكثر من عشرين سنة،[2] يتلخّص في ضرورة فهم الأنساق المشتركة في

---

1. Ibid., 315-316

2. انظر كتابي: ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية، دار تانيت طرابلس-تونس 2008، دار الكتب العلمية، بيروت 2012.

خريطة التواصل الأفروآسيوي القديم، لغوياً واجتماعياً ومعتقدياً واقتصادياً، لكي نتمكّن من فهم التفاعلات التاريخية في مجمل الأويكومين الأفروآسيوي، مثمثلاً في حوضيه الرئيسيين، وادي النيل وبلاد الرافدين، وهي رؤية قد تلتقي أو تختلف مع آراء سائدة كثيرة، قديمة وحديثة، ولكنها تبدو بالنسبة لي متماسكة بقدر كبير.

لقد نُسبت الأسرة الثانية والعشرون إلى أصل أشوري أولاً، ثم إلى أصل ليبيّ، وأثارت الفرضية بشقيها جدلاً كبيراً بين الباحثين، على أن هذا الجدل لم ينته سوى مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين، بعد عقود من الأخذ بالفرضية الأولى، ثم جرى الاتفاق على إقرار الفرضية الثانية، للأسباب أو الحجج الرئيسية التالية:

1. أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، بدءاً بشيشنق، ليست أسماء مصرية، وكذلك جدّ شيشنق الأول «بويوواوا»، ثم الذي يليه «ماواسان».

2. وُصِفَ ملوك الأسرة الثانية والعشرين بأنهم «زعماء المشوش». ومثلما يُرى في انتقال التعبير عن الليبيين أو السكان الغربيين باسم قبيلة من القبائل (التحنو، التمحو، الليبو)، يبدو أن اسم المشوش في عهد الأسرة الحادية والعشرين وما يليها أصبح دالاً بدوره على جميع الليبيين.

3. اتفق الباحثون على أن لقب «زعيم مَ» (أو مّ) The chief of Ma / Me الذي يرد كثيراً في النصوص المصرية بدءاً بالأسرة الثانية والعشرين ليس سوى اختصار «زعيم المشوش» The chief of Mešweš، وينتهي استخدام هذا اللقب بنهاية سلالة شيشنق، ما يدلّ على أن هذه الأسرة ليبية الأصل.

4. لم نعد نرى بعد شيشنق نصوصاً مصرية تحتفي بتقتيل «الليبيين» الغزاة وذبحهم وبتر أعضائهم، كما كنا نرى في السابق، بدءاً من الملك

نعرمر، ما يدلّ على أن شيشنق كان ليبيّ الأصل.

سوف نناقش هذه الأسباب، أو الحجج، لنرى مدى صحتها وإيفائها بمتطلبات الوصف التاريخي، وتطابقها مع النصوص المصرية، ثم نعود إلى إعادة النظر فيها وفق ما أُتيح لنا من شواهد ومعطيات.

هناك على هذا الطرف المقابل أسماء كثيرة أوضح تأثيراً ممّن ذكرتُ من أسماء، ولعل جيمس هنري بريستد كان أشهرهم في بداية القرن العشرين، ولن أعمد هنا إلى تلخيص أمثلة الذين لحقوا به، أو تكرار معطياتهم، فهي متشابهة ومتناسخة على أي حال لا تخرج عما ذُكر أعلاه مما نجد لدى بريستد نفسه. أما بالنسبة إلى الباحثين المعاصرين فإننا لا نجد الآن إلا قلّةً قليلة من الباحثين ممن لا يؤيدون فرضية الأصل الليبي، حيث تلتزم الغالبية العظمى حرفياً بالحجج التي سبقتهم (وجود بويوواوا تاريخياً، أو إن «مَ» تختصر مشوش، على سبيل المثال)، أي على السّوق تبعاً بما صار سائداً دارجاً في الدراسات التاريخية باعتباره تاريخاً منجَزاً لا ضرورة لإعادة النظر فيه، لذا فإنني لن أشير إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، باستثناء ريتنر الذي يمتاز كتابه التجميعي «الفوضى الليبية» بنقل ونقحرة النصوص المصرية من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة السادسة والعشرين.

2

الجد الأسطوري بويوواوا

لا دليل أمامنا يؤكد الأصل الليبي أو الصحراوي الذي نُسب إليه أسلاف شيشنق وخلفاؤه. أما الحديث عن «بويوواوا» كونه جدّ شيشنق الأعلى، فيُغفل نمطاً جينالوجياً مهمّاً كان سائداً في مصر القديمة أُستُخدم في انتساب الملوك إلى أسر وسلالات تبدأ بسلف موغل في القِدم لا حقيقة تاريخية له في الغالب، وهو –كما سنرى– نمط معروف في تسلسل الأنساب الملكية يبدأ عادةً بالانتماء إلى أسلاف أسطوريين أو مؤلّهين، وينتهي بالتدرّج إلى أبناء فأحفاد.

نُسب الجد الأعلى «بويوواوا» إلى التحنو تارةً، وإلى المشوش تارةً أخرى، وقد وطّنه الدارسون في «سرت» دون سند أثري أو مصدر مدوّن مهما كان ضيئلاً، ومن الشائع القول بأن ابنه انتقل إلى مصر فاستوطن أهناسيا، وفيها تزوّج وأنجب واستقرّت أسرته، ثم قيّض له القدر أن يترك من الأحفاد من صار منهم كاهناً أو قائداً أو ملكاً! لكن هذه الحكاية ليست سوى محض خيال أو هي مجرد وهم من أوهام التاريخ الليبي، فما يُعرف عن أسرة شيشنق الأول وخلفائه لا يتجاوز شيشنق الجد الذي عاش في الأسرة الحادية والعشرين، أما قبل ذلك فلا يُعرف عنهم شيئاً.

في سنة 1851 اكتشف أوغست مرييت A. Mariette (ت. 1881) لوحة

پاسن حُر[1] (حورباسن سابقاً) التي عُدّت «أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين»،[2] لأنها سجّلت نَسَب الملك شيشنق الأول بدءاً من سلفه الأعلى بويوواوا، وفيها يسبق اسم بويوواوا كلمة «تحن» *tḥn*، وكان الالماني لودفيغ شتيرن L. Stern (ت. 1911) أول من اقترح سنة 1883 قراءة «تحن بويوواوا» بصيغة «الليبي بويواوا»، ولأن بويواوا هو السلف الأول في نسب شيشنق، فقد عُدّ شيشنق ليبياً على نحو تلقائي، ثم عمد الباحثون إلى «تجنيس» سلالة الأسر 22، 23، 24 بأكملها على أنهم «ليبيون»، وقد اعتمد شتيرن في هذه الفرضية على دليل واحد هو كلمة «تحن» المضافة إلى اسم بويوواوا في لوحة پاسن حُر، ولكن قراءته كانت خاطئةً قوبلت بالرفض منذ البداية، حيث اعترض علماء المصريات معربين عن أن هذه الترجمة ليست سوى خطأ فادح، وكان رينوف (ت. 1897) الذي عُرِف جيداً بترجمة «كتاب الموتى» أول من نبّه إلى هذا الخطأ في مقال له بعنوان «من كان الليبيون؟» نُشر سنة 1891، بدأه بالإشارة إلى «الطريقة غير العلمية التي يُعامل بها مصطلح لا غبار عليه تماماً في سياقه الصحيح ثم يُقحَم في أداء وظيفة لا تناسبه أبداً»،[3] مشدّداً على إننا لا نستطيع أن نفهم من كلمة «تحن» التي تسبق اسم بويوواوا معنى المجموعة العرقية «تحنو»، أو بلاد التحنو، أو نسبة شخص ما إلى المجموعة أو البلاد، إلا إذا كانت ملحقة بمحدّد تمييزي يشير إلى ذلك، وهو سياق ثابت في النقوش الهيروغليفية لا يتغيّر، أما بغير هذا المحدِّد اللغوي فلا يمكن استنتاج أي دلالة جغرافية أو إثنية تُنسب إلى الاسم، بل يُكتفى بدلالتها

1. نكتب اسمه پاسن حُر *Pꜣ-sn-Ḥr* كما ورد في الأصل الهيروغليفي، انظر نص اللوحة في الفصل الثاني.
2. سليم حسن، 1952، ص 83.
3. Renouf, 1891, 599.

الوصفيّة المباشرة.[1] أي إن بويوواوا اسم علم مفرد سبقته صفة تقديرية تمييزاً له كونه سلفاً أعلى، أما دلالة صفة تحن فهي «الساطع» أو «المشرق»، وهي الصفة التي فُسّر بها اسم تحنتيو Teḥentiu إلهة الإشراق والضياء. إن القول بأن بويوواوا كان من قبيلة التحنو «خطأ فادح» كما قال رينوف،[2] وقد قدَّم بعد ذلك أمثلة واضحة، منها: إن رمسيس الثالث مثلاً كان يدعى تحن حع *Tḥn ḥ*ʿ، وقبله بوقت طويل كان أمنحوتب الثالث يدعى تحن خپرو *Tḥn ḫprw* وهذا «تماماً هو الشكل النحوي ذاته الذي يوجد عليه اسم سلف شيشنق».[3] ولكن ذلك لا يتيح لنا بأي حال من الأحوال أن ننسب رمسيس الثالث أو أمنحوتب الثالث إلى «الليبيين» أو إلى التحنو! إلا أن «التجنيس» وتثبيت الهوية كان أكثر إغراء من تدقيقات رينوف، وهكذا انبثقت في علم المصريات مرحلة ليبية موضوعها الأسر 22، 23، 24، وعلى هذا المنوال وُلدت أسطورة «شيشنق الليبي» الذي لم يكن ليبياً، وسطعَ اسم هذا السلف المشرق (تحن) على عتمة التاريخ، فصنع عمقاً وهمياً قوبل في ما بعد بالترحاب، لأنه ساهم في ترتيب تسلسل الأسر الحاكمة، ثم تنوسي خطأ شتيرن.

يظهر تسلسل نسب شيشنق الجد في لوحة « پاسن حُر»[4] التي تعدّ

1. Ibid.
2. Ibid., 602.
3. Ibid.
4. عُثر على لوحة «پاسن-حُر» في منف بمدافن العجل أبيس (السرابيوم) وهي «تؤرخ» لستة عشر جيلاً من ملوك الأسرة الثانية والعشرين. أقام هذه اللوحة قائد الجند والكاهن الأعظم بين كهنة الإله «حرشف» بمدينة أهناسيا «پاسن-حُر» في السنة السابعة والثلاثين من حكم شيشنق الخامس؛ أي عند نهاية الأسرة 22، وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر. انظر، سليم حسن، م. س. ص.83 - 85.

«أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين»،[1] على النحو التالي: شيشنق بن پاثوت بن نبنشي بن ماواسان بن بويوواوا، ولا يبدو اسم السلف الأعلى «بويوواوا» مصرياً أو أشورياً أو ليبياً، كما لا يبدو أنه من اللغات الأفروآسيوية التي تنتمي إليها هذه اللغات الثلاث، وقد أشار سليم حسن في خمسينيات القرن العشرين إلى أن الاسم الأول والثاني أقرب إلى أن يكونا من أصل «زنجي»، خاصة وأن الاسم الثاني قرئ في البداية ماواساتا. يقول: «أول ما يسترعي النظر في هذه الأسماء هو أن الاسمين الأولين ليسا من المسميات المصرية، ولا بد أنهما من أصل لوبي أو زنجي، وعلى أي حال، فهما ليسا من أصل سامي من حيث النطق والشكل، أما الاسمان الأخريان فهما مصريان في تركيبهما وشكلهما».[2] فإذا فكرنا في ما يمكن أن نسميه «فرضية زنجية»، وفق سليم حسن، سوف نجد أن تصنيف اسم بويوواوا من حيث أنه أقرب إلى يكون من لغة زنجية، وهو يعني نيلو-صحراوية، قد يكون صحيحاً، ويتوافق ذلك مع تحليل بعض الباحثين الذين يجعلون شيشنق أسود البشرة قادماً من جنوب مصر، فإذا عدنا باسم «بويو-واوا» إلى «واوايو» *Wꜣwꜣyw* أو «واوا» *Wꜣwꜣ* أو «واوا.ت» *Wꜣwꜣ.t*،[3] فإنه سيكون نوبياً أو من الأفارقة الزنوج، وقد ذكر بريستد هذا الاسم ضمن سجلات الأسرة السادسة،[4] حيث تُذكر «تمح» *Tmḥ* (تمحو) التي تتوطّنها أقوام سوداء من بينها زنوج واوات Wawat negroes، ومعهم أقوام سوداء أخرى: إرثت Irthet (الأصل الهيروغليفي يرثت *Yrṯt*)، مازوي

1. سليم حسن، م. س. ص. 83.

2. م. ن. ص. 85.

3. واوا أو واوات : أرض النوبة السفلي، انظر: Budge,1920, I, 972، وتضم 24 اسماً جغرافياً.

4. Breasted 1906, IV, 142.

Mazoi («مزا» *Mḏꜣ*)، يام Yam («يمام» *Ymꜣm*)، كاو Kau (كآو *Kꜣꜣw*). هذا في ما يتفق مع الفرضية الزنجية، أما كونهما من أصل «لوبي» (ليبي) فليس بين أيدينا ما يُثبت ذلك، دلالةً أو اشتقاقاً أو على ما جرت به أساليب التسمية بين الليبيين القدماء (أو البربر لاحقاً) في شمال أفريقيا.

هذا الجانب من قراءة الاسم قد يدعم فرضية الأصل الزنجي، وفق حسن سليم، لكننا نلمح من ناحية أخرى طابعاً مصرياً في تركيبة الاسم، ولأن أسماء الأعلام مفردات لغوية ذات دلالات محدّدة، ترد بأصلها أو على الاشتقاق، فإذا أخذنا الاسم بصيغة تحنبويوواوا، كما كتبه فلندرز پتري، فإن «تحن» الأولى ربما كانت جزءاً من الاسم، لا صفة سابقة عليه، وفي كل الأحوال فإننا مع الاحتفاظ بدلالتها التقديرية، بمعنى السطوع والإشراق، نجد إن واوا [1] من ناحية أخرى تؤدي المعنى نفسه في كلمة واواو *wꜣwꜣw* ،[2] بدلالة الإشراق والضياء والنور، أما «بو» *bu* فتفيد مكان الشيء أو الفعل أو الحدوث، بمعنى مصدره أو مكمنه، وهو ما نجده في عدة كلمات، منها مثلاً:

- بو مع *bu mꜥ* ، الحق. حرفياً: مكان أو مصدر الحقيقة.
- بو إقر *bu ỉqr* الحكمة، حرفياً: مكان أو مصدر القوة والكمال.
- بو ور *bu wr* ، الثروة والرخاء والفخامة، حرفياً: مكان أو مصدر العظمة.[3] فإذا أخذنا بهذا التحليل يصبح معنى اسم تحن-بويوواوا *tḥn-bwywwꜣwꜣ* : «المشرق، ذو النور»، أو «المشرق، مصدر الضياء»، أو مكانه أو مكمنه. أو أبو النور، كما يقول العامة، ويبدو

---

1. يُقرأ اسم بويو-وا-وا Buyuwawa في لوحة پاسن حُر بصيغة «بويو-وا» Buyuwa، وتليه علامة التي تدلّ على تكرار الكلمة أو جزءاً منها مرتين أثناء قراءته.
2. Budge 1920, I, 145.
3. Ibid., 214.

في هذ السياق من الناحية اللغوية أن كلمة «تحن» كانت مصدراً لاشتقاق اسم التحنو في الشمال، مثلما كانت «واوا» مصدراً لاشتقاق اسم واوات في الجنوب، بينما لا علاقة لهذا السلف بـ«تحنو» الشمال أو «واوات» الجنوب، فهو يقتصر على دلالته اللغوية التي تفيد الإشراق والضياء، تقديراً وتبجيلاً.

لقد ظهرت لوحة الأنساب هذه في السنة السابعة والثلاثين من عهد شيشنق الخامس، أي بعد قرابة مائتي سنة من موت شيشنق الأول (إذا أقررنا بالتصنيف الزمني الدّارج)، وكان الغرض الأساسي من اللوحة تخليدٌ جنائزي مكرّس للعجل أبيس، ويبدو أن الكاهن پاسن حُر لم يترك الحدث يمضي دون أن يخلّد انتماءه الشخصي إلى سلالة شيشنق الملكية بدءاً بالسلف الأعلى «بويوواوا»،[1] ولا ندري ما إذا كان هذا النَّسب قديمٌ يرقى إلى زمن شيشنق الأول نفسه، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، أم أنه يعود إلى زمن پاسن حُر في عهد شيشنق الخامس! ما نعلمه أن هناك وثيقتان أخريان قريبتان من هذا السجلّ الجينالوجي، الأولى نشرها الأثري جورج دارسي (ت. 1938)، وأخرى لا تختلف عنها كثيراً، وهما لا تضيفان شيئاً إلى لوحة پاسن حُر التي تبدو أكثر تسلسلاً واكتمالاً.

---

1. ثمة ملاحظة هامة في تسلسل الأسماء أشار إليها پتري منذ مطلع القرن العشرين، ولكنها لم تعد تذكر أثناء الأخذ بهذا بنص اللوحة، وهي إقحام كلمة «ابن» من المترجمين والشرّاح ولا صلة لها بنص اللوحة. يقول (1905, 229): «تعدّ لوحة پاسن حُر قيّمةً جداً في الأنساب الملكية، ولكن أصل الأسرة فيها لا أساس له، وذلك بإدراجٍ سلاليّ أُفترض افتراضاً تمثله كلمة «ابن» التي لا وجود لها في الأصل». ثم يضيف (1905, 232): «لقد استندت نظرية الأصل الليبي أساساً على اسم «تحن»، بالرغم من أن رينوف أثبت منذ فترة طويلة أن الكلمة تعني «ساطع» أو «عظيم»، ولا تشير إلى التحنو الليبيين (...) إن أسماء الأسرة أسماء شرقية وليست غربية». انظر الفصل الثاني: لوحة پاسن حُر.

من المفيد هنا أن ننتبه إلى أن العودة بالنّسب إلى سلف إلهي أو أسطوري كان أمراً مألوفاً تماماً في مصر القديمة إذا اتّصل بالملوك، تمييزاً لهم وتقديساً، فهم من نسل الآلهة، لا من البشر الفانين، وكان من السائد أن يُخاطب الملك بلقب إله أو ابن إله (كان الملوك منذ الأسرة الأولى يتخذون لقب حُر (حور)، أي إن الملك يجسّد الإله حُر أو يرمز له، وكثير من أسماء الملوك تُظهر صلة الأبوة هذه: رمسيس (رع.مس.سو) مثلاً هو الذي أنجبه الإله رع، وأخناتون كان ابن الإله أتون، تقول المتون أنه «ابنه من جسده»، أي من جسد الإله نفسه، ...إلخ)، أو أن يؤلَّه أسلاف الملك إذا لم يكن هو نفسه مؤلَّهاً، أو يُنسَبون إلى أصل أسطوري قد يكون معروفاً أو غامضاً، لكنه يُحاط بالتقديس والتبجيل في الحالتين، ويُعبَّر عن هذه الصلة المتميزة بإله أو كائن أسطوري في صيغة جينالوجية واضحة لا يرقى إليها الشكّ تلخّصها كلمة «ابن». ويسري هذا تقريباً على أجداد شيشنق الأربعة الأوَل (بويوواوا، ماواسان، ثم نبنشي وپاثوت)، وعنهم يقول سليم حسن: «لا بد من التنويه هنا بأن المصري كان في غالب الأحيان يستعمل كلمة والد أو ابن بمعناها الواسع، وعلى ذلك يجدر بنا أن نعد الأجداد الأُول الأربعة الذين ذكرهم پاسن حُر في أول اللوحة بمثابة أجداد ينتسبون إلى الماضي البعيد؛ هذا إذا لم نعدّهم من الشخصيات الأسطورية، وعلى هذا الزعم يمكننا أن نضع بينهم وبين الأسماء التي تلي پاثوت فاصلاً؛ لأن الأشخاص الذين ذُكروا بعده يعدّون شخصيات معروفة تمام المعرفة».[1]

نخلص مما تقدم إلى أننا لا نستطيع الذهاب إلى أبعد من شيشنق الجد إذا تتبعنا نسب شيشنق الحفيد (أي الملك)، أما ما قبله فيمكن أن ننسبه إلى الأسطورة، أو إلى «الأسطرة» بمعنًى أدق، أي إضفاء طابع أسطوري على

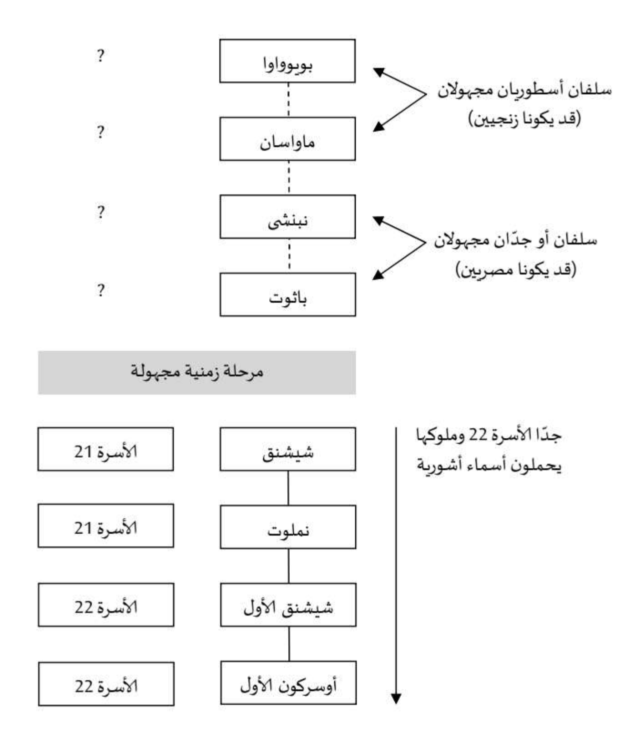
---

1. سليم حسن، م. س. ص. 85.

أسلاف الأسرة وقدمائها المجهولين.

قد يتساءل بعضنا عن سبب إقحام اسمين مصريين (نبنشي وپاثوت)، بعد اسمين غير مصريين في سلسلة أجداد شيشنق! لا أحد يملك الإجابة، ولكن بالإمكان وضع فرضيات مناسبة تعتمد على ما كان سائداً آنذاك من صور مجازية واستعارات، فمثل هذه الأساليب الأدبية كانت سائدةً جداً وتحظى بقبول عام يزداد كلما زادت التورية غموضاً أو زادت الاستعارة إثارةً. وبالعودة إلى لوحة الكاهن پاسن حُر، وميله إلى تأصيل نسبه عميقاً ضمن سلسلة الملوك، كان من المقبول تماماً بين المصريين أن يتّصل النَّسب على نحو غامض بقدر أكبر من القِدم السحيق الذي يدل عليه اسما بويوواوا وماواسان، أما وجود نبنشي وپاثوت ضمن هذه القائمة فهو تأكيد ضمنيّ يشير إلى أن والد شيشنق وجدّه إنما هما مصريان حقاً، وإن ميّز أصلهما الغموض، أو ربما الرهبة، بالإنتماء إلى سلفين أكثر قدماً وبُعداً لا أحد يعرف عنهما شيئاً.

تسلسل نسب شيشنق في لوحة پاسن حُر يبدأ إذن من أصل أسطوري سحيق لا يمكن إثباته، يمثله جدّان أسطوريان غامضان، أقرب إلى أن يكونا زنجيين، وفق سليم حسن، ثم ينتقل فجأة إلى جدّين مصريين، ثم يعود لينتقل إلى سلسلة من الأسماء لا يبدو أنها مصرية أو ليبية أو سودانية، أي إن الأجيال الأربعة الأولى في هذا السجل الجينالوجي قد تكون رمزيةً في الأساس، ولكن لنمضي في هذا البحث بأخذها على حرفيّتها، ونتساءل: إذا كان أمر الأجداد الأربعة الأُوَل على هذا النحو، فما كانت أسماء شيشنق وخلفائه إذن؟ وما لقب «زعيم المشوش» (أو «زعيمُ م» *wr n m*) الذي رافق أسماء الملوك والأمراء؟ بالإضافة إلى إبطال الاحتفال السنوي بعيد «تقتيل الليبيين» في زمن الأسرة الثانية والعشرين؟



ش. 2: تداخل التسلسل الأسطوري والتاريخي في نسب الأسرة الثانية والعشرين

3

عودة إلى أشور

لم تكن قراءة السجلات المصرية وترتيب جينالوجيا الأسرة الثانية والعشرين قد اكتملا بعد، عندما نُسب شيشنق الأول إلى سوسا حتى إن اسمه لم يقرأ بالكيفية التي نعرفه بها الآن، كما لم تُصنّف سنوات حكمه ضمن تسلسل الأسر بطريقة صحيحة (ولعلها ما زالت كذلك). يقول أوبرت سنة 1873 في «نقوش لغة سوسا»: «اسم سوسا Susa في الشواهد الأثرية هو سُسُن Susun، ومن هنا تشكّل اسم الملك المصري سِسُنش Sesonch (أي شيشنق) أول ملوك الأسرة الثانية عشر».[1] وقد قرأ اسمه سُسُنقا Susunqa بمعنى «السوساني» أو «الشوشاني»، أي: رجل من سوسا، مضيفاً أن كلمة «سُسِنَك Susinak أو سُسْنَك Susnak قد لا تكون اسم علم أصلاً، بل صفةً ميدية تعني الجميل أو الشجاع، ضمن ألقاب ملك سوسا».[2]

في السنة نفسها (أي 1873)، نشر إمانويل دو روجيه E. de Rougé مقالاً عارض به فرضية الأصل الأشوري، أو الأصل الآسيوي، ولكن فرضية الأصل العيلامي عادت من جديد مع مقال نشره دانييل هيغ سنة 1877، وفيه رأى أن اسم شيشنق مكون من كلمة Susun بإضافة *ḳa* (أي q) العيلامية لتمييز الصفة (وهي توافق الأكدية ga)، وعلى هذا الأساس فإن اسم شيشنق يوافق العيلامية *Susunḳa* و *Susinak*،[3] ويشير إلى إله من سوسا Susian

1. Oppert 1876, 183.
2. Ibid., 194-195
3. Haigh 1877, 65.

god. لكن الشواهد القديمة التي بُنيت عليها فرضية الأصل الأشوري، لم تنته تماماً، حيث عاد فلندرز پتري سنة 1905 إلى تأكيد هذه الفرضية بالقول إن اسم شيشنق معروف في الألواح البابلية، وهو شُشَنْقُ Shushanqu، أي رجل من شوشان، أو سوسا،[1] بالإضافة إلى ما قدمه من ملاحظات مهمّة حول لوحة پاسن حُر قائلاً إنها: «قيّمة جداً بالنسبة إلى الأنساب الملكية، لكن أصل الأسرة [الثانية والعشرين] في هذه اللوحة لا أساس له، بسبب إقحام رابط سلالي descendive أُفترض افتراضاً تمثله كلمة «ابن» التي لا وجود لها في الأصل»، وهو يعتقد أن التسلسل غير منطقي ويشوبه الكثير من التناقض و«لا يمكن الوثوق به إطلاقاً» وأن «الأصل المفترض للسلالة بدءاً من تحنبويواوا Tahenbuyuaua يعتمد بأكمله على تلك الكلمة المقحمة المفترضة».[2]

تدريجياً بعد ذلك، لأسباب سنذكرها، أصبح الأصل الليبي توجّهاً عاماً في علم المصريات والدراسات التاريخية المتصلة به، وصار من النادر أن نجد من يشكّك فيه، دون أن يُفسّر ذلك مسألة رئيسية تتعلق بمعنى اسم شيشنق نفسه.

إننا بالفعل لا نعثر على معنى اسم شيشنق في اللغتين المصرية أو الليبية القديمتين، ومعظم أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين لا تنتمي إلى الأسماء المصرية أو الليبية، ولكن ما لا يمكن العثور على معناه في اللغتين من هذه الأسماء نجده في اللغة الأشورية إذا عُدنا إليها من جديد.

لا شك في أن هناك الكثير مما يجمع هذه اللغات الثلاث وخاصة من حيث نشأتها ومرجع بنائها الأفروآسيوي، ولكن تقاليد التسمية وتعريف

---

1. Petrie 1905, 232.
2 . Ibid.

الأشخاص والسلالات والقبائل تظلّ متميّزة من إقليم إلى آخر، لارتباطها بخصائص وتقاليد ثقافية محلية وإقليمية، كما إن الكيان الذي تثير هذه المسألةُ صورتَه كيانٌ جغرافيّ أكثر مما هو محض لغويّ: شرقاً (آشور) ووسطاً (مصر) وغرباً (ليبيا).

ثمة تشابهات مهمة سبق طرحها بين أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين وأسماء ملوك أشوريين، نعيد تأكيدها مع شرحها:

- أوسركون الأول Osorkon I، واسمه المصري وسركن *Wsrkn*، أو وسيركن *Wsỉrkn*، وهو الملك الثاني في الأسرة 22، وقد حمل هذا الاسم أيضاً أوسركون الأكبر الملك الخامس في الأسرة 21 ، ويناظر الاسم سرغون الأكدي Sargon، واسمه الأشوري شَرُّكِن أو شَرُّكِين Šarru-kīn أي: الملك الحق، أو الملك حقاً، ثم درجت كتابته بصيغة توراتية عبرية هي سرغون (سرگون)، وقد توفي سرغون سنة 2279 ق.م.

- تاكيلوت الأول Takilot I، واسمه المصري ثكرت *Ṯkrt*، أو ثكرِيوْت *Ṯkrỉwt*، وهو الملك الثاني في الأسرة 22 ، ويناظره في الأصل الأشوري تُكُلْتِ Tukulti، وهو تُكُلْتِ-أپِل-إيشَرَّ Tukulti-apil-Ēšarra [1]، أي تُكُلْتِ ابن الإله أشور، ودرجت كتابته تيغلاث الأول Tiglath I، وقد توفي سنة 1076 ق.م.

- يرد أيضاً نملوت Nimlot أو Namlot، واسمه المصري نمرث *Nmȝrṯ* ، أو نمارتي *Nȝmȝrtỉ*، وهناك نملوت الأول وهو والد شيشنق، ثم نملوت الثاني وهو ابنه، ويناظره اسم الشخصية الأسطورية نمرود Nimrod.[2] ولأن

1. Tallqvist 1914, 233.

2. شخصية توراتية (تكوين 10: 8-12)، حكمت شنعار (جنوب الرافدين في جغرافيا التوراة في بعض الآراء)، وهو على الأرجح إعادة إنتاج دينية نسخت شخصية سرغون الأكدي. ومن بين القراءات المبكرة التي جمعت بين اسم نملوت (نمرث) ونمرود،

=

المصرية القديمة تخلو من حرف اللام، أُبدل بحرف الراء، كما في اسم تاكيلوت، فالأصل الأفروآسيوي في اسم نملوت مثل الأصل المصري هو نمروت (أو نمرود).



ش. 3: خراطيش شيشنق وأبنائه. عن Brugsch 1881, 215

مع نهاية الأسرة الحادية والعشرين، يقول بروغش: «تثبت الآثار أن بعض الرعامسة، وكانوا ملوكاً صغاراً غير مهمين، طالبوا بعرش آبائهم، حتى في زمن الفاتح الآشوري شيشنق الأول. وقد فعلوا ذلك حقاً دون نجاح، لأن

كان بروغش قد ربط بين اسم نروماث Naromath [أي نملوت ابن شيشنق الأكبر] ونمرود Nimrod، ويرى أن نملوت (أو نروماث) كان ملكاً أشورياً استغلّ اضطرابات طيبة وثورة الكهنة فتقدّم بجيشه إلى تانيس، لا لإنقاذ حكم الرعامسة بل لانتزاع العرش وإلحاق مصر بأشور، وهو يقرأ أحداث مصر بطريقة مغايرة عما هو سائد الآن في الدراسات التاريخية. قد لا يكون من المناسب هنا أن نناقش هذه الآراء، ولكن من المفيد الاطلاع عليها دون شك. انظر: «تاريخ مصر في ظل الفراعنة»، الجزء الثاني، الصفحات 203-207. انظر أيضاً: الفصل الثاني، نقش ملك الملوك.

كبار كهنة الإله آمون كانوا آنذاك قد وضعوا تاج البلاد على رؤوسهم، وصاروا سادة طيبة، وتصرفوا بوصفهم سادة البلاد بأكملها»،[1] ومع شيشنق الأول بدأت الأسرة الثانية والعشرون وظهرت أسماء ورثته التي تشير دون شك إلى أصولهم الأشورية: تيغلاث، سرغون، نمرود، كما كانت معروفة في أشور، ثم انتقلت في اللغة المصرية إلى صيغها المعروفة: تكرث، وسركُن، نمروث.[2]

1. Brugsch, op. cit., II. 195
2. Ibid., 215.

4

شيشنق، الملك-السَّوْسَن

مما ذُكر من أسماء الملوك، بقي اسم شيشنق استثناءً من هذه التشابهات، لأن الكثيرين يعتقدون أنه لم يرد في السجلات الأشورية، وقد أخطأ من ظن ذلك، إذ نجده حرفياً بصيغة الاسم نفسها Šū-sa-an-qu (شُوسَنْقُ)[1]، ويُنقل بصيغة شُسَنْقُ šusanqu وأحياناً سُسِنْقُ Susinqu ، وهو ابن سنحاريب (سين حريب) بالتبنّي.[2]

يبدو اسم شيشنق واضحاً جداً في اللغة الآشورية بمعنيين اثنين: (أ) اسم علم محدّد، (ب) لفظ مركّب من مضاف ومضاف إليه يعني «لوتس (أو

---

1. Tallqvist, op. cit., 226.

2. نعثر على هذا الاسم بكل وضوح في وثائق تل العمارنة، باسم شُسَنقُ Šusanqu، وهو يحمل هنا صفة «صهر الملك»، وتتضمّن هذه الوثيقة الأشورية اتفاقاً لشراء منزل، وكان شيشنق أحد شاهدين، بينما يدعى الشاهد الثاني خرمَصا Ḫar-ma-ṣa، وهي صيغة أشورية من الاسم المصري حرو-وجا 𓅃𓅃𓌂 *Ḥrw-wḏꜣ*، وعن اسم شيشنق هذا قال إدل إلمر E. Elmar إنه «يناظر اسم الملك المصري-الليبي»، وأضاف «إن وجود شهود قانونيين [يعني مصريين] في نينوى ليس مستغرباً، وقد كان المشتري كاتباً مصرياً LuA.bA LuMu-ṣu-ra-a-a ولكنه يحمل اسماً أشورياً هو Ṣilli-Ašur (أي: حماني آشور)». تؤرّخ هذه الوثيقة بسنة 692، أي في عهد سنحاريب (705- 681 ق.م.). وقد نُشرت في المجلد 375 من منشورات أكاديمية العلوم النمساوية سنة 1980: «تفسير جديد لكتابات مسمارية تتضمن كلمات وأسماء شخصية مصرية». انظر: Edel 1980, 26 .

سوسن) الوادي»، وسوف نبني فرضيتنا على هذا الأساس.

لقد كان سنحاريب ثاني الملوك في سلالة سرغون الثاني (ت~ 609 ق.م)، ونفترض أنه قد أطلق على ابنه هذا الاسم إما تشبيهاً له بالملك شيشنق، أو وصفاً له بالسوسن أو اللوتس أو زنبق الماء، وقد يجعلنا تكرّر بقية أسماء الأسرة الثانية والعشرين بين مصر وأشور نميل إلى الافتراض الأول، إلا إن هذا الاسم ذو معنى محدّد في الأكدية-الأشورية، كما سنرى، فهو أسبق من شيشنق الملك المصري بكل تأكيد.

فلنمض أولاً إلى تحليل اسم شيشنق في المصرية القديمة، ذلك أن أسماء الملوك المصريين ذات معانٍ محدّدة، كما في الفصحى وغيرها من لغات الشرق الأدنى، أي إننا لا نعثر على اسم منها لا دلالة له، فأسماء الأعلام مفردات لغوية ترد بأصلها أو على الاشتقاق.

درجت رومنة الاسم بصيغة شِشَكْ[1] Shishak توافقاً مع الاسم التوراتي الذي ورد بصيغة شِيشَقْ שִׁישַׁק.[2] وظهرت بحوث كثيرة تسعى إلى المقارنة بين شيشنق المصري وشيشق التوراتي، وتحاول ضبط التوافقات الزمنية بين سردية التوراة وسردية النصوص المصرية، وما زالت مثل هذه البحوث تُنشر حتى الآن وتنتهي إلى نتائج مختلفة، بسبب الاختلاف بين منهجين محدّدين سلفاً في قياس مراحل التأريخ يتناولان موضوعاً واحداً، يسعى الأول إلى إثبات التطابق بين المتخيل التوراتي والحدث التاريخي، ويسعى الثاني إلى تطويع المتخيّل التوراتي في تسلسل تاريخي لا يخلو بدوره من

---

1. يرد الاسم بعدة صيغ، منها: Shīshak، Shīshāk، Shīshāq، Shūshaq... إلخ.

2. الملوك الأول 11: 40 ، 14: 25.

ثغرات، وتطغى عليه في بعض الأحيان لغة الافتراض والتخمين.[1]

أورد بدج الاسم في معجمه بصيغة ش.ش.ق [2] التي تتوافق مع صيغة التوراة Š.Š.K، ويرد في صيغة أخرى شَشَقَ (أو شاشاقا *š3š3q3*) وهي صيغ يقرنها بدج مباشرة باسم شيشنق التوراتي شِشَك أو شيشاك Šišak .[3]

اسم شيشنق مركّب من أربع وحدات فونيمية: ش.ش.ن.ق Š.Š.N.Q، وتنقله لنا الكتابة البربائية بصيغة: ، كما في السرخ التالي: ، ويُقرأ: مري.أمن.شيشنق *mrỉ-ʾImn Ššnq*، أي شيشنق محبوب آمون،[4] ونستطيع قراءة الاسم بصيغ كثيرة عن طريق إعمال الحركات والصوائت الأساسية، ولكننا درجنا على تسميته «شيشنق» تفضيلاً، لا على قاعدة ما، وفي كل الأحوال فإننا لا نعثر على معنى الاسم كاملاً في المصرية القديمة، دون أن نعمد إلى تقسّط المعنى عن طريق تفكيكه مقطعياً، بالتركيز على ملفوظيّته لا على أسلوب كتابته، للوقوف على دلالته أو على ما يضمره من معان. لنقرأ الاسم مقطعياً إذن ثم نعود إلى مصدره الأكدي-الآشوري.

---

1. انظر مثلاً:

James, Peter; Peter G. van der Veen and Robert M. Porter, *Solomon and Shishak: Current Perspectives from Archaeology, Epigraphy, History and Chronology*: Proceedings of the Third BICANE Colloquium held at Sidney Sussex College, Cambridge 26-27 March 2011.

2. Budge, op. cit., II, 938.

3 . Ibid.

4. أخذ شيشنق عدة ألقاب، من بينها ستف.ان.رع *stp-n-Rʿ* (الذي اصطفاه رع)، وهو لقب رمسيس الثاني، ثم رمسيس السابع، ثم التاسع، ثم العاشر، ثم الحادي عشر، ثم تكرّر مع أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، مثل أوسركون الأول، وتيغلاث الثاني، وشيشنق الثالث، كما اتخذه الاسكندر الأكبر لقباً له في ما بعد، وكذلك فيليب وبطليموس الثالث. انظر: Budge, op. cit., II. 1268 .

اعتمدنا في التحليل المقطعي التالي على معجم بدج،[1] بالإضافة إلى معجم شيكاغو الأشوري،[2] واستظهرنا المقاطع الرئيسية التي تكوّن اسم شيشنق، مثل: «ش.ش»، «ش.ش.ن»، «ش.ن»، «ق»، كما أغفلنا مقاطع أخرى غير ذات صلة.[3]

يبدأ الاسم بحرف ش مضاعفاً (ش.ش š.š) على شكل بركة تعلوها أزهار وبراعم متفقٌ على أنها اللوتس في نشأته واكتمال نموّه.[4] قرئ هذا المقطع، وفق معجم بدج، «شا.شا» *šȝ.šȝ*، أو «شَشَ» šaša، أو «شَشَ» šeša. ويفيد المقطع «ش.ش» š.š عدة معانٍ، وللكلمة أكثر من صيغة هيروغليفية: (وعاء)، (آلة إيقاعية، أو صنج)، (أسرعَ، هرعَ)، (ظبي)، (شَيْب). وغير ذلك من الصيغ، وهي ألفاظ لا تدلّ على شيء يرتبط بشيشنق الذي حفظت لنا النصوص المصرية سيرته.

أما كلمة شن *šn* وحدها فتفيد معنى الطيران والجثوم، كما تعني شَنُ *šnu* (shenu) الزمن اللانهائي، الأبدية والخلود. وإذا كُتبت بصيغ هيروغليفية أخرى فإنها تعني: محكمة، أو بِركة، أو فيضان، ... إلخ. وتعني

1. Budge, E. A. Wallis; *An Egyptian Hieroglyphic Dictionary*, John Murray, Lodon, 1920.
2. Brinkman, John A. Miguel Civil, Ignage J. Gelb and others; The Assyrian Dictionary. The Oriental Institute, Chicago, Illinois, 1992.
3. من هذه المقاطع مثلاً «ش.ن.ق» *šnq* ولا يوجد في اللغة المصرية، و«نق» *neq* وقد استثنياه في هذه القراءة لأنه لا يفيد سوى معنى واحد لا صلة له باسم شيشنق هو الزنا. (انظر: Budge 1920, I, 395.).
4. تعني الشين وحدها، أو شَ ša : مرج أو حديقة (Budge, 1920, II, 723)، وهذا مرتبط دون شك بـ ششن، أما شَيْ šai فهي حظ أو قدر أو مصير. ومنها شَوْ šau : إله الحظ أو المصير الطيب، وشاشَ šāša : تبجيل، تقديس (Budge, op. cit., II, 724).

شن *šn* بصيغة 𓋹 : قاتلَ، نازعَ، جادلَ.(1)

وبإضافة النون إلى «ش.ش» š.š نقرأ ششن *ššn* (ننطقها شَشَن šašan، أو شَشَن šešan، أو شَشَن šešen، أو غير ذلك بإعمال الصوائت القصيرة)، وششن *ššn* صيغة من سشن *sšn*، ويُرسم اللفظ زهرةَ لوتس أو ، ما يذكرنا بطريقة كتابة اسم شيشنق أي بتكرار الشين المكونة من أزهار اللوتس وبراعمه، وتُكتب سشن *sšn* أو (2)، كما تُقرأ بصيغة أخرى هي: س.ن.ش.ن s.n.š.n (كُتبت أيضاً: س.ش.ش.ن s.š.š.n) بمعنى لوتس (أو زنبق الماء أو سوسن)(3)، وتناظرها الفصحى سوسن؛ العبرية: شوشن šōšan، الآرامية: شُشَنْتا šušantā، السريانية: شَوْشَنْتا šawšantā.(4)

وللوتس أشكال كثيرة في الهيروغليفية، تعتمد أساساً على لفظ الشين والسين، منها: سنشن *s.n.š.n* (senshen)(5)، سشسش *s.š.s.š* (seshsesh)، سشش *s.š.š* (seshesh)، سششن *s.š.š.n* (seshshen)(6)، سششن s.š.š.*n* (senshen)(7). وجميع هذه الكلمات تعني «لوتس» (أو زنبق الماء أو سوسن)، والأساس في تكوّنها بناءٌ على الشين والسين.

---

1. كما تعني بصيغة : خطر، عداوة، وبصيغة : عدو، معادٍ. أما بصيغة فتعني: تكلّم، أخبر، ولعنَ، ألقى سحراً، بالإضافة إلى معان أخرى تتصل بالمرض الجسدي والعقلي. فإذا كانت بصيغة ضمن صيغ عديدة أخرى، فإنها تعني: اخضرار النبات، ورق، فاكهة.

2. Budge, op. cit., II, 623/ Faulkner, op. cit., 304.

3. Ibid., 608.

4. كمال الدين، 2008، ص. 223.

5. Budge, op. cit., II,608.

6. Ibid., 622-23.

7. Ibid., 700.

لنحصر القراءة المقطعية في صيغة رئيسية هي ششن.ق š.š.n-q أي أن نجزّئ الاسم إلى مقطعين: «ششن» و«ق»، ويمكننا أن نقرأ الهيروغليف الأخير بصيغة «قء» «قا» *qꜣ* .

إن القيمة الصوتية في القاف *q* مفردةً، وفق بدج، غير محدّدة الدلالة،[1] ولكن قا (قء) (تُكتب أيضاً: ،)، وغيرها من الصيغ)، تفيد: علا، سما، ارتفع، نما، طالَ؛ ومنه «قَأي» *qꜣy* أو «قاي» *qāy* (qaȧ وفق بدج) أي: العالي، السامي، المرتفع، النامي، الطويل. وكما نلاحظ فإن اسم شيشنق بهذه القراءة، أي بأخذ اسمه على المقطعين: «ششن.قء» يعني: اللوتس (أو السوسن) العالي أو السامي أو النامي، وهي قراءة مقطعية نرى أنها تماثل معنى الاسم في اللغة الأكدية -الأشورية.

إن اسم شُسَنْقُ šusanqu (أو سُسِنْقُ Susinqu) الأشوري (ابن سنحاريب بالتبني) لا يحتاج إلى إثبات، كما مرّ بنا، ولكننا أحببنا أن نعمّق هذه التسمية في المصرية القديمة بدلالة الأكدية لارتباط اللغتين وتواشجهما.[2] أما لغوياً فإن «شوشنق» الأشورية (شوشَنُ.ءنْقِ šūšanu

1. Budge, op. cit., I, cix.

2. لي تطبيقات لغوية مماثلة تعتمد على التحليل أو التفكيك المقطعي، وفق نظرية الجذور المقطعية، كما في تعميق الصلة بين المصرية القديمة والسومرية مثلاً، وسأذكر منها المثال التالي لتأكيد صحّة هذا المنهج (انظر: **ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية**، ص.272): المصرية «سدء.خمو» *sdꜣ.ḫmu* اسم للخفاش مركب من كلمتين: سدء *sdꜣ* : وتفيد السدّ والحجب والغلق، خمو *ḫmu*: وتفيد الجهل وعدم المعرفة؛ هكذا جرى تعريف الاسم، ولكن «سدء.خمو» وهو اسم الخفاش في الميثولوجيا المصرية يمكن العثور على دلالته المباشرة في اللغة السومرية لا في اللغة المصرية، فالكلمة تتكون من مقطعين سومريين: *sidu(g)* : كهف، تجويف في الصخور، و *ḫamun* : طائر، أي: =

unqi) حرفياً هي: لوتس الوادي، أو زنبق ماء الوادي. وكلمة شوشَنُ šūšanu (شُوشَنْ šūšan بإسقاط الإعراب)، تناظر المصرية سُشَنْ *sšn* (لوتس) التي يمكن أن تقرأها سُشَنْ sošan ، أما تحريك السين البادئة بالصائت /ε/ في قراءة بدج، فهو اقتراحه لقراءة الكلمة، وقد اعتاد دائماً أن يضيف هذا الصائت إذا لم يتبيّن حركةً واضحة مقارنةً بالقبطية أو اللغات «السامية».

كما ذكرنا، فإن كلمة شوشن الأكدية-الأشورية تقابلها نظائر في الآرامية والعبرية والسريانية والفصحى، أما في الأكدية فإن تحورات لفظ شوشن تؤدي معان دالّة متقاربة، حيث «شُشَنُّ» šušannu و«سُسانُ» susānu معاً تعنيان: السائس (مدرّب الخيول)، كما تعنيان منصباً رفيعاً في إدارة الحُكم،[1] أي سياسيّ بالمعنى الحرفي؛ المعنيان من جذر واحد كما في الفصحى تماماً، أما تعاقب الشين والسين في الأكدية فهو من الدارجات اللفظية المألوفة.

ثمة معنى آخر دقيق جداً في كلمة شوشَنُ šūšanu الأكدية ذو صلةٍ بقصة صعود شيشنق إلى سدّة الحكم، فهذه الكلمة في الأكدية تفيد معنى محدّداً: «لقب مخصّص لوكلاء الملك أو نوّابه»،[2] ما يشي مباشرةً بسيرة شيشنق والطريقة التي استولى بها على عرش مصر، فهو أساساً نائب أو وكيل الملك پسوسنس الثاني، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين،

«طير الكهف»، أي الخفاش، وهي دلالة مباشرة لا نعثر عليها في المصرية القديمة التي استخدمت الكلمة بدلالة قريبة غير مباشرة. يمكن العودة إلى العشرات من مثل هذه الأمثلة التي تثبت أن هذا التواشج اللغوي إنما هو مظهر من مظاهر التواصل الاجتماعي والمعتقدي عبر التاريخ بين الطرفين الأفرآسيويين الرئيسيين في مصر والعراق.

1. Brinkman 1992, 378.
2. Ibid., 379.

وصهره ذو النفوذ الذي أدار البلاد باسم الملك. أما المقطع الثاني وفق هذا التحليل فهو ثابت الدلالة، ويعني: الوادي، ولعل اسم شيشنق في مجمله، إذا طابقناه مع الجغرافيا المصرية، إنما يعني «لوتس وادي النيل» أو «زنبق ماء النيل»، مثلما يعني أيضاً «نائب أو وكيل الملك على وادي [النيل]».

ملاحظة أخرى، وهي تتضمن لمحةً أنثروبولوجية، متصلة بأعراف الأسرة الثانية والعشرين، أو بما كان سائداً آنذاك من رؤى وتصورات اجتماعية ومعتقدية، ذلك أن زهرة اللوتس تبدو «أيقونةً» مفضّلة ذات صلة عميقة بسلالة شيشنق من حيث أصولهم الأشورية، وهي كذلك في الثقافة المصرية القديمة، وقد لا نهتم الآن باستكناه أصول هذا التفضيل الجمالي وتحليله، ولكننا نعرف حقاً أن «زهرة اللوتس في الثقافة الآشورية والفينيقية هي رمز البعث والولادة الجديدة وتولّد قوى الطبيعة»،[1] أفلم يكن التجدّد والديمومة سبباً كافياً لأن يرتبط شيشنق وأبناؤه باللوتس ذي المصدر الألوهي، فضلاً عن الدلالات المباشرة الأخرى كما أوضحنا؟

إن أفضل مثال على ذلك هو الوضع الذي جسّد عليه الملك يوبوت الأول[2] نفسه في هيئة الإله حُر (حور) وهو يجلس على زهرة اللوتس، وقد قرئت هذه اللوحة بوصفها «إشارة إلى قصة الخلق وانبثاق الإله من المياه البدئية»،[3] ولكن هذه القراءة قد تكون عامةً أكثر مما يجب، أي إنها ذهبت

1. Cooper 2012, 391.

2. يوبوت الأول (829- 804 ق.م.) أو يُوْافتي *Yw-wꜣ-p-ty* (يُكتب أحياناً *Yw-pꜥ-ty* أو *Yw-wꜣ-pṯ* وفق الأصل الهيروغليفي، ويُنقل يِوْپت Yewepet وإيوْپت Iuput في الدراسات التاريخية). كان وصياً على العرش لمدة خمس وعشرين سنة في الأسرة الثالثة والعشرين، حتى اعتلى العرش شيشنق السادس Shoshenq VI (804-798 ق.م) في طيبة؛ وهو غير يوبوت الذي اختاره شيشنق الأول كاهناً أعلى وقائداً لجيش الجنوب بينما اعتلى العرش شقيقه أوسركون الأصغر.

3. Clayton 1994, 185.

بعيداً وأغفلت المعنى المباشر القريب؛ فكل ما أراد يوبوت أن يجسّده حقاً هو صورة صعوده من زهرة لوتس الوادي الأصلية، أي جدّه شيشنق، ويعني ذلك بلغة التورية الفنية: حقّه الشرعي أو الموروث في حكم مصر بوصفه نجل سلالة السلف العظيم ووريثه، خاصة بعد أن حالت الأوضاع دون اعتلائه العرش، وقد قدّم هذه الرغبة في صورة يفضّلها المصريون القدماء، أي نسبة كل فعل بشري إلى الآلهة أو الغيب، وهو تماماً ما عبّر عنه يوبوت بانبثاقه من ماء البدء (ماء الآلهة) ممثلاً بزهرة اللوتس (جده شيشنق)،[1] إنه «بذرة» زرعها الجد، وهذه هي الكلمة المفضّلة في الأدبيات المصرية القديمة للدلالة على النسب المباشر الصحيح.

هذا إذن هو اسم شيشنق الأشوري، لا من حيث الدلالتين العَلَمية واللغوية المباشرتين فحسب، بل ومن حيث دلالاته الإضمارية أو الإشارية كذلك. إنه باختصار: سوسن الوادي (أو الملك السّوسن)، كما يضمر اسمه معان دالة، من بينها الوكيل، وذو المنصب الرفيع، والسائس أو ربّ الخيول، وسائس البشر.

وإذا تركنا الملك جانباً والتفتنا إلى بيته يبرز أمامنا ملمح إضافيّ، ثانويّ ولكنه دالّ، حيث كانت الملكة أو الأميرة في أسرة شيشنق، وفي أسر أبنائه

1. وردت كلمة «شَنُ» Sha-Nu في معجم بدج (2: 721) بمعنى: The Celestial Ocean، أما القراءة الواردة أعلاه فتنقل المعنى اللغوي إلى أنثروبولوجية الدلالة، وكنتُ قد دعوتُ مراراً إلى النظر في النصوص أو الأيقونات أو الآثار إجمالاً بطريقة متوازية، إذ لا يكفي على الإطلاق أن نقرأ المادة الأثرية التي بين أيدينا من حيث تأريخها ونسبتها الجغرافية فحسب، بل يجب إجراء قراءات بينيّة تتيح لنا معرفة واستكناه مختلف الدلالات المرتبطة بها: تاريخياً، واجتماعياً، ومعتقدياً، واقتصادياً.



ش. 4: يوبوت ينبثق من زهرة اللوتس الأصلية، أي من جدّه الملك شيشنق

وأحفاده من بعده، تُنادى بلقب ملكي لم تعرفه المصرية القديمة، ولا الليبية آنذاك طبعاً، وهو كَرَمَت (كرامات) Karamat أو كريمَت Karimat أو كريمُت Karimot بمعنى «الكريمة»، ونعتقد أنها صيغة مؤنثة من الأكدية karimmu التي تفيد النُّبل والعظمة والقوة. يقول فلندرز پتري عن ذلك: «كان هناك الكثير من البلبلة في تحديد الملكات والأميرات في الأسرة الثانية والعشرين بسبب تشابه أسمائهن إلى حد كبير، ولأنه لم يكن من المحتمل أن يكنّ قد حملن الاسم نفسه، فإن تكرار الكلمة يعني أنها كانت لقباً أو نعتاً ولم تكن اسماً». ويضيف: «هكذا فإن لقب الأميرة أو الملكة في أسرة شيشنق كان تماماً مثل الكلمة العربية التي تُطلق على الأميرة، أي الكريمة... أما كيف أصبح لقبٌ ساميّ مستخدماً على نحو عادي في أسرة مصرية فهو

أمرٌ واضح إذا أدركنا أصل اسم شيشنق[1]... ومن الطبيعي أنه قد احتفظ بلقب كان مألوفاً في موطنه فأطلقه على أميرات العائلة».[2]

لنختم هذ القسم بالقول أنه بغض النظر عن التدقيق في أصول الأسرة الثانية والعشرين، ليبيةً كانت أم أشوريةً، فإن هذه الأسرة كانت مصرية حقاً، بمعنى انصهارها الكامل في المجتمع المصري بتقاليده وأعرافه، ولم تكن مجرد وافدين متمصّرين Egyptnized كما يفضّل بعض الباحثين أن يقول،[3] فهي قد انبثقت من المجتمع المصري نفسه، بوصفها جزءاً من تركيبته الأهلية المحلية، وإن تميّزت بثقافة خاصة، ولم تكن نتاج غزو أو تدخل خارجي مثل الكوشيين أو الهكسوس، أو غيرهم. ويبقى هذا الأمر مثيراً حقاً، دون أن تنهيه توافقات الباحثين تماماً. إن حِيَل التاريخ الواقعية تبدو أعمق وأكثر تأثيراً من الحلول التوافقية.

---

1. على غير ما ذهبنا إليه في تحليل الاسم هنا، كان فلندرز پتري من بين الباحثين الأوائل الذين ميزوا الأصل الأشوري-العيلامي في سلالة شيشنق، ولكنه اعتقد مثل الكثيرين أن اسمه يعني «رجل من سوسا» Susa، يقول في تاريخ مصر: «أمام المعنى الواضح من الاسم الرئيسي في الأسرة، أي رجل من سوسة، يجب علينا البحث عن أحد المغامرين البابليين أو الفرس من الذين كانوا في خدمة ملوك تانيس». Petrie 1905, III, 232

2. Petrie 1916, 70.

3. استطراد: لا نجد في أزياء الملوك في الأسر 22-24 ما يدلّ على تميّز أزيائهم بطابع خاص صُوّر به «الليبيون» في السابق (أردية بألوان مبهرجة وحلي ووشوم)، بل حافظوا على التقاليد الملكية كما كانت سائدة قبلهم، وهم في ذلك على عكس الكوشيين الذين تميّزوا بطابع خاص. إننا دون أن نتحدث عن أصل غير ليبي هنا، لا نستطيع إغفال الدلالة الأولى من هذا وهي أنهم كانوا مصريين تماماً بغض النظر عن أصولهم.

5

عن «مَ» و«المشوش»

النقطة الثالثة التي رجّحتِ القول بالأصل الليبي في سيَر الملك شيشنق وأبنائه، هي العلامة «م» في عبارة «زعيم م» The chief of M، وقد قرئت على أنها اختصار من كلمة «مشوش»، فهل هي كذلك؟ إذا كانت هكذا فلماذا ترد «م» و«مشوش» مستقلّتين في سياق نقش واحد؟ ما هي هذه الـ«م» حقاً؟

لنذكّر أولاً أن علامة «م» هذه نُقلت مَ[1] me في بعض الأحيان، ومَ ma في أحيان أخرى، أما في الأصل المصري فتُكتب «م» *M* و«ما» *Mꜣ*، و«مع» *Mꜥ*، كما في نقوش أبيدوس[2] أو كما في نقش پديست[3] الذي يُقرأ: «ور عا ن مع» *wr ꜥꜣ n Mꜥ* (زعيم «مع» العظيم). وقد احتار الباحثون في القرن التاسع عشر عندما قرؤوا عبارة «وُرْ ن م» *wr n M* التي ترد مراراً وتكراراً في النقوش المصرية، دون أن يقفوا على حقيقتها في بادئ الأمر، ثم بادر ڤيكومت دو روجيه V. de Rougé[4] سنة 1873إلى القول بأنها اختصار كلمة مشوش

---

1. أينما وردت العلامة (~) فهي حركة إمالة تماثل الصائت /ɛ/ كما في «مَ» التي تُقرأ me.

2. Ritner 2009, 167.
3. Ibid., 389.

4. تعود المرة الأولى التي يُماثَل فيها بين مشوش و«ما» Ma إلى مقال نشره ڤيكومت دو روجيه Vicomte de Rougé في مجلة «مقتطفات من الآثار المصرية والآشورية» Mélanges d’archéologie egyptienne et assyrienne (1873). يقول كوني عن ذلك: هاجم دي روجيه في مقاله الفكرة التي كان لاوث Lauth قد عرضها قبل ذلك بثلاث =

Meshwesh، وظل الأمر بين أخذ ورد، حتى تحمّس بريستد في بداية القرن العشرين، وحافظ عليها بصيغة Me قائلاً بكل ثقة أنها اختصار مشوش، وهكذا أصبح معنى «وُرْ ن ما» *wr n mꜣ* تلقائياً «زعيم المشوش»،[1] وقوبل هذا الاقتراح بترحاب عام، لأنه حلّ مشكلة عويصة تؤثّر على سلاسة قراءة النصوص المصرية. فهل كان اقتراحاً صائباً؟

لنشر أولاً أننا سنحافظ على استخدام كلمة «مَ» Me بهذه الصيغة، أما في نقحرة الأصل الهيروغليفي فننقلها حرفياً وفق ما ترد به من إحدى صيغها الثلاث، وسنُبقي على ترجمة «ور» كما هي دارجة في علم الدراسات المصرية (أي بمعنى: زعيم)، ثم نعيد النظر في ترجمتها هذه حسب ما يرد في سياق هذا التحليل.

يعود لفظ «مَ» إلى أزمنة أقدم من سلالة شيشنق، ونجده متكرراً في تراث الشرق الأدنى بدلالة معتقدية واضحة، بدءاً بالألواح السومرية والأكدية، أما في ارتباطه بشيشنق فإنه يرد أولاً في لوحة شيشنق الجد،[2]

سنوات (في 1870)، ومفادها أن ما في لقب «زعيم ما الأكبر» الذي عثر عليه في لوحة بي (بعنخي) يجب أن تُترجم إلى «أقنان آسيويين». ولم يدحض دي روجيه اقتراح لاوث هذا بحجة عقلانية ضده، قدر ما اقترح بديلاً يتمثل في أن عبارة «زعيم ما» اختصار من «زعيم المشوش». انظر: Cooney 2011, 287 .

1. من بين آراء أخرى في «مَ» هذه يشير پتري (1905, 252) إلى أن تمثالاً من الغرانيت الأحمر في متحف فلورنسا، يحمل عبارة زعيم مَ (Ma)، وأن بروغش فسّرها بأنها تعني مَتُ matu، أي «أرض» في اللغة الأشورية.

2. لوحة من حجر الغرانيت الأحمر (120 × 150 سم)، عثر عليها أوغوست مرييت جنوب البوابة الغربية لكوم السلطان بالعرابة (المصرية نفور Nfwr، اليونانية أبيدوس Abydos). انظر: Breasted, op. cit., IV, 325، ويمكن الاطلاع على نص اللوحة الكامل في Ritner, op. cit., 166-171

وكان كاهناً أعلى في الأسرة الحادية والعشرين، أي قبل اعتلاء حفيده عرش مصر، وتسرد اللوحة شكوى شيشنق الأكبر، جدّ الملك شيشنق الأول، بعد نهب ضريح ابنه نملوت، وكيف أنصفه ملك الآلهة (أمون-رع)، ثم عوقب الجناة، وهم القيّم على الضريح والكاتب والمفتش، وكلّ من نهب أو سرق شيئاً من محتويات الضريح والتّقدمات التي وُضعت على طاولة أوزيريس.

يبدأ النقش بذكر شيشنق الجد، ويصفه بأنه:

«زعيم الزعماء العظيم، شيشنق، المحق».[1]

ورعا ن ورو، ششنق، ماع-خرو

wr ꜥꜣ n wr.w Ššꜣnq mꜣꜥ-ḫrw

The great chief of chiefs, Sheshonk, justified.

ويذكر شكواه، ثم يصف النقش نملوت بأنه كان:

«زعيم مَ العظيم، نمرث المحق، ابن محت-ن-وسخت».[2]

ورعا ن مع نمرث ماع-خروسا محت.ن.وسخت

Wr ꜥꜣ n Mꜥ Nmꜣrṯ mꜣꜥ-ḫrw sꜣ Mḥt-n-wsḫt

The great chief of Me, Namlot, justified, son of Mehetnusekhet.[1]

---

1. تُرجمت ماع-خرو *mꜣꜥ-ḫrw* كما وردت لدى قراء المتون المصرية بالمظفّر triumphant، غير أنها عُدّلت إلى justified أي المحق، وهكذا أثبتناها هنا. إذا عدنا إلى معجم بدج نجد أن (ضمن صيغ هيروغليفية أخرى) – وهو ينقلها maā-kheru – تعني صوت الحق أو كلمة الحق (كما في حساب الآلهة) لتأكيد البراءة، وصيغتها المؤنثة معت-خرو *mꜣꜥt-ḫrw* (أو maāt-khreu كما يكتبها بدج، ص. 271)، وهي ترتبط بالظفر والبراءة معاً ، والأصل في الكلمة أنها تجمع بين «مع»، الحق والحقيقة، و«خرو»، الصوت والكلمة. من هنا فإن كلمة مُحِق تبدو أفضل ترجمة لها.
2. يرد اسم محتنوسخت في النصوص المصرية بصيغة Mḥt-n-wsḫt وينقله بريستد: مهتنوسيخت Mehetnusekhet.

ثم يعود النقش ليذكر الأب أيضاً ويصفه بأنه كان كذلك:

«شيشنق المحق، زعيم مَ العظيم، زعيم الزعماء».

ششنق ماع-خروپا ورعا ن مع ورن ورو

Šš3nq m3ʿ-ḫrw p3 wr ʿ3 n Mʿ wr n wrw

Shoshenk, the justified, the great chief of Me, chief of chiefs.

يوصف الأب شيشنق Ššnq، وبعده الابن نملوت Nmrt، في هذا النقش الطويل بأنه «زعيم مَ»، دون أن تُذكر كلمة «مشوش»، وهذه – في ما نعلم – أول مرّة يرد فيها هذا اللقب مرتبطاً بالأسرة الحادية والعشرين، مع الإشارة إلى وجود لقب أسبق، يعود إلى الأسرة العشرين، هو «زعيم ءم» The chief of 3M، ولكننا نغفله هنا بسبب غموض قراءته.(2)

كان شيشنق الجد ذا مكانة رفيعة ونفوذ كبير في عهد الملك پسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، ولم يتردّد الملك بعد هذه الشكوى في الأمر بإعدام المخرّبين، وتجديد الضريح وحمايته، واتّخذ

---

1. Breasted, op. cit., IV, 329.

2. ورد لقب «زعيم ءم» في الأسرة العشرين، في نص يحتفي بانتصارات رمسيس الثالث، حرفياً: عبعتي زعيم ءم *ʿbʿty is the chief of 3m*، وقد رُجّح دون إثبات أن «ءم» *3m* في هذا النقش كانت في الأصل «أمُر» (عَمُر) أو «أمور» (عمور *ʿAmor*) تآكل حرفها الأخير واندثر من النقش. أما «عبتي» *ʿbʿty* فقد رأى بريستد أن قراءتها غير مؤكدة، مشيراً إلى أن الكلمة تظهر عدة مرات في نصوص رمسيس الثالث، وأنها تُطلق غالباً على الملك، ثم افترض أن هذه الكلمة صفة تعني «مقرّن»، فإما أن يكون الموصوف ملكاً ذا تاج مقرّن، وإما أن يكون نطيحاً (مات نطحاً بقرنين)، وبما أن النقش يتّصل بزعيم أجنبي، فإن الاحتمال الثاني هو الأرجح، ثم يعود ليؤكد أن الإشارة إلى «أمر» لا تعدو أن تكون مجرد تخمين، اعتماداً على الحرفين الأول والثاني 3M، لأن الحرف الثالث غير مقروء. انظر: Breasted, op. cit., IV, 21.

شيشنق سادنيْن «أشوريين»، هما إخامون Iẖamon وإكبتاح Ekptah،[1] يقومان على خدمة الضريح بدلاً من سدنته السابقين الذين نتوقع أنهم كانوا من الأرقاء.

حسناً، لنقرأ نقشاً آخر بعيداً عن طقوس المعابد تدور أحداثه في «مدينة غير معروفة»،[2] يتحدث عن حاتي-حنكر *Hꜣ-ty-ḥnkr* (ينقل المؤرخون اسمه بصيغة هيتهنكر Hetihenker)،[3] يبدو أنه كان حاكم مقاطعة من مقاطعات الدلتا الغربية، عاش في عهد شيشنق الرابع، ويوصف بأنه «زعيم م».

يتحدّث هذا النقش الذي لا يرتبط بمدينة محدَّدة عن رئيس قوافل الفرعون The chief caravaneer of Pharaoh، واسمه «واشاتيهات» *wꜣšꜣtiḥꜣt*[4] أهدى إلى معبد حوت-حُر (حتحور) مساحة شاسعة من الأراضي، وكان كبير حجّاب المعبد يدعى «پاسعقا» *Pꜣsʿqꜣ* (نقله بريستد Pese'ke)، ويقول پاسعقا هذا أنه يعمل برعاية سيده: «زعيم ليبيا (ر-ب) العظيم، زعيم «مَ» العظيم، حاتي-حنكر» *Hꜣ-ty-ḥnkr* ، حرفياً:

The great chief of Libya (R-b), great chief of Me, Hetihenker.[5]

نقلَ بريستد اسم قبيلة «رب» *Rb* (ربأ *Rbꜣ* وربو *Rbw* في نصوص أخرى، أي ليبو) جاعلاً إياه اسم علم دالاً على «بلاد ليبيا»، بالرغم من أن اسم ليبيا لم يُعرف بهذا المعنى في ذلك الزمن بعد، بل كان الاسم يقتصر على قبيلة من القبائل التي تتوطّن غرب النيل (نفترض ذلك مؤقتاً)، والحال أن بريستد

1. Breasted, op. cit., 330.
2. Ibid., 392.
3. Ibid., 390.
4. نقله بريستد Weshtehet (1906)، ونقله ريتنر Washtihat (2009).
5. Breasted, op. cit., 393.

قبل ذلك كان قد ذكر أن «مَ» Me أينما وردت إنما هي اختصار «مشوش»، فلا بد أن هذه الطريقة في نقل الأصل المصري أراحته من هذا الجانب دون شك، إذ بدلاً من أن يقول أن حاتي-حنكر هو زعيم الليبو، وأنه أيضاً – وفق نظريته في تفسير «مَ» – زعيم المشوش كذلك، فإنه يجعل «رب» R-b هذه تعني ليبيا بأسرها، أي إن حاتي-حنكر هو «زعيم ليبيا»، فهو إذن «زعيم المشوش»، على قاعدة من يحكم الكل يحكم الجزء تبعاً، وهكذا يحلّ الإشكال بكل سهولة، وكنا سنأخذ بذلك لو أن العالم كان يعرف آنذاك «بلداً» يُدعى ليبيا، غير أنه لم يكن!

إن قراءة النقش كما جرت نقحرته عن النص الأصلي، تفيدنا بأن حاتي-حنكر كان زعيم «رب» العظيم، أي إن حاتي-حنكر ذا المنصب الرفيع هذا، كان زعيم قبيلة الليبو (مكتفين بأن دلالة رب هنا RB تقتصر على الليبو)، وأنه بالإضافة إلى ذلك كان زعيم «مَ»، فإذا كانت «مَ» اختصاراً من «مشوش»، فإنه زعيم الليبو والمشوش معاً، وزعامة أكثر من كيان قبلي في وقت واحد صيغة نادرة لم تُذكر إلا في أوقات الحروب التي تقتضي تحالف القبائل، فالأولى إذن أن نقرأ النقش بطريقة أخرى أكثر اتساقاً، أي أن يكون حاتي-حنكر، أو الأمير حنكر هذا، «زعيم الليبو»، وهو في الوقت نفسه زعيم شيء آخر يدعى «مَ»؛ سوف نرى! ولكن قبل ذلك ربما يحسن بنا أن نسأل: كيف أدرج بريستد فرضية الدمج بين «مَ» و«مشوش» وزرعها في عمق المصريّات فبدت كأنها حقيقة تامة لا تقبل الجدل؟

في ترجمة نقش يعود إلى عهد الملك فاما، أو باما *Pꜣmꜣ* أو باميو *Pꜣmiw* كما تذكره النصوص المصرية،[1] ترد العلامة «مَ» Me واسم «مشوش» معاً

---

1. ينقله بريستد بصيغة پيمو Pemou. وتوجد عدة صيغ في كتابة اسمه، أشهرها Pamiu، ويفسّر عادةً بأنه القط، أي الملك القط.

في السياق ذاته. يقول النقش:

«زعيم مَ العظيم، پديست، المحق، ابن زعيم المشوش العظيم، تاكيلوت، المحق».

ورعا نا معو پادياست ماع-خروسا ورعا ن نا معشواش ثكريوْت ماع-خرو

wr ꜥꜣ nꜣ Mꜥ.w Pꜣdiꜣst mꜣꜥ-ḫrw sꜣ wr ꜥꜣ n nꜣ Mꜥšwꜣš Ṯkriwt mꜣꜥ-ḫrw

Great Chief of the Ma, Padiese, the justified, son of the Great Chief of the Meshwesh, Takelot, the justified

أي إن پادياست (پديست) كان زعيم مَ («مع» Mꜥ في النص)، وهو ابن تاكيلوت الذي كان زعيم «المشوش». تُرى لماذا يرد الاسمان («مَ» و«مشوش») متتابعين على هذا الشكل؟ ولماذا لم يُكتفَ بتكرار أحدهما إذا كانا يؤديان المعنى نفسه؟ لكي يحلّ بريستد إشكال تتابع اللفظين فإنه يعلّق قائلاً: «يثبت هذا أن «مَ» Me هي اختصار «مشوش»، لأن تاكيلوت، والد پديست، يظهر بوصفه «رئيس مَ»، في اللوحة السابقة».[1]

ولكن ماذا يعني ذلك حقاً؟ حسناً، كان تاكيلوت في نقش آخر «زعيم مَ»، وهو في هذا النقش «زعيم المشوش»، فما الذي يحول دون أن يكون تكيلوت زعيم المشوش وزعيماً الـ«مَ» معاً؟ نعود إلى نص «اللوحة السابقة» الذي أورده بريستد وفسّر به هذا الدمج بين «مَ» و«مشوش»، فنجد:

«محبوبه الأفضل، رئيس «مَ» العظيم، پديست المحق، ابن زعيم «مَ» العظيم، تاكيلوت المحق».

حس مرِف ورعا ن مع باياست ماع-خروسا ن ورعا ن مع ثكريوْت ماع-خرو

ḥs-mr=f wr ꜥꜣ n Mꜥ Pꜣdiꜣst mꜣꜥ-ḫrw sꜣ n wr ꜥꜣ n Mꜥ Ṯkriwt mꜣꜥ-ḫrw

His beloved favorite, Great Chief of the Ma, Padiese, the justified,

1. Breasted, op. cit., 390.

son of Great Chief of the Ma, Takelot, the justified[1]

إن هذا لا يعني شيئاً سوى أن الاب وابنه يشتركان في هذا اللقب، أي إنهما كانا زعيمين من زعماء «مَ»، ولا يعني إطلاقاً أن «مَ» و«مشوش» يؤديان المعنى نفسه، كما أعلن بريستد.

لقد أوضحت الأمثلة السابقة أن لقب «ور مَ» سابقٌ على الأسرة الثانية والعشرين، كما في لوحة شيشنق الجد، وأن هذا اللقب قد يرد مع كلمة مشوش في نقش واحد، كما في لوحة حاتي-حنكر ولوحة تاكيلوت بن پديست، والغالب أنهما يعنيان شيئين مختلفين. سوف نمضي إلى تحليل عبارة «ور ن م» wr *n* m كما وردت في النصوص المصرية، لنرى ماذا تعني، مع الالتفات أولاً إلى كلمة «ور» التي قُصرت ترجمتها في الغالب على أنها تعني «زعيم»، وما إذا يحسن بنا أن نجدّد ترجمتها؟

تتكون الجملة من «ور»، وأداة الإضافة «ن»، و«م». كلمة «وُرْ» التي درجنا على ترجمتها بصيغة «زعيم» ينقلها بعض الباحثين wr ، مثل بريستد، كما ينقلها بعضهم الآخر ur، مثل بدج.

تفيد «ور» في معجم بدج معنى العظمة والكثرة والضخامة، وتُكتب في أبسط صيغها البربائية أو ، فإذا ارتبطت بالإله في صيغة أو فهي الإله العظيم، وإذا ارتبطت بالإنسان في صيغة أو أو غير ذلك من الصيغ فهي الرجل المسن، أو النبيل، أو الأمير، أو السيد، أو القيّم على القضايا الكبرى العامة، ومؤنثها ورت ، أو . كما تعني المظفّر أو المنتصر إذا وردت بصيغة ، وتعني عموماً صفة

1. انظر بريستد Breasted 1906, 387، وكذلك Ritner 2009, 390 ، مع بعض الاختلاف في ترجمة الأصل المصري ونقحرة الأسماء.

النبالة بالنسبة إلى الرجل أو المرأة. ومنها ورعا (العظيم السّامي) صفةً للملك، وكذلك ورعات (العظيمة السّامية) صفةً للملكة.[1] وكلمة وُر عامةً هي أقرب إلى الوجود الغيبي (الإلهي)، كما في «وُرُو» وتعني الآلهة، أو أرباب السموات، أو الآلهة التي أنارت الظلام،[2] و«وُروي» أي: الإلهان العظيمان حورس وست، و«وُرِت» أي: الإلهات الأربعة حاميات الموتى، وهي أيضاً لقب الإلهة نيث وآلهة أخرى.[3] وإذا أضيفت «وُر» إلى «وُرتِ» بصيغة وُر-وُرتِ فإنها تكون لقباً للإلهة إيزيس والإلهة نفتيس.[4] وهناك العشرات من الأسماء الدالة على ارتباط الكلمة بالآلهة والإلهات، والأصل فيها معاني السمو والعظمة والارتفاع.

وتعني «ور» في معجم فوكنر صفة العظمة أساساً، وتدلّ على عظمة المكانة أو علو القدر أو زيادة الحجم أو طول العمر. ومؤنثها وُرْت : علو المنزلة والأهمية، كما تعني بإضافة علامة تاج الجنوب عرش مصر العليا، وبإضافة تاج الشمال عرش مصر السفلى، أما بالإشارة إلى رجل ما بوصفه وُر فذلك يعني أنه عظيم، أو رفيع المنزلة، أي عين من الأعيان، أو كبير من كبراء القوم، أو رأس طائفة، ويشار بها أيضاً إلى إله (أو آلهة) المكان أو البلد، كما يشار بها إلى حكّام البلاد الأجنبية وملوكها.[5] مع استخدام اللفظ في وصف المقام العالي إطلاقاً بكلمة عا-وُر *ʿa-wr* وتعني حرفياً «الباب العظيم».[6] وهي الكلمة

1. انظر هذه المعاني وتعدّد صيغ الكتابة في: بدج (1920)، ج1، ص 170-171.

2. Budge, op. cit., I, 170-172.
3. Ibid., 172.
4. Ibid., 173.
5. Faulkner, op. cit., 78.
6. Ibid., 107.

التي يقرؤها بدج بصيغة وُر-عا *wr-ʿa* وتعني: الملك، وتُكتَب أيضاً ، ومؤنثها ورت-عات *wrt-ʿat* أي الملكة.[1]

وكثيراً ما تتردّد كلمة وُر بمعنى العظمة والكبر في ألقاب الآلهة والكهنة، مثل:

- أست ورت مت نتر *ꜣast wr-t-mut-neter* «إيزيس العظيمة، أم الإله»،[2] أي أم حورس.

- وعب-وُر *wʿb-wr* : الحرم العظيم، وهو لقب أوزيريس.[3]

ومن ألقاب الكهنة نجد لدى فالكنر:

- ور ماو *wr-mꜣw* : الكاهن الأكبر بين كهنة رع في معبد هليوبوليس، وتعني حرفياً: كبير الرائين، أي الذين يتلقون وحي الإله ويتحدثون به.

- ور خرپو حمو *wr-ḫrpw-ḥmw* : الكاهن الأكبر بين كهنة بتاح في ممفيس، وتعني حرفياً: كبير سادة (شيوخ) البنّائين (أو الحرفيين).

- ور ديو *wr-diw* : الكاهن الأكبر بين كهنة تحوت في معبد هرموبوليس، وتعني حرفياً: كبير الخمسة.

- ور حكاو *wr-ḥkꜣw* : الكاهن الساحر الذي يلبي رغبة الإله أو الملك، وتعني حرفياً: كبير السّحرة.[4]

كما نجد عند بدج أمثلة كثيرة عن ارتباط هذا اللقب بالكهنة، منها:

---

1. BudgeI, op. cit., I, 171.
2. Ibid., 81.
3. Ibid., 156.
4. Faulkner, op. cit., 78-79.

- ور-رع *wr-Rʿ* لقب كاهنة معبد أوزيريس.

- ور-حعو *wr-ḥʿw* : لقب الكاهن الأكبر في سايس.

- ور-حبَ *wr-ḥbꜣ* : لقب الكاهن الأكبر في مصر السفلى.

وكذلك: ور-م *wr-m* ، وهو لقب أطلق على الكاهن الأعلى في أون (هليوبوليس). ويُكتب بصيغ أخرى عديدة، منها[1]: ، ، ، وتعني حرفياً «كبير مَ»، أو «القيّم على توطيد مَ»، وهي تناظر «ور مَ» موضوع نقاشنا تماماً.

نخلص من ذلك إلى إن وُر لا تقتصر على وصف الزعامة أو القيادة بمعنى الحُكم وسوس الجموع، بل إن هذه الدلالة تعدّ ثانوية إذا ارتبط الأمر بالكهنوت، ولا تُستخدم إلا من حيث تعبيرها عن عظمة الشأن، وهي بشكل عام أكثر اتصالاً بمعنى التبجيل أو الإشارة إلى رفعة الموصوف وعلو شأنه، دينياً ودنيوياً، أما إذا ارتبط اللقب بالكهنوت فهو حرفياً «السادن» Custodian، (لا الكاهن)،[2] أي القيّم على إقامة طقوس المعبد وحماية أسراره، وإنفاذ إرادة الآلهة ممثَّلةً في الملك، ولا تختلف إرادة الآلهة عن إرادة الملوك في سِيَر السّدنة والقَوَمَة كما حفظتها لنا النصوص المصرية، وإلا كان ذلك علامة على انفصال الدولة حيث يقوم سادة الكهنوت (أي السّدنة الرؤساء) بأداء وظيفتهم مستقلين عن سلطة القصر، وهناك أمثلة

---

1. Budge, op. cit., I, 171.

2. السّادن في الفصحى هو «خادم الكعبة وبيت الأصنام»، جمعها سدنة، الفعل منها سدَن يسدُن، والأصل فيها الحجب والمنع والوقاء، والسادن ليس حاجباً فحسب، ف«الحاجب يحجُب وإذنه لغيره، والسّادن يحجب وإذنه لنفسه» (ابن منظور: سدن)، والسادن الذي يحمي، أو يقي، ويحجب، أو يمنع، غير الكاهن الذي يكهُن أي يتحدث بالأحوال غيباً.

تاريخية تؤكد ذلك.

كلمة «سادن» إذن – في معناها اللغوي المباشر من ناحية أولى، وفي دلالتها الكهنوتية من ناحية أخرى– هي الأقرب في اللغة العربية لترجمة «وُر» كلما ارتبطت بالكهنوت المصري، فالسادن هو الذي يَسْدُنَ (يحجُب، يمنَع، يستُر، يقي، يحفَظ)، وبمراجعة الأمثلة الثلاثة الأخيرة، نجد أن «ور-رع» *wr-Rˁ* وهو لقب كاهنة معبد أوزيريس (أبو صير)، ليس سوى «سادن رع» حرفياً، وأن «ور-حعو» *wr-ḥˁw* ، ليس سوى لقب أطلق على الكاهن الأكبر سادن معبد سايس، وأن «ور-حبَ» *wr-ḥbꜣ* ليس سوى «سادن إله الفيض» سُمّي به الكاهن الأكبر في مصر السفلى. وكما ترى فمن غير المجدي هنا أن نترجم كلمة «ور» بالزعامة في مثل هذه الأمثلة، فالأصل فيها الكبر والسمو في وصف الكهنة، أو بالأحرى سادة الكهنة وكبارهم، لا غير.

لنأخذ مثالاً عن ذلك. سوف نقرأ شذرات من نص يتكرر فيه لقب «ور ن مَ» مرتين، وهو من نقوش معبد خونسو يخلّد تقليد عنخ-ن-خنسو *ˁnḫ=f-n-Ḫnsw* ، كاهن منو *ḥm-nṯr Mnw* ، منصباً رفيعاً في عهد تاكيلوت الثالث، وفي النقش تُذكر صلة كانت مجهولة بين الأسرة الثانية والعشرين والأسرة الحادية والعشرين.[1]

---

1. للاطلاع على النص كاملاً: ريتنر 2009، 12-13، وجزئياً: كيتشن 1986، 323، 357، 534-535، 581. يعلق ريتنر على هذا النقش بقوله أن القيمة التاريخية التي يمثلها هذا النص لم تُعرف حتى عام 1977 عندما أظهر جين يويوت أن أسلاف عنخ-ن-خنسو كان من بينهم نملوت، والد شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، ومهتموسخت والدة نملوت وأوسركون الأكبر الذي صار خامس ملوك الأسرة الحادية والعشرين. انظر: Ritner, op. cit., 11 .

نجد في هذا النص ألقاباً وصفات مثل: محبوب الإله *mrỉ-nṯr* ، كاهن منو *ḥm-nṯr Mnw*، وهو في مجمله يتوجّه بالدعاء إلى الإله أمون-رع ملك الآلهة، *ʾImn-Rʿ ny-sw.t nṯr*، ويذكر حورس *Ḥr* وإيزيس *ꜣst* ، وفي الأثناء يذكر:

(1) «كبير مَـ، الكبير في الأرض».

ورعا نا معوعا قعح

wr ꜥꜣ nꜣ Mꜥ.w ꜥꜣ qꜥḥ

(2) «نامارتي (نملوت) ذو كلمة الحق، كبير «مَـ».

نامارتي ماع-خروپا ورعا نا معو

Nꜣmꜣrtỉ mꜣꜥ-ḫrw pꜣ wr ꜥꜣ nꜣ Mꜣ.w

(3) «ابنة كاهن آمون [...]، كاهن أمون-رع، ملك الآلهة».

سات حم-نثر أمن [...] حم-نثر أمن-رع نيسوت نثرو

sꜣ.t ḥm-nṯr ʾImn [...] ḥm-nṯr ʾImn-Rʿ ny-sw.t nṯr

(4) «كاهن الإلهة [...] حارسة ذخائر الأرضين».

حم-نثر نثرت نبت [...] اوخ(؟) امي-را پر-حج ن نب تاوي

ḥm-nṯr.t nb.t [...] ỉwḫ(?) ỉmy-rꜣ pr-ḥḏ n nb tꜣ.wy

نلاحظ أن الاسم الذي يُنسَب إليه اللقب الأول قد مُحي أو تلِفَ من النقش، ويقترح ريتنر أنه شيشنق الجد، وترد *ꜥꜣ qꜥḥ* في ترجمته نقلاً عن كيتشن «زعيم الإقليم» chief of the district، كما نراه كذلك لدى الباحثين عامةً. إذا نظرنا إلى بنية العبارة *wr ꜥꜣ nꜣ Mꜥ.w ꜥꜣ qꜥḥ*، نجد أن «مَـ» ترد بصيغة الجمع، أي السُّنن، أو شرائع كل الآلهة، وفي صيغة الجمع نوع من التبجيل ينعكس على ما بعدها أي «قعح» *qꜥḥ* التي تؤدي أساساً معنى كتف أو ذراع، وتعني ركناً من الأرض، ولكنها تؤدي هنا معنى الأرض، أو الأركان الأربعة من العالم،[1] إشارةً إلى الجهات الرئيسية الأربع، إعلاءً

1. Budge, op. cit., II, 766.

وتبجيلاً. وإذا نظرنا إلى هذا «الفيض» في التسميات الكهنوتية والدينية فإننا بالنتيجة لا نستطيع التفكير إطلاقاً في أن هذا النقش المعبدي كان يتعلق بقبيلة ليبية، أو غير ليبية، فقط لأن خلطاً وقع بين معنيي الزعامة والسدانة في كلمة «ور».

هذا في ما يتعلق بـ«ور»، ويمكننا قرءة الأمثلة السابقة مع إبدال كلمة زعيم بكلمة سادن أو كبير الكهنة، حسب السياق، وسوف نكتشف أن جميع الألقاب المذكورة تؤدي معنى واضحاً متسقاً مع بقية النقش، حيث يكون للقب «ور» الكهنوتي معنيين أساسيين: «كبير» (بمعنى رفعة الشأن) و«سادن» (بمعنى القدرة على الحجب والحماية والمنع)، أما ارتباطها بالرئاسة والزعامة فلا يكون إلا مع ذكر الجيوش أو القبائل، وعلى هذا النحو يكون لقب الكاهن الأكبر شيشنق الجد:

ورعا ن ورو، ششنق، ماع-خرو

wr ꜥꜣ n wr.w Ššꜣnq mꜣꜥ-ḫrw

أي: «كبير السّدنة، شيشنق، المحق» (حرفياً: ذو الكلمة الحق أو المتكلّم حقاً).

وهو: **ششنق ماع-خروپا ورعا ن مع ورن ورو**

Ššꜣnq mꜣꜥ-ḫrw pꜣ wr ꜥꜣ n Mꜥ wr n wrw

أي: «شيشنق المحق، سادن مَ الكبير، كبير السّدنة».

وابنه نمرث (نملوت): **ورعا ن مع نمرث ماع-خرو**

Wr ꜥꜣ n Mꜥ Nmꜣrṯ mꜣꜥ-ḫrw

أي: «سادن مَ الكبير، نمرث، المحق».

وفي نقش پديست:

ورعا نا معو پادياست ماع-خروسا ورعا ن نا مشواش ثكريوْت ماع-خرو

wr ꜥꜣ nꜣ Mꜥ.w Pꜣdiꜣst mꜣꜥ-ḫrw sꜣ wr ꜥꜣ n nꜣ Mꜥšwꜣš Ṯkrỉwt mꜣꜥ-ḫrw

أي: «سادن مَ الكبير، پديست المحق، ابن زعيم المشوش تاكيوت المحق».

وهما (الأب وابنه):

حس مرِف ورعا ن مع بادياست ماع-خروسا ن ورعا ن مع ثكريوْت ماع-خرو
ḥs-mr=f wr ꜥꜣ n Mꜥ Pꜣdiꜣst mꜣꜥ-ḫrw sꜣ n wr ꜥꜣ n Mꜥ Ṯkriwt mꜣꜥ-ḫrw

أي: «محبوبه الأفضل، سادن مَ الكبير، پديست المحق، ابن سادن «مع» الكبير، تاكيلوت المحق».

وفي نقش عنخ-ن-خنسو:

ورعا نا معوعا قعح

wr ꜥꜣ nꜣ Mꜥ.w ꜥꜣ qꜥḥ

أي: «سادن مَ، كبير الأرض ».

و: **نامارتي ماع-خروپا ورعا نا معو**

Nꜣmꜣrti mꜣꜥ-ḫrw pꜣ wr ꜥꜣ nꜣ Mꜣ.w

أي: «نملوت ذو كلمة الحق، سادن مَ».

وهكذا، فإن كلمة «ور» إذا ارتبطت بكيان إلهي فهي السامي أو الأعلى supreme، مثل: أست ورت *ꜣast wr-t* إيزيس السامية أو العليا، وإذا ارتبطت بألقاب الكهنة فهي السادن costodian عموماً، مثل: ور-رع *wr-Rꜥ* سادن رع، وهو لقب كاهنة معبد أوزيريس، وإذا ارتبطت بصفة أخرى تُنسب إلى الكاهن فهي الكبير great، مثل: ور خرپو حمو *wr-ḫrpw-ḥmw* أي كبير سادة (شيوخ) البنّائين، وهو لقب الكاهن الأكبر بين كهنة بتاح في ممفيس، ومثل: ور-م *wr-m* أي سادن م، وهو لقب أطلق على الكاهن الأكبر في أون (هليوبوليس). وإذا ارتبطت بقيادة الجيش أو رئاسة القبائل فهي الزعيم أو القائد أو الرئيس وقد ترتبط بكلمة عا *ꜥꜣ* التي تعني الكبير وتشير مجازاً إلى

الزعيم. مثل: ور عا ن نا مشواش *wr ꜥꜣ n nꜣ Mꜥšwꜣš* أي زعيم المشوش الكبير.

فلننظر الآن في «م» *M* (أو «ما» *Mꜣ* أو «مع» *Mꜥ*) التي حُمّلت معنى «مشوش» دون أن يعاد النظر في تحليلها والتدقيق في دلالتها!

يظهر الاحتفاء بالتقليد الملكي الذي ورد في مثال عنخ-ن-خنسو السابق محاطاً بألقاب التبجيل وذكر الأنبياء والآلهة، حيث المشاعر الدينية تبدأ ثم تختتم به، فلا مجال في هذا النقش إطلاقاً –حسب موضوعه الرئيسي– للتفكير بأن مَ تعني مشوش. إنما مَ هي إرادة الآلهة في الكون بين البشر، وهذا ما سنبيّنه في الفقرات التالية.

إن القيمة الصوتية «م» *M* و«ما» *Mꜣ*، وفق بدج، تعني العطاء وأبسط أشكالها في الكتابة البربائية هو 𓅓، تمثّلها كلمة «ما» أو «مَعْ» *mꜥ* 𓂝 ، وتعني: أعطى، وهبَ، قدّمَ، قرّبَ. والكلمة نفسها بصيغة 𓅓𓂝، أو بصيغة الجمع 𓅓𓅓𓅓 تعني: الشعائر أو طقوس منح القرابين والتقدمات، وهي بصيغة أخرى𓌳 تعني حدوث شيء فعلي أو حقيقيّ، أو كون الشيء حقاً.[1]

هذه الكلمة تؤنّث بصيغة معت *Mꜥt* (maāt) 𓌳𓐙𓏏 فتعني الحق، الحقيقة، الصواب، العدل.[2] وذلك هو اسم الإلهة «مع» *Mꜥ* (Maā وفق بدج) المعروفة بصيغة «معت» *Mꜥt* (Maāt)، كما إن معت 𓐙𓂋𓏏 هي الإلهة التي تفتح أفواه الموتى أثناء الحساب.[3] ومعت أيضاً 𓆄 هو لقب الإله تحوت، ويعني صائب الحكم أو المحق، وهو بصيغ بربائية أخرى: رجل الحقيقة، أو الصادق حقاً.

1. Ibid., cvii.
2. Ibid., 270.
3. Ibid., 271.



ش. 5:تحوت ناسخ الآلهة، ومعت، عن بدج، ص. 471، 483

الإلهة مع (أو معت) قرينة الإله تحوت التي كانت معه في قارب رع عندما انبثق إله الشمس أول مرة من عمق المياه الأولى، مياه البدء. رمزها ريشة النعامة 𓆄 على غطاء رأسها، أو قد تمسكها بيدها في بعض الأحيان، وعادة ما تُرسم معت واقفةً أو جالسةً 𓁦 تمسك الصولجان 𓋹 بيد ورمز الحياة 𓋹 باليد الأخرى، كما صُوّرت بجناحين أحياناً.[1]

يُنطق الرمز الهيروغليفي 𓌳 «مع» و«معت»، وتمثل قيمته الصوتية، وفق بدج، الحق والحقيقة والأمانة والاستقامة والنظام،[2] ويمكن أن يُقرأ ما (مأ *mꜣ* ، مَ ma)، أي إن هذا المقطع يختصر اسم معت 𓌳𓏏𓆄 أو 𓌳𓂝𓏏 الذي يقول بدج أنه «أكثر وضوحاً، لأننا نعلم من جمل عديدة في نصوص كل العصور أنه يدل على «الشيء الذي يكون مستقيماً»، وربما

1. بدج، 1998، ص. 480.

2. Budge, op. cit., I, cxxxiii.

يكون الاسم الذي أطلق على آلة من آلات الصنّاع لحفظ الاستقامة... تُستخدم للحفاظ على استقامة الأشياء، وبعد ذلك «مسطرة» تستخدم مع الحجارة، وأخيراً بدلالة مجازية: قاعدة، أو قانون، أو لائحة، أو شريعة يحافظ البشر بواسطتها على جعل حياتهم وأفعالهم مستقيمة ومُحكمة». ثم يضيف أن المصريين «استخدموا الكلمة بمعنييها المادي والمعنوي، فهي تعني العدل والصدق والحق والواقع والنقاء والاستقامة والأصالة والصلاح وعدم التردّد... إلخ».[1] وبهذه الكلمة يوصف الرجل فيقال: «رجل معت» *m‘t* أو «رجل مغْ» *m‘* أو «رجل ما» *mꜣ* بمعنى رجل نبيل، فاضل، أمين، وصارت معت إجمالاً تدلّ على الحقيقة الدائمة والنظام الذي لا يجب أن يُخترق، وهي قاعدة لم يشك المصريون قط في أنها بدأت منذ عصر أوزيريس، ومثنّى اسمها، معتي *Ma‘ti*، يعني «معت، ربة الشمال والجنوب»، ويضمر معنى نظام الأرضيْن وشريعتهما.

لاسم معت طبيعة معنوية مجرّدة قد لا نعثر على مثيل لها في أسماء آلهة مصر الأخرى، وهي أقرب إلى أن تكون «مفهوماً أخلاقياً» في سلسلة من سرديات الآلهة المليئة بالحكايات والأمثلة، و«لقدرتها على الانتظام بمسار إله الشمس أُطلق على معت: ابنة رع، وعين رع، وسيدة السماء، وملكة الأرض، وربة العالم السفلي، وكانت بالطبع: سيدة الأرباب والربّات».[2] وعلى وجه العموم «لا توجد كلمة واحدة يمكن أن تشرح ما تتضمّنه كلمة معت من معان ومفاهيم».[3] ويتّصل اسمها بوجود البشر وهم على قيد الحياة، وبوجود أرواحهم بعد الحياة، وهم ملزمون في وجودهم الأول بمسطرة

---

1. بدج، م. س. ص. 481.

2. م. ن. ص. 482.

3. أرموار، 2005، ص 118.

الاستقامة واتباع نظام الكون كما رسمته لهم الآلهة، وملزمون في وجودهم الثاني بمسطرة الحساب والرضوخ أمام أوامر الآلهة وهي ترسم عاقبتهم.

هذا عن تصاريف «م» في صلتها بالحق والعدل وعموم الخير، فلنمض مع بدج في تحليل هذه الكلمة، ثم نعود على بدء.

تعني م *m* بصيغتها هذه: موت، أما «مع» *mꜥ* ، وتُقرأ أيضاً «مي» *mỉ*، وتعني: رأى، دقّقَ، تمهّلَ.[1] وهي بالمد أيضاً «ما» *mꜣꜣ* فتفيد الرؤية والتحقّق، ووجود ما هو مرئي منظور، ومنها كلمة *mꜣꜣ* بمعنى موقع الرؤية والرّصد (كما في برج المراقبة مثلاً)، فإذا وردت بصيغة فهي الرائي، أو الذي يتحدث باسم الوحي، أي صوت الإله، وإذا أُنّثت بصيغة مات *mꜣꜣt* فهي الرؤية في حد ذاتها، أو حاسة البصر، والبصيرة أو الرؤيا (بمعنى التوقّع والتنبؤ)، أما «مء» (مَ) *mꜣ* (ma) بصيغة فتعني القِراب أو الغمد (غمد السيف مثلاً)، وهي كلمة يحيلها بدج إلى بروغش Brugsch،[2] والمعنى عموماً هو الإحاطة والحفظ. وتفيد بصيغة معنى القتل أو الذبح. وضمن هذه الدلالة فإن «مَ» تعني الجنود، وهو معنى يشكّ فيه بدج، كما تعني الحشد أو الجمهرة، أي تجمّع الناس، وبصيغة تفيد التجدّد والشباب والفتوّة، وهي بصيغة «مَ» *mꜣ* الشبيه والمماثل، والتشابه والتماثل.[3]

---

1. Budge, op. cit., I, 279.
2. Ibid., 268.
3. Ibid., 269.

أما بصيغة مُ mu (أو وغير ذلك من طرق الكتابة)، فتعني الماء، ماء بحيرة أو قناة أو بركة، ومُ العَلَمية Mu إله الماء وتجسيد مياه البدء السماوية. وكما ذكرنا فإن م m هي صيغة من صيغ الموت، وهو مِتْ (مِيت) mit أو مُتْ (مُوت) mut واللفظ ذاته بصيغة مو-ت mu-t يعني الأم وأم الأم (الجدة) .

من بين كل هذه المعاني نصل إلى الأكثر دلالة وارتباطاً بكلمة وُر كما أوردناها سابقاً. فـ«مّ»، أو «ما» أو «مَعْ» ، ، من ناحية أخرى لا تعنى سوى مكان العبادة، أي المعبد. وتُجمع على أو وغير ذلك من صيغ الكتابة.[1] والكلمة ذاتها بصيغة تعني حرم المعبد.[2] أما مؤنّثةً فتعود بالمحصلة معت *Mˁt* إلهة الحق والعدل والنظام والتناغم التي تنظّم الحياة في الكون وبين البشر، وتمنع الفوضى والاضطراب والشر والظلم: اسفت .

بالعودة إلى ما ذكرناه أعلاه، فإن كلمة «وُر»، بالإضافة إلى صفة السمو والعظمة، كانت تدلّ على أرباب السموات وتُخصَّص للدلالة على عدد من الآلهة والإلهات. فإذا ربطنا ذلك بمعنى «مّ» كما قمنا بتحليلها الآن، فإن اللقب الذي درجت ترجمته بصيغة «زعماء مّ»، ليس في الحقيقة سوى «سدنة مّ» وهم بهذا المعنى «سادة المصير»، أي القيّمون على إصحاح شريعة الآلهة من حق وعدل ونظام، وإحلال سنّة الإله (أو شريعة الملك، أو الإله/الملك) بين البشر، وهي بهذا المعنى في صيغها الثلاثة: م *M*، ما *Mꜣ*، مع *Mˁ*. هذه هي «مّ» ولا علاقة لها بالـ«مشوش» أو بالليبيين أو بأي كيان عرقي آخر.

فمن حَمَل لقب «كبير مّ»؟ من هم هؤلاء السّدنة الكِبار؟

هذه بعض الأسماء، نوردها بصيغتها البربائية، مع نقحرتها الدارجة في علم المصريات والدراسات التاريخية، وقد أعدنا كتابتها بما يطابق رسمها مع الأصل المصري.

---

1. Budge, op. cit., I, 269.
2. Ibid., 272.

- ماواسان *Mꜣwꜣsꜣn*، وفق اسمه في النصوص المصرية، ويُنقل عادة بصيغة موسن Musen.

- پاثوت *Pꜣ-ṯwt* ، ويُنقل اسمه بصيغة پيثوت Pethut.

- ششنق *Ššnq* ، ويُنقل اسمه بصيغ كثيرة.[1]

- نمرت، نمرث، (نمرات) *Nmrt, Nmrṯ, Nmrꜣt*، ويُنقل اسمه بصيغة نملوت Namlot.

- تكرت، تكرث *Tkrt, Tkrṯ* ، وينقل اسمه بصيغة تاكيلوت Takilot.

- حاتي.حنكر *Ḥꜣty-ḥnkr*، ويُنقل اسمه بصيغة هتيهينكر Hetihenker.

- أكانشا *ꜣkꜣnšꜣ* ، ويُنقل اسمه بصيغة أكينيش Akenesh .

- ز.أمن.أفنخ *Zꜣmnꜣfnḫ* ويُنقل اسمه زيمونفونيخ Zeamonefonekh .

- نسناقدي *Nsnꜣqdy*، (ويرد: نسناعاي *Nsnꜣꜥꜣy*)، ويُنقل اسمه بصيغة نيسنكيدي Nesnekedi.

- تافنختت *Tꜣfnḫtt* ، ويُنقل اسمه بصيغة تيفناخت Tefnakhte .

- پاثفني *Pꜣṯnfy* ، ويُنقل اسمه بصيغة پيثينف Pethenef .

- پاما (فاما) *Pꜣmꜣ* أو پامِيوْ *Pꜣmiw*، ويُنقل اسمه بصيغة پيمو Pemou.

- نخت.حر.ناشنو *Nḫt.Ḥr nꜣšnw* ، ويُنقل اسمه بصيغة نختهرنيشينو Nekhtharneshenu .

---

1. من هذه الصيغ: Sheshonk، Sheshonq، Shashanok ، Shashanoq ، Shashank، Shashanq ... إلخ.

- پنتي-بخنت *Pnty-Bẖnt*، ويُنقل اسمه پنتيبخنت Pentibekhenet .

إننا إذا استثينا الملوك (شيشنق ونملوت وتاكلوت)، نجد أن بقية الأسماء من الأمراء والكهنة لم يكونوا جميعاً من الزعماء أو من قادة الجموع والحشود، بل كانوا سدنةً كباراً (أي ورو *wrw*) قيّمين على استتباب الإرادة الملكية أو الدينية، أو «التشريعية» بشكل عام، أي النظام الذي تكون مرجعيته إرادة الملك أو الإله، وهما إرادتان لا تنفصلان في تراث مصر القديمة.

وكما أشرنا سابقاً فإن «مَ» me ذات حضور عميق في تراث الشرق الأدنى ومعتقداته، فلنقارن الآن بين «ور» wr و«مَ» me في المصرية القديمة والسومرية والأكدية:

تفيد وُرْ (WR أو UR) السومرية 𒌨 الكثرة والغزارة والوقاء والحماية، وهي دلالة اللفظ نفسها في المصرية القديمة، كما تُكتب 𓆀 وتفيد المسح بالزيت، وتُطلق على سادن المعبد أو خادم الآلهة.[1]

أما «مُ» Mû الأكدية-الأشورية، وأصلها Me السومرية 𒈨، فنجدهما بمعنى: سنّة الخلْق، شريعة، قضاء الآلهة؛ إرادةٌ أو أمْرٌ (ملكيّ أو ديني أو قانوني).[2] كما في المصرية القديمة تماماً. وبدلالتها السومرية-الأكدية العامة فإن «م» أو «مَ» Me هي ألواح القدر التي كان الحفاظ عليها جزءاً شاقاً من الحكم ينال الملوك بإنجازه تبجيل رعاياهم وتقديسهم، ويشمل مجموع الأقدار والمصائر التي نظمتها الآلهة لتسيير وتيسير حياة البشر

1. المحجوب، 2016، ص 249. كما تعني السومرية وُرْ UR : أسد أو دمية أسد، وهو معنى نجده في المصرية القديمة أيضاً.

2. م. ن. ص 127.

عبادةً وعملاً ومعاشاً، قرابة مائة تشريع أو أمر إلهي تنضوي جميعها تحت مسمّى «مَ»، وتتصل بالسلطتين التشريعيتين (الدينية والمدنية)، مثل الحكم والإدارة والعبادة والكهنوت وتنظيم الجيوش والاقتصاد والمعاملات والأخلاق والبناء... إلخ.[1]

لنقرأ الآن هذا النقش من «لوحة بعنخي» التي يصفها بريستد بأنها «إحدى أكثر الوثائق الباقية توضيحاً وإفادةً في ما يتعلّق بالحالة السياسية الداخلية في مصر»:[2]

«جاء الملك يوبوت، وأكانشو[3] زعيم «مَ»، والأمير الوريث پديست، مع جميع أمراء أرض الشمال».[4]

يوضّح هذا الترتيب ثلاثة مناصب متدرجة بمعايير الحكم، الأعلى فالأدنى. هناك العرش أو الملك أولاً، ثم زعيم مَ، ثم الأمير.

1- العرش، يمثل السلطات السياسية والدينية والعسكرية، وقد يجمع الملك أحياناً صفة الكهنوت الأعلى بالإضافة إلى العرش، ولهذا السبب فإننا نرى بعض الملوك يلقّبون بأنهم زعماء مَ، بينما يكتفي آخرون بألقاب ملكية غير كهنوتية.

2- «مَ» (م *M*، ما *Mꜣ*، مع *Mꜥ*) صفة كهنوتية أساساً، وغالباً ما ترتبط بسلطة عسكرية، أي القدرة على إنفاذ أمر الإله (أو الملك-الإله) بما يستوجب طاعة الجيوش، ولا تتصل السلطة الدينية بإدارة الدولة إلا عن طريق الملك في العاصمة، أو عن طريق حكام المقاطعات في غيرها من

1. Kramer 1963, 116.
2. Breasted, op. cit., IV, 406.
3. يرد الاسم في النصوص المصرية بصيغة أكانشو ꜣkꜣnšw وينقله بريستد Akenesh.
4. Breasted, op. cit., IV, 436.

المدن، وقد يكون الكهنوت الأعلى في بعض الأحيان منافساً ينازع العرش سلطته إذا بسطَ الكاهن سيطرته على الجيش والفرق المقاتلة، وعادة ما يكون مثل هذا الوضع مقدّمة تغيير سياسي في الدولة، أو سبب انقسام الدولة بين سلطتين (وُصف شيشنق الأول بالحكمة لأنه جعل ابنه يوبوت كاهناً أعلى بين كهنة آمون، وقائد جميع الجيوش، فجمع السلطين السياسية والدينية في أسرة وحدة، أي الإمارة الدنيوية وشريعة «مَ» الدينية).

3- الإمارة، أو وراثة العرش، وغالباً ما يكون الابن الأكبر وريث العرش بينما يصبح شقيقه سادناً أعلى، وإن وُجد أكثر من شقيق فإنهم يتوزعون بين السّدانة العليا وقيادة الجيش وحكم المقاطعات، ويظلّ الجميع تحت إمرة العرش، مع تبجيل «السّدنوت» (الكهنوت الأعلى)، سواءً مثّله شخص ينتمي إلى الأسرة الحاكمة كما يحدث غالباً، أو ينتمي إلى غيرها، وهي حالة نادرة في الأسرة الثانية والعشرين.

كما نرى، فإن هذا الترتيب ظل سائداً على امتداد الأسر 22-24، ثم أقرّه نقش بعنخي (بيي) الكوشي (الأسرة 25). مع الإشارة إلى أن لوحة بعنخي بينما تذكر «زعيم مَ» فإنها لا تذكر زعيم المشوش، والسبب واضح لاشك، فبعنخي (ميري أمن – محبوب أمون) لم يكن ليستطيع إلغاء ذلك اللقب الكهنوتي، بينما كان بمقدوره أن يلغي لقباً عسكرياً ينتمي إلى ملوك سابقين.

هكذا فإن عبارة «سدنة مَ» Custodians of Me التي قرئت خطأً بدلالة «زعماء المشوش» Chiefs of Meshwesh لا تعني في الحقيقة سوى كبار الأمناء القيّمين على استتباب شريعة «مَ» المجسّدة ضمناً في إلهة الحق والعدل وعموم الخير (معت)، أي السّدنة الكبار تحديداً، وهم سادة الكهنة المبرّزون؛ خَدَمة الآلهة الذين لا سلطان بشريّ عليهم، سواء كانوا من

الأمراء الذين ينتسبون بصلة دم إلى االملك أو الأسرة الحاكمة، أو كانوا من كهنة أمون-رع الذين يقدسون الإلهة معت ملكة الأرض وربّة الآلهة، ابنة رع، وعينه التي لا تغفل، ورفيقته في القارب السماوي، «قارب المليون عام».

ملاحظة أخرى تتصل بذلك؛ إذا كانت «مَ» تعني «مشوش»، أو هي اختصار منها، فلماذا نعثر أحياناً على عبارة «أرض المشوش»، دون أن نعثر على عبارة «أرض مَ» على الإطلاق؟ ولماذا اقتصر ذكر «مَ» بالأمانة أو السّدانة، دون الأرض والتخوم؟ أعتقد أن السبب أصبح واضحاً. لأن «مَ» بكل بساطة ليست قوماً من الأقوام، أو جنساً من الأجناس، بل هي منصب كهنوتيّ محض. إننا نجد مثلاً أرض التمحو land of Temeh (*Tmḥ*)، أرض الليبو land of Libyans (*Rbw*)، ومن النادر ألا يُذكر شعب من الشعوب أو قوم من الأقوام، دون أن تُذكر أرضه أو تخومه، لكن الانتساب إلى الأرض أو البلاد لا يتّصل بـ«مَ» التي لا تعني موطن قوم من الأقوام أساساً بل شريعة الآلهة في الأرض بأسرها.

قد يسأل بعضهم: بافتراض أن «مَ» (أو ما، أو مع) تناظر مَعْ *Mꜥ* ومعت *Mꜥt* (أي الحق والعدل)، وذلك هو الأصل في لقب «ور ن مَ»، أي كبار السدنة والأمناء القيّمون على استتباب الحق والعدل، فما الصلة التي تجمع مصر بسومر ومن ثم أشور؟

لقد مرّ بنا أننا لا نستطيع فهم شيشنق إلا بالعودة إلى أشور، الأمر يتّصل كذلك بمعت التي نرى أنها صيغة مؤنثة من م *M* (مَ Me، أو مَ Ma أو معْ *Mꜥ* أو ما *Mꜣ*)، وهذه ليست سوى ألواح القدر في سومر ثم أكد التي عُرفت باسم مَ Me ومُ Mu.

كان بدج قد وصل إلى استنتاج يقول بأن المصريين والسومريين قد أخذوا معتقداتهم الأولى عن مصدر ثالث بالغ القدم معروف لهم، وهو ما

جعل مجمَعي الآلهة في مصر وسومر متماثلين إلى حدّ كبير، ولا يمكن أن يكون ذلك محض مصادفة بينهما.[1] إننا لا نذهب هذا المذهب البعيد في تفسير التماثل السومري المصري، أي افتراض مصدر ثالث مجهول اقتبس السومريون والمصريون معتقداتهم عنه، بل نرى أن تصوّر نشأة أقدم الآلهة (وهي الأزواج الأربعة الأولى في مصر، ومقابلاتها في سومر) كان تصوراً مشتركاً، أو متقارباً، أطلق عليه كل شعب ما وافقه من أسماء، فـ«نو» في مصر وقرينته «نوت» مثلاً، هما «أبزو» وقرينته «ممّو» في سومر، و«ححو» وقرينته «ححوت» في مصر، هما «لخمو» وقرينته «لاخامو» في سومر، وهكذا. ثم ابتكر كل شعب تصوراته وطوّر معتقداته، وبنى مَجْمعَ آلهةٍ تشعّبَ بتشعّب عقائده التي تقترب أحياناً وتتباين أحياناً أخرى.

لنختم هذا الجزء بالإشارة إلى لوحة من الفترة الانتقالية الثالثة تؤرخ بزمن بسوسنس الثاني عُرفت جيداً في علم المصريات باسم «لوحة شيشنق، زعيم المشوش العظيم» The stela of Shoshenk, Great Chief of the Meshwesh. ولابد أن عنواناً مثل هذا يثير بلبلة القراء، إذ كيف يمكن القول أن شيشنق الأول، وسلالته تبعاً، لا علاقة لهم بالمشوش، بينما يحمل أشهر نصّ هيروغليفي يرتبط به هذا العنوان؟ سوف نكتفي بخلاصة توصل إليه كوني تقول: «هذه اللوحة التي نشرها بلاكمان[2] لا تشير في الواقع ولو مرة واحدة إلى المشوش، إذ بدلاً من ذلك فإن كلاً من الاسمين الرئيسين في اللوحة، أي شيشنق ب (الملك شيشنق الأول بعد

---

1. بدج، م. س. ص 331.

2. يشير إلى آيلوارد بلاكمان Aylward Blackman في بحثه The stela of Shoshenk, great chief of the Meshwesh. المنشور سنة 1941 في مجلة علم الآثار المصرية (JEA).

ذلك)، ووالده نمولت، يُذكر بوصفه زعيم مَ العظيم».[1] أي *Wr ꜣ n Mꜥ*، وهو اللقب الذي نقرأه «سادن مَ الكبير»، ولكن جرى الباحثون على الأخذ بتسمية تلك اللوحة كما فعل بلاكمان دون تدقيق.

خلاصة القول في تحليل «ور ن م» *wr n m* : لا يوجد نص قاطع في النصوص المصرية يطابق بين «مشوش» و«مَ»، ولا يمكن أن يوجد أصلاً لاختلافهما اختلافَ السماء عن الأرض، حرفياً، أي لاختلاف عالم السّنن الإلهية الخالدة عن عالم البشر الفانين، وإذا قمنا بمراجعة النصوص التي اعتمد عليها الباحثون لإثبات هذا التطابق نجد أنها غير واضحة تارة، ومبتورة تارة أخرى، أما ما يرد عن «مشوش» و«مَ» كلا على حدة، وإن جمعهما نقش واحد، أو كانتا في نقوش مختلفة، فهو من الوضوح كفايةً بما يجعلنا نأخذ بمعنى مختلف لكل منهما عن الأخرى، على ما حلّلناه وأثبتناه في هذا البحث، بغض النظر عما انتاب الباحثين من عادة المطابقة بينهما.[2]

---

1. Cooney 2011, 295.

2. مثال لذلك نستقيه مما كتبه تروي ليلاند سغريللو T. L. Sagrillo في بحث له عن الأصول الجغرافية للأسرة البوباستية والمواقع المحتملة التي أقام فيها شيشنق الأول بعد اعتلائه العرش ومكان دفنه، نشر عام 2009 ضمن مجموعة بحوث المؤتمر الذي عقدته جامعة ليدن في أكتوبر 2007، وصدرت بعنوان «الحقبة الليبية في مصر، دراسات تاريخية وثقافية». يقول سغريللو: نشأ شيشنق قبل أن يصبح ملكاً ضمن الجيش القبلي الليبي، ووُصف بأنه «زعيم المشوش العظيم»، أما عندما ينقل هذا اللقب كما ورد في النصوص المصرية، فإنه يكتبه: «ور عا ن م<شوش>و» *wr ꜣ n m<šwš>w* ، أي إن هناك ثلاث علامات هيروغليفية مفقودة من النص الأصلي، وهذا لا يعني بالضرورة أن m<--->w في الأصل تعني mšwš ، إذ حتى بافتراض أن الأصل كان m<--->w ، ولم يكن mw، فلا طريقة لدينا لصوغ كلمة mšwš وإحلالها في النقش. قراءتنا لهذا النقش المبتور تعتمد على الاكتفاء بـ *wr ꜣ n m<--->w* أي: سادن م الكبير، مع ترك الاحتمال مفتوحاً أمام الباحثين لسدّ الثغرة =

كلمة «مٓ» إذن لا تعني سوى الحق والعدل، وعبارة «ور ن مٓ» *wr n m* ليست سوى «سادن مٓ»، أي المؤتمن على استتباب الحق والعدل والقيّم على توطيد شريعة الآلهة، ولا صلة لها بقبيلة المشوش، مع التذكير بأن دلالة «مشوش» لم تعد تقتصر في اللغة المصرية على قبيلة وافدة من خارج مصر، بقدر ما صارت تعني: «الجند الأغراب» في جيش مصر أو ما يعرف بـ«المرتزقة» منذ أواسط عصر الأسرة الثامنة عشرة، وقد تركّز معنى الكلمة الثاني بعد توطينهم نهائياً في عهد رمسيس الثالث، ثم لم نعد نرى المشوش خارج مصر بعد ذلك. يتعلّق الأمر كذلك بالتسمية التوراتية «لوبيم» الذين يجعلهم العهد القديم جزءاً من جيش شيشنق في حربه على رحبعام، فاللوبيم (الليبيون) في التعريفات السلالية التوراتية من أبناء مصرايم (أي ذوو أصول مصرية)، أما بالنسبة إلى الجيش الملكي فهم فرقة من الأغراب (المرتزقة) من بين فرق أخرى.[1]

واقتراح علامتين أو ثلاث تنتهي بعلامة w. فشيشنق وفق هذا النص كان «كبير سدنة مٓ»، وهي صفة كهنوتية عسكرية، كما إن هذا النقش يردّ بالإيجاب عن السؤال عما إذا كان شيشنق قد وُصف بأنه *wr n m* مع وصفه بأنه *wr n wrw* أم لا، قبل أن يثبت ذلك في حوليات الكرنك الكهنوتية بصيغة وُرْعَ ن مع ششنق *wr ꜣ n Mʿ* *Ššꜣ(n)q*. انظر Kitchen 1986, 288 و Ritner, op. cit., 51. انظر أيضاً الصفحة السابقة حول لقب شيشنق الأول *Wr ꜣ n Mʿ*.

1. يرتبط اسم اللوبيين في التوراة بالكوشيين، وبالسكيّين أحياناً، أثناء ذكر حملة شيشنق على مملكة رحبعام: «ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكّيين وكوشيين» (أخبار 2/ 12 :3)، «الم يكن الكوشيون واللوبيون جيشاً كثيراً بمركبات وفرسان كثيرة جداً». (أخبار 2/ 16 :8). وهي أسماء تدلّ في التصوّر التوراتي على ثلاثة أجزاء من جيش شيشنق: فاللوبيون هم الجند الذين قدموا من صحراء غرب النيل، والكوشيون من جنوبها، والسكيّون محل خلاف بين شرّاح التوراة، منهم من جعلهم من أصل أفريقي، أو من البدو المصريين الذين توطّنوا =

في هذا الصدد، من المعروف أن جدّ شيشنق الأكبر المسمّى «بويوواوا» يعود إلى قبيلة التحنو، وفق الدارج من تفسير نصّ لوحة پاسن حُر، فلماذا إذن أخذ أحفاده لقب زعماء المشوش؟ هل كان التحنو جزءاً من المشوش؟ بالطبع لا، فالمشوش لم يُعرفوا سوى مع شعوب البحر الغزاة، وتفصل الوثائق والسجلات المصرية بينهما بوضوح، فتجعلهما كيانين مستقلين متعاقبين، ما يؤكّد أن اسم مشوش منذ ما قبل الأسرة 21 على الأقل، لم يعد يعني قبيلة أو شعباً من الغزاة الشماليين، أو بعبارة أخرى: لم يعد مذاك قبيلة «ليبية» كما فُسّر اسمها في الشواهد القديمة (أو غير ليبية كما سنفسّر اسمها)، بقدر ما صار يدلّ على «الجنود الأغراب» أو «المرتزقة» في الجيش الملكي. إن انزياح الدلالات بمرور الزمن والتواتر ظاهرة معروفة في مصر القديمة، وقد احتفظ المصريون القدماء بما رسخ في الذاكرة العامة من صفات سلبية أُطلقت على قبيلة المشوش (بوصفهم وافدين مسلّحين أو غزاة)، ثم صُرفت هذه الصفة للدلالة على الفرق الأجنبية التي استعان بها الجيش الملكي. وانزياح الدلالات هذا ظاهرة ليست نادرة في النصوص المصرية، ولعل أحد أشهر أمثلتها هو «الأقواس التسعة» التي كانت تعني في بداية عصر الأسرات «الأقوام الخاضعين أو الذين قهرتهم مصر»، أو «عالم بني الإنسان» عموماً، ثم أخذت معنى الأغراب أو «الأجانب في مصر»، ثم «مجموع الرعايا»،[1] مصريين أو أغراباً.

غرب البحر الأحمر، أو من الجبليين المكتهفين (سكّان الكهوف) Troglodytes، أو من بدو شبه الجزيرة العربية، أو ربما من ليبيا! وكما نرى فجميعهم من الجند الأغراب أو المرتزقة الذين استخدمهم جيش مصر.

1. سليم حسن، م. س. ج. 9، ص. 118 – 122.

6

مَن هم المشوش إذن؟

يبدو حصر أسماء القبائل الليبية القديمة مَهَمّة عسيرة، بسبب اختلاف كتابة هذه الأسماء من مصدر إلى آخر، وبسبب الإشارة إلى وجودها في أمكنة مختلفة؛ ومن بين المصادر التاريخية الموجودة، وهي الليبية والمصرية والفينيقية والإغريقية والرومانية، فإن المصدر المصري يبدو الأكثر أهمية في تتبع أسماء القبائل التي عاشت في الجزء الشرقي من ليبيا القديمة، غرب النيل، غير إن المصريين القدماء لم يذكروا شيئاً عن القبائل الليبية أبعد من ذلك، أما في المصدرين الإغريقي والروماني فإن «هجاء تلك الأسماء غير محقَّق»، ذلك «إن شكلها يشوّه باستمرار عند النقل من الليبية إلى اليونانية ومن اليونانية إلى اللاتينية، زيادة على أننا نجهل مضمونها الاجتماعي وموقعها الجغرافي».[1]

إن أولى الملاحظات التي تبرز أمامنا هي أن المصدر المصري في تتبع أسماء القبائل، يختلف تماماً عن المصادر الثلاثة الأخرى. ففي المصدر المصري لا نجد سوى أربعة أسماء أساسية متكرّرة، هي التحنو والتمحو والمشوش والربو (وأخرى ثانوية بعضها لم يُذكر سوى مرة واحدة، مع الانتباه إلى أن هويتها لم تؤكَّد قط)، أما في المصدرين الإغريقي والروماني (يليهما الفينيقي وهو نادر الأمثلة)، فإننا نجد أسماء أخرى مختلفة تماماً، فضلاً عن أن الأسماء التي ذكرها المصريون، لا تتكرّر في المصادر الأخرى.

1. العروي، م. س. ص. 93.

نحن في واقع الأمر، إذن، أمام مصدرين مختلفين، تبدو العلاقة بينهما هشّة جداً.

ثمة ملاحظة ثانية تتلخّص في أن القبائل الأساسية الأربعة التي عدّها الباحثون قبائل ليبية، لم تكن جميعاً كذلك، فبقدر ما يُعدّ من المؤكّد أن الاسمين المصريين تحنو وتمحو يشيران إلى مجموعتين ليبيتين مختلفتين، فإننا لا نجد من الشواهد ما يشير إلى أن المشوش والربو كانوا من القبائل الليبية.

لقد عرف المصريون التحنو والتمحو منذ عصر ما قبل الأسرات، أي منذ أن صِيرَ إلى التعرّف على هذا الركن من الأرض والبشر بعلامة «العصا» ( )[1]، وحُدّدت مواطنهم إلى الغرب من مصر، وإن اشترك جذر ت.ح.ن THN في الإشارة إلى غرب الدلتا وشرقها، واشترك جذر ت.م.ح TMḤ في الإشارة إلى غرب النيل وجنوبه، أو تداخلت الإشارة إلى التحنو والتمحو في المصادر المصرية بعض الأحيان. وقد استمر ذكرهما منذ بواكير نشأة الدولة في مصر حتى نهاية العهد الإغريقي-

---

1. علامة العصا إحدى أقدم العلامات التي مُيّزت في المصرية القديمة، وبها سُميت «لوحة التحنو» (أو اللوحة الليبية، أو لوحة المدينة)، إلا أن استخدامها دليلاً وحيداً على «الليبيين» مجرد فرضية لا أساس لها، فعلامة العصا سوف تقترن بعد ذلك بالعشرات من أسماء الأقاليم والمدن والقرى، شرقاً وجنوباً، من أمثلة ذلك حسب بدج (1920): غرب آسيا: ‘Am، أو ‘Amtt (968)، سوريا: Aupa، (955)، Arenna، (960)، Aras (961)، Asqarna (965)، Aṭṭaqna (967)، Arras (961)، السودان: ‘Ainini (968)، Akarkar (965). أي إن الأصل في دلالتها هي «قوم أغراب» أو «أرض أجنبية»، وهو ما يؤيد الشكّ في نسبة اللوحة إلى التحنو من الأساس.

الروماني، وذلك تقريباً هو مجمل تاريخ مصر القديم، وكما ذكرت في موضع آخر، فإن التحنو والتمحو، سواء أخذنا الاسمين على دلالتهما العرقية أو الجهوية، قد انتهى بهما الأمر إلى أن يصبحا جزءاً من المجتمع المصري القديم نفسه، أما استمرار الإشارة إليهما فقد كان تصنيفاً ثقافياً حافظت عليه تقاليد الأدبيات الملكية دون أن يعني في الواقع تمييزاً إثنياً محدّداً.

في مرحلة ما من هذا التاريخ، أشارت السجلات المصرية في زمن الأسرة التاسعة عشر في عهد مرنبتاح، إلى أن «أرض التحنو» قد تعرّضت للنهب من قبل «شماليين جاؤوا من جميع البلدان»، وهم الذين نعرفهم الآن باسم شعوب البحر، وكان المشوش ضمن هذا التحالف الذي قاده الربو. وبعبارة أخرى فإن المشوش والربو –مع حلفاء آخرين– قاموا بغزو التحنو واستولوا على مواطنهم غرب الدلتا،[1] واتخذوا منها معقلاً حربياً يغيرون منه على المدن المصرية.

استمر ذكر الحليفين الأجنبيين، الربو والمشوش، في المصادر المصرية بعد رمسيس الثالث، ابن مرنبتاح، مع تغيّر وصفهم والحديث عنهم عقب نجاحه في توطينهم في مصر، ومنذ ذلك الزمن لم تعد المصادر المصرية تذكر الربو والمشوش بوصفهم غزاةً جاؤوا من «بلدان أجنبية»، بل بوصفهم «مقيمين دائمين». لقد تغيّرت طريقة التعامل معهم تماماً لأنهم صاروا «مصريين» بمرور الوقت بعد أن قدموا من الشمال مع غزوات «شعوب البحر»، أما قبل ذلك فلا يوجد دليل أثري، نصيّ أو نقشيّ أو أيقونيّ، يشير إلى أن الربو Rbw والمشوش Mšwš وُجدوا غرب مصر، أي

1. مما يثبت ذلك أن نقش الكرنك (79 سطراً) لا يذكر «أرض التحنو» سوى مرة واحدة، عند الإشارة إلى حدث الغزو الذي شنته شعوب البحر: مشوش، شردن، شكرش، إقوش، روكا، وتورش.

كانوا في «ليبيا القديمة». لا شيء آخر سوى أن اسم المشوش كان يتردّد بين حين وآخر، منذ عهد تحتمس الثالث، بوصفهم أعداءً، مع إشارة فريدة وردت في وثائق تل العمارنة تخبرنا أن المشوش «كانوا من الرعاة، وأن ثيرانهم كانت ذات قيمة كبيرة في مصر» دون أن تحدّد موطنهم.[1] أما الربو فإن اسمهم –كما هو دارج في علم المصريات– صار يتردّد منذ عهد رمسيس الثاني، غير أن سيرتهم التاريخية ستأخذ منحى آخر في ما بعد يختلف عن المشوش.

	ربو	مشوش
تحتمس3		•
أمنحتب3		•
حورمحب		•
رمسيس2	•	•
مرنبتاح	•	•
سيتي2		•
رمسيس3	•	•
رمسيس4	•	•
رمسيس6	•	
رمسيس9	•	•
رمسيس11		•
شيشنق1	•	
شيشنق3	•	
پامي		•
شيشنق5	•	
تفناخت	•	
بيي (بعنخي)	•	
تهارقا		•
بطلميوس10		•

ش.6: تردّد اسمي ربو ومشوش في عهود الملوك المصريين

1. Wainright 1962, 114.

هذه –بإيجاز– سيرة ظهور المشوش في المصادر المصرية، ولا نجد بعد رمسيس الثالث ما يدلّ على أن المشوش قوم أو شعب خارج مصر، بل ورد اسمهم بوصفهم جزءاً منها، وكانوا يسكنون أرضاً، أو تقسيماً إدارياً معيناً، ويعملون ضمن سياق اقتصادي عام، ثم صار جزءاً منهم نخبة في فرق الجيش المصري. لا شيء قبل هذا الزمن يشير في المصادر المصرية إلى موطن المشوش أو من أين جاؤوا، ولا شيء بعده يشير إلى غير مصر. إنهم مترحّلون في الأساس حاولوا دخول المدن والأرباض المصرية عنوةً ولكنهم جوبهوا ورُدّوا ثم جرى احتواؤهم تدريجياً، والأمر كذلك بالنسبة إلى الربو.

لم يرد شيء عن موطن المشوش في المصادر المصرية، أما وجودهم في شمال أفريقيا فيحيطه الغموض، لنقارن ذلك بالتحنو والتمحو مثلاً؛ بلاد التحنو [hieroglyphs] أو بلاد التمحو [hieroglyphs] تردان في النصوص المصرية مراراً، وهاتان المجموعتان جزء من مصر فعلاً، ولكنهما في الوقت نفسه تبدوان مستقلتين عنها؛ الأمر يتعلّق بالطبع بمدى اقتراب القبائل الليبية القديمة من مصر وابتعادها عنها في سياق متّصل من التدافع الحضاري والاجتماعي. مثل هذه التفاصيل لم توجد قط عند الحديث عن المشوش، الذين سيبقى أصلهم مجهولاً كما يبدو.[1] إنهم يردون أولاً بوصفهم غزاةً مع شعوب البحر، ثم جنداً أغراباً أو مرتزقة، لكن المصادر المصرية لم توطّنهم أبداً خارج مصر بعد عهد رمسيس الثالث كما أسلفنا، لأنهم صاروا جزءاً من مصر نفسها لا بلدَ آخرَ لهم، بالرغم من أنهم أغرابٌ

1. ثمة فرضية تقول بأن المشوش Meshwesh (Mšwš) هم المشش Mšš ، وأخرى تقول بأنهم المكشوش Mukshush (Mkšwš) وأنهم لوڤيون Luwians (أي حثيّون) أساساً ولم يكونوا ليبيين Libyans على الإطلاق.

وافدون من مكان ما. أما الإشارة النادرة إلى «أرض المشوش» في نقوش هابو المؤرخة بالعام الحادي عشر من عهد رمسيس الثالث فلا ترد إلا للحديث عن هزيمة المشوش في الموقع الذي كانوا يحتلّونه من أرض التحنو، ولا تعني موطنهم إطلاقاً: «خرّبت أرض المشوش بضربة واحدة. هلك الربو والسپد [كأن] نسلهم لم يكن»، وكان ذلك آخر مشهد يصوّر انتصارات الملك على شعوب البحر، ونفهم منه أنه تمكن من استعادة الأرض التي احتلها الغزاة واتخذوها معقلاً لهم. ومنذ بداية الألفية الأولى ق.م. «لم يعد الربو والمشوش يُصوَّرون في حرب مع ملك مصري، أو أسرى له، بل قُدّموا بوصفهم أصحاب أراضٍ مصريين أثرياء يقدّمون القرابين للآلهة المصرية»، لقد تم استيعابهم تماماً في الثقافة المصرية.[1]

أما لماذا عُدّ المشوش ليبيين في علم المصريات، فالسبب بسيط، فادح البساطة: لأن المشوش ذُكروا مع الربو مراراً، وكانوا تحت قيادتهم مثل غيرهم من شعوب البحر، ولأن الربو ليسوا سوى ليبيين، اعتماداً على المماثلة بين ربو وليبو، فإن الباحثين لم يتوانوا عن جعل المشوش ليبيين بدورهم دون تردّد، ودون أن يُعاد النظر في حقيقة المشوش والربو، وما إذا كانوا يتوطّنون غرب مصر أساساً بحيث يوصفون بالليبيين، أم أنهم ليسوا سوى جزء من شعوب البحر التي قدمت من الشمال وتوطّنت هذا المكان!

هكذا عُدّ المشوش منذ أن عُثر على اسمهم إلى جانب الليبو أول مرة في علم المصريات قبيلةً ليبية من الرعاة، وأصبح من السائد أن تُذكَر مجموعتا المشوش والربو بوصفهما قبيلتين ليبيتين قامتا بالدور نفسه الذي ميّز التحنو والتمحو قبلهما، بالرغم من أن التحذير من الخلط بين الربو والمشوش من ناحية والقبائل الليبية من ناحية أخرى، ليس أمراً

1. Cooney, op. cit., 43.

جديداً، فقد أشار إليه رينوف منذ نهاية القرن التاسع عشر في مقال له بعنوان «مَن كان الليبيون؟»، ووصفه بأنه أشبه بالخلط بين الإغريق الذين توطّنوا الإقليم الشرقي من ليبيا، والقرطاجيين والنوميديين الذي كانوا إلى الغرب من ذلك.[1]

يرد اسم المشوش في المصادر المصرية منذ عهد تحوتمس الثالث (الأسرة 18) على الأقل،[2] أما ظهورهم في السجلات النقشية أول مرة «فلم يكن سوى في عهد رمسيس الثالث [الأسرة 20] في نقوش مدينة هابو»،[3] غير إن شيئاً من ذلك لم يشر إلى موطن المشوش الأصلي، أو ما إذا كانوا من الأقوام أو القبائل الليبية القديمة التي كانت تستوطّن غرب النيل، وهو سؤال إثني-جغرافي يظل قائماً. أما من الناحية اللغوية فلا نستطيع إثبات أن اسم مشوش Mšwš صيغة أقدم من التسمية الهيرودوتية Maxyse (Maxues) أو Machles، أو التسمية الهيكاتية Mazues. فالأولى صيغة جمع من ماكسي أو ماكسو، وكانوا يقولون –حسب هيرودوت– أنهم «أحفاد الطرواديين»،[4] والثانية (ماخلس) جمع مَخْل في اللغة اليونانية، دلالةً على أبناء قبيلة بهذا الاسم، وتبدو الأخيرة (مازوِس) أقرب إلى أن تكون صيغةً من اسم مازوي Mazoi، أو زنوج المازوي Mazoi negroes وفق بريستد،[5] وهي مجموعة أفريقية ورد اسمها في سجلات الأسرة السادسة. وعلى الإجمال فإن وجود المشوش في شمال أفريقيا غرب النيل، أو إنهم من القبائل الليبية القديمة، أمر لا يمكن إثباته فعلياً من الناحية المنهجية، أما الاكتفاء بترديد ما تواضع الباحثون الأُول، والمتأخرون تبعاً، على سوقه

1. Renouf, op. cit., 559.
2. Cooney, op. cit., 98.
3. Ibid.

4. هيرودوت، 4 : 191.

5. Breasted, op. cit., IV, 142.

دون دليل فلا يُثبت شيئاً سوى ترديد وهم من أوهام البحث يعتور مواد التاريخ الليبي القديم. وقد انتبه فرانسوا شامو (1915 - 2007) مبكراً إلى هذه المسألة، ففي تعليقه على هذا الاسم يقول: «إن محاولة بعض العلماء الاستناد على ما توحي به الاشتقاقات اللغوية التقريبيّة، والزعم بأن المشوش هم أنفسهم الماكسيس (الماخسيس) الذين ذكرهم هيرودوت واعتبرهم حَضَراً ليبيين استقرّوا في تونس، تبدو فرضية لا طائل وراءها. إذ إنه ليس هنالك ما يدعو إلى التعجّب من وجود تشابه بين أسماء الأعلام، كما في هذه الحالة، حيث يشبه اسم مشوش لغوياً اسم ماكسيس، وقد تقودنا ضحالة معارفنا باللغات المحلية القديمة (المنقرضة) وتذبذب كيفيّات رسم هذه الأسماء المحلية باللغتين الهيروغليفة والإغريقية، إلى الاستناد إلى فرضيات خادعة ومتكلّفة».[1] ويقول أوكنور (1938 - 2022) مؤيداً رأي شامو: «لا يمكن إثبات التماثل بين المشوش والماكسيس Maxues بأي وسيلة ممكنة [أثرياً أو لغوياً]، وإنه لدليلٌ هشّ أن نكتفي بتوطين المشوش في الغرب» أي ليبيا القديمة أو غرب شمال أفريقيا.[2]

عندما نقرأ تاريخ هيرودوت تمرّ هذه الملاحظة مروراً عابراً، ذلك إننا لم نعد نفكر في ما إذا كانت المطابقة بين الاسمين صادقة حقاً، أم أنها مجرد تشابه لفظي سرعان ما ينهار إذا قمنا بتدقيقه. لقد سار المترجمون على إبدال Maxues بـ مشوش وفق ما درج عليه الرأي العام في الدراسات التاريخية، أما الباحثون المتأخرون فقد وجدوا أنفسهم منساقين سلفاً نحو الأخذ بما سبقهم من آراء صارت جزءاً أصيلاً من معارفهم التي اتصلت روايتها بين الروّاد، فهي في حكم اليقين أو ما يشبهه! الأمر أعقد من ذلك

1. شامو، 1990، 46- 47.

2. O‘Connor, op. cit., 35.

وأكثر تداخلاً، إنه في الواقع لا يتصل بالبحث عن كيان المشوش مجهولي الأصل فحسب، بل بإعادة توطين الماكسي Maxues والمخْل Machles على خريطة هيرودوت الأجناسية أيضاً. جزءٌ كبيرٌ من تاريخ ليبيا القديم هو محض خرافات «علميّة» صارت كأنها أسسٌ عميقة بُتَّ فيها القولُ فلا تُراجَع ثانيةً!

كان هاينرش بروغش (1827 - 1894) –على الأغلب– أول من طابق بين مشوش المصريين وماكسيس (ماخسيس) هيرودوت، وقد تبعه في ذلك جيمس بريستد (1865 - 1935)، ثم كان دور أوريك بيتس (1883 - 1918) الذي وضع خريطة أجناسية (1914) وطّن فيه المشوش غرب موقع الربو،[1] وبهذه المطابقة الافتراضية بين مشوش وماكسيس صار من المعتاد بين الباحثين أن يقولوا أن المشوش كانوا يوجدون في ليبيا، وأن موطنهم يعود «تحديداً» إلى بحيرة تريتونيس (شط الجريد)، وغالباً ما يستشهدون بهيرودوت. هيرودوت نفسه الذي لم يعرف المشوش قط.

لقد أقفلت هذه المطابقة السريعة بين الاسمين باب التحليل، فلم تشهد بنية الاسم اهتماماً كبيراً، وانصرف عنها الباحثون، متفقين ضمنياً على أن الاسم ليس مصرياً، مكتفين بأنه ليبي، أو صيغة مصرية من أصل ليبي يعادل اليونانية القديمة ماكسيس، فلم نر سوى عدد ضئيل من محاولات تحليل الاسم أو تقصّي جذوره، وكان من بينها محاولة غيرالد وينرايت G. A. Wainwright (1879 - 1964) الذي عالج هذه المسألة جزئياً في مقال بعنوان «المشوش» نُشر في مجلة علم الآثار المصرية (JEA, Vol. 48, 1962.)، بدأه بالإشارة إلى إن هذه القبيلة «تستقطب الانتباه وتستحق

1. Bates, 1914., 51.

اهتماماً فريداً أكبر مما تلقته حتى الآن»،[1] وسعى فيه إلى إبراز بعض الجوانب المجهولة من سيرة هذه القبيلة، معتمداً على تردّد اسمها وصورها في النقوش، متتبعاً السمات المعروفة في تصوير الليبيين، مثل الريشة وجراب العورة،[2] ومقترحاً بعض الروابط التي تجمع المشوش بشعوب البحر، دون الشكّ في إنها كانت قبيلة ليبية بدوية مترحّلة.[3]

---

1. Wainwright, op. cit., 89.

2. يقول وينرايت عن جراب العورة: «أثار ارتداء جراب العورة الكثير من النقاش حول ما إذا كان المشوش مختتنين أم لا. يبدو من الواضح عموماً أنهم لم يكونوا يختتنون، لأن رمسيس الثالث كان يقتطع أعضاءهم التناسلية، وكذلك أيديهم، تماماً كما فعل مع الليبو، وكما كان مرنبتاح يفعل مع الليبو أيضاً. ومن المؤكد أن مرنبتاح قد ذكر في عدة مناسبات أن «أعضاء» الليبو Libu phalli كانت ذات قلفة *krnt* ، فهم إذن كانوا غُرْلاً (غير مختتنين)، وبذلك نعتبر أن المشوش كانوا غُرلاً بالمثل، ومن ثم فإن الاختلاف في اللباس بينهم وبين الليبو كان مجرد مسألة ذوقية ولم يكن له أي علاقة بأحوالهم الجسدية». (Wainwright, op. cit, 93)

3. اقترح وينرايت وجهين رئيسيين من التشابه يجمعان المشوش بشعوب البحر، استخلصهما من التدقيق في أشكال الأسرى كما رسمهم المصريون، هما: استخدام السيوف الطويلة، والإيماء بالأصابع mano cornuta. ويعود التشابه الثاني (الإيماء) إلى الدمج الذي قام به بين التحنو والمشوش، ولكنه ليس ثَبْتاً يمكن الأخذ به، بالرغم من سعي وينرايت إلى تأكيد أن المشوش قد استخدموا هذه الإيماءات، والليبو استنتاجاً، وكذلك «الفلستين»، غير إنه لا يؤكد ذلك بالنسبة إلى الإقوش والترش واللوقا والشكلش (انظر: Wainwright, op. cit., 97)، أما عن سيوف المشوش التي أطلقت عليها النقوش المصرية اسم «سيوف حمت» ḥmt، فقد كانت كما يقول «طويلة» و«بأعداد كبيرة جداً»، وقد جعلها مرنبتاح «على رأس قائمة الغنائم الخاصة به، ثم اختارها رمسيس أيضاً ووضعها على رأس قائمة الأسلحة التي استولى عليها»، و«يذكر مرنبتاح بشكل خاص في سجل الغنائم الخاص به من القوات المشتركة من الليبو والمشوش أن السيوف كانت تخصّ المشوش تحديداً» (Wainwright, op. cit., 94)، ويتفق وينرايت مع بيتس وهولشر في أن مصدرها كان شعوب البحر الشماليين، لأنهم «أكثر تحضراً». ومثل هذا التفسير يفترض هوية مسبقة تم إضفاؤها على المشوش ثم الاستنتاج بناء على هذا الافتراض، فكأن وينبرايت، =

لاحظ وينرايت أن اسم المشوش: «ينتهي بـ-ش š-، تماماً مثل الكثير من الشماليين، الإقوش Eqwesh، والترش Teresh، والشكلش Shekelesh، كما كان هناك الوشش Weshesh أيضاً وهم الذين ذكرهم رمسيس لأنهم كوّنوا مع الشكلش اتحاداً جمعهم مع الفلستين Philistin، والتيكر Tyekker، والدنين Denyen. ولا يُعرف شيء على الإطلاق عن الوشش، باستثناء ما قيل من إنهم كانوا من البحر». ويستنتج بعد ذلك أن «اسم مشوش كما يبدو ينتمي إلى المجموعة نفسها»،[1] ثم يستدرك: «لكن التشابه يثبت أيضاً أن ذلك ربما محض صدفة». ويستشهد ببيتس في «الليبيون الشرقيون»، ليؤكّد «أن اسم مشوش أو بالأحرى «مشو» *mšw* صيغة من جذر بربري منتشر هو «مزگ» *mzg* ويعني: نبيل، حر، ومن صيغه أسماء مثل «ماخسيس» Maxyes و«مازيكس» Mazices».[2] ورأى وينرايت

مثل معظم الباحثين الآخرين، يقول «طالما إن المشوش كانوا من الليبيين، فهم إذن من البدو الرحّل الذين يعيشون على نمط رعوي بدائي ولا يعرفون التعدين أو يجيدون صنع السيوف، وطالما هم كذلك فإنهم حصلوا على سيوفهم تلك من شعوب البحر». مثل هذا الاستنتاج، ليس بدوره سوى افتراض جديد لا يختلف عن سلسلة الافتراضات التي سبقته، وبغض النظر عن التسليم بمثل هذه الآلية الدّارجة بين معظم الباحثين، فإن الأمر برمّته لا يخرج عن مجرد رأي لا سند له، أثرياً كان أو لغوياً أو غير ذلك. وفي جميع الأحوال قد لا يعني رسم جزء من المشوش بسيوف طويلة –وفق ما اقترحه وليام كوني مؤخراً (Cooney, op. cit., 99)– سوى تمييز فرقة أو مجموعة منهم، لا غير.

1. Wainwright, op. cit., 99.

2. يقول أيضاً (ص.99) أن «رمسيس الثالث استخدم فعلاً هذا الشكل المختصر Mšw في إحدى المناسبات»، لكننا بمتابعة سلسلة النقوش في زمن رمسيس الثالث لم نعثر سوى على صيغة واحدة قريبة من ذلك ظهرت منها خمس علامات في موضعين وتلفت علامتان أو علامات أخرى في موضعين تاليين، وهي على هذا الشكل: (م(ع)شوا)، وقد أكملها كيتشن على النحو التالي: (م(ع)شواشا)، وأعاد كوني كتابتها على هذا النحو (م(ع)شواش). انظر هذا الشكل واقتباس كيتشن في: Cooney 2011, Appendix

=

من ذلك أن شا šš في آخر الاسم على هذا النحو «ليست جزءاً أصلياً من الاسم بل مجرّد نهاية متمّمة، كما هي بالفعل في أسماء شعوب البحر». ولأن هذا التحليل يجعل المشوش أقرب إلى شعوب البحر، ولكي يعود بالمشوش إلى حضيرة الليبين، فإن وينرايت يستعين باللغوي وباحث الدراسات البربرية Berberology فيرنر فيسيشل Werner Vycichl (1909 - 1999) الذي أكّد له: «أنه لا يوجد في البربرية لاحقة الشين sh– للإشارة إلى القبيلة، فهذه اللاحقة ليست سوى أداة تصغير diminutive».[1] وعقّب وينرايت على ذلك قائلاً: «هذا أمر غريب، لأن (شا) šš– يجب أن تكون نهاية لغوية أصلية native termination ولا يمكن أن تكون مشتقة من [أسماء] القبائل الآسيوية، ذلك أنها كانت مستخدمة قبل حوالي مائة وخمسين عاماً من ظهور شعوب البحر أول مرة في إفريقيا في زمن مرنبتاح. وقد استخدم أمنحوتب الثالث هذا الاسم في عامه الرابع والثلاثين، أي 1374 ق.م.».[2] وعلى هذا النحو لم يجزم وينرايت برأي محدّد، وترك تحليله دون خلاصة واضحة.

تردّد وينرايت بين جعل حرف ش الأخير من مشوش جزءاً أصلياً من الاسم، أو متمّماً لغوياً، بغض النظر عن دلالته؛ الحالة الأولى تتفق مع قِدَم الكلمة وهو ما يجعلها أقرب إلى الأصل الليبي، وأبعد ما تكون عن شعوب البحر، أي إن التشابه اللفظي مع أسماء تلك الشعوب (وشش – مشوش مثلاً) ليس سوى مجرّد صدفة، أما الحالة الثانية فتتيح له تأثيل الكلمة في

D . ويعلّق وينرايت في الصفحة نفسها أن هولشر قد أشار إلى أن اسم Mšw ظهر على قائمة الشعوب الشمالية في زمن تحتمس الثالث، ولكن غاردنر وهيس (Hayse in JANES 10, 1951, p. 91, n. 119) رفضا هذا الزعم.

1. Wainwright, op. cit., 99.
2. Ibid.

جذر ليبي يمنحها معنى محدداً، عن طريق استدعاء واحد من تأثيلات بيتس، حيث يكون الأصل مشو *Mšw* متفقاً مع مزگ *mzg* ، على قاعدة تعاقب (ز/ش)، وكذلك (و/گ)، لكنه انتهى إلى تفضيل الحالة الأولى، ولعله كان محقاً في ذلك، فتأثيل بيتس يتردّد بدوره بين أكثر من حالة أخرى دون تأكيد، أو «بتحفّظ» كما يقول. فبالإضافة إلى الصلة التي اقترحها بين mzg وmšw، نجده يقترح أيضاً صلة أخرى بين جذر م.ز.غ mzgh (وكلمة أمازيغ ضمناً) وكلمة مزاريم أو مزرائيم Mizraim: «بالنسبة إلى استعمال «مزرايم» تعبيراً سلالياً أطلقه الأجانب منذ زمن سحيق على المصريين، في الدلتا خاصةً، فإنني أقترح بتحفّظ شديد، صلة محتملة بين هذا الاسم واسم «مزغ» mzgh، وليس ثمة، طبقاً لقواعد الصوتيات الحامية، صعوبة في تبادل «غ» مع «ر» في كلمة «مصر»، ويوجد الصوت الصافر الأوسط في: «س»، «ص»، «ش»، أو «ز» بلا تفرقة تقريباً. وإن وجود ليبيين يتخذون اسم «م.ز.غ» في الدلتا قديماً، أو حتى في سيناء، يوضح كيف إن الأجانب أطلقوا اللقب تعميماً على سكان النيل».[1] وأخيراً فإن يقترح من ناحية أخرى صلة بين جذر مزغ mzgh واسم مازوي Mazoi الأثيوبيين (السود) حيث جعل الثانية صيغة أفريقية من الأولى، ويقول أن هذا الاسم استقر في الاسم «الحامي-الزنجي» ماساي Masai،[2] وهي قبائل إفريقية تتوطّن شمال تنزانيا وجنوب كينيا.

لم تُجدِ محاولة وينرايت في توظيف شا šꜣ من نهاية اسم مشوش، دون أن يأخذ بأنها نهاية اسميّة أشبه بعامل النّسبة إلى مكان أو عرق، وهو ما كان ماسبيرو قد توصل إليه قبل ذلك بأكثر من نصف قرن، وسوف يعود

1. خشيم 1990، 1، 229. انظر أيضاً: Bates, op. cit., 258 .

2. Bates, op. cit., 42 .

بارنت للتذكير بذلك قائلاً: «إن نهاية أسمائهم بـ -شا -sha أشارت منذ ماسبيرو (1897) إلى نهاية [اسمية] عرقية في آسيا الصغرى، وهو ما قد نراه اليوم على أنه في شكل أداة اسمية هندو-أوروبية».[1] وبالرغم من أن الباحثين عموماً لا يُجمعون على هذا التحليل، إلا أنه من السائد بينهم أن الصيغ التي وردت بها أسماء شعوب البحر لم تأت جزافاً، أو بمحض الصدفة، ويتفقون على ما بينها من صلة لغوية، وإثنية تبعاً.

	معشاوا	*mꜥšꜣwꜣ*	تحتمس الثالث
	م(ع)شاواشا	*mꜥšꜣwꜣšꜣ*	أمنحتب الثالث
	مشواشا	*mšwꜣšꜣ*	حورمحب
	معشوش	*mꜥšwš*	رمسيس الثاني
	مشوش	*mšwš*	رمسيس الثالث

ش. 7: تحولات اسم المشوش من الأسرة 18 إلى الأسرة 20

إذا تتبعنا تحولات اسم المشوش سنجد أنه يرد منذ عهد تحتمس الثالث (سادس ملوك الأسرة الثامنة عشر) بصيغة معشاوا *mꜥšꜣwꜣ*، ثم في عهد أمنحتب الثالث بصيغة م(ع)شاواشا *mꜥšꜣwꜣšꜣ*، ثم في عهد حورمحب بصيغة مشواشا *mšwꜣšꜣ*،[2] ليأتي بعد ذلك زمن رمسيس الثاني (الأسرة التاسعة عشر) فيسطو على نقوش سلفه وينسبها إلى نفسه

1. Barnett 1975, 367.

2. أحياناً تحلّ العلامة محل العلامة «م» . انظر: Gardiner 1966, § 41، ويقول نوفو أن تُقرأ *mdi* وهي مشتقة من «مع» *mꜥ*. انظر: Neveu 2015, 24.

مردّداً اسم المشوش بالطريقة نفسها أو بصيغة «معشوش» *mꜥšwš* أو «م(ع)شوش» وصيغ أخرى، ويستمر الأمر على هذا النحو مع تغيرات طفيفة لا تؤثر على لفظه الأساسي، إلى أن نعثر على الاسم في عهد رمسيس الثالث (الأسرة العشرون) بصيغة مشوش *mšwš*، مع تكرّر استعمال الصيغ الأخرى حتى العهد البطلمي.[1] وهو يرد بحرف العين في معظم الحالات، باستثناء مرات قليلة جداً نجده فيها بصيغة: مشوش *mšwš* في زمن رمسيس الثالث ثم شيشنق الأول (وربما پاما). وكما لاحظ القراء فإننا ننقل الاسم عندما يتضمن علامة بحصر حرف «ع» بين قوسين إذا سبقته علامة أو إذا تداخلت العلامتان ()، بينما لا نفعل ذلك إذا سبقته علامة ، ولهذا سبب وجيه.

تتكون العلامة من «م» و«ع» ، ولكنها تُنقل في الدراسات المصرية حرفَ «م» صريحاً، كما «م» أو (مَن؟ ماذ؟)،[2] أو «مي» وكما في «إمي» (أعطى، اعطِ)،[3] أي إن حرف «ع» يختفي في هذه الحالة تماماً، أو يصبح حرفاً متحركاً. لكن الأمر ليس كذلك دائماً.

يقول بدج: «تمثّل هذه العلامة () صوت «م» كما في نطق سكان السودان وشرق أفريقيا، لذا فإن صوت مختلف عن «م» ، أما «ع» الملحقة فهو صوت حرف متحرّك غير بيّن»؛[4] وهذا أمر غريب بالنسبة إلى اللغات الأفروآسيوية (مثل المصرية، الكنعانية، عبرية التوراة، ...)، فحرف العين، كما في العربية، حلقيّ وسطٌ، وهو بين الشدّة والرخاوة،

1. انظر تسلسل هذه الصيغ في: Cooney, op. cit., Appendix D.

2. Gardiner 1966, op. cit., § 335.

3. Neveu 2015, 21.

4. Budge, op. cit., I, 263.

فلا هو على الانقطاع ولا هو على الجريان، بل وسطٌ بين ذلك، ما يعني أنه في نطق هذه العلامة يأتي بقدر أقل من الجهر وميل إلى الرخاوة، حتى يصبح حرفاً متحرّكاً vowel-sound غير بيّن، كما قال بدج. وعلى هذا المنوال سار الباحثون، وأخذوا بهذه القاعدة، فغاردنر مثلاً، لا يُظهر في قائمة العلامات الهيروغليفية بغير صيغة m مع الإشارة إلى أنها كانت في الأصل mi، كما في «مكي» *mkỉ* (حَمَى، وَقَى). أو كما في هذا المثال:

[1] *mk wỉ r nḥm ꜥ3.k, sḫty*

مك، وي رنحم عا.ك، سختي

أترى، سوف آخذ الحمار بعيداً، [أيها] الرّيفي.

أو قرئت «مي» *mỉ* كما في هذا المثال من بردية ماير:

bn wn.f ỉrm.ỉ ỉwn3

بن ون.ف إرم.إ إونا

هو لم يكن معي[2]

هذه القاعدة المتبعة في قراءة (،)، لا تنطبق على اجتماع الحرفين إذا كانا بشكل آخر، فعلامتا «م» و«ع» إذا تتابعتا، كما في تُقرأ «مع». أي بحفظ قيمتيهما الصوتيتين، فلماذا اقتصر الأمر على اجتماع و؟ يبقى السؤال فاغراً في علم الدراسات المصرية، غير إن هناك ما يجعلنا نعتقد أن المصريين القدماء عبروا بعلامة عن الحرفين و دون لبس؛ لنأخذ المثال التالي لإثبات

---

1. Gardiner 1966, op. cit., § 324.
2. Neveu, op. cit., 58.

ذلك:

كلمة (رحل، سافر)، يجب أن نقرأها «مشع»، بتليين الـ«ع» الأولى وتقليصها (وفق بدج) أو بإسقاطها (وفق غاردنر)، فإذا جئنا إلى اشتقاق آخر من الجذر نفسه نجد أن المصريين كتبوا «معشعي» (راحل، مسافر)، كما كتبوا «معشعت» (سفر، رحلة). ما يعني أن يجب أن تُقرأ «معشع»، توافقاً بين جذر الكلمة واشتقاقها، دون تليين حرف العين أو تحويله إلى vowel-sound أو حذفه.

مثال آخر: إمي (أعطى، اعطِ) السابق ذكرها، تصريف من «مَعْ» *mʿ* ، (أعطى، قرّبَ). فلا معنى إطلاقاً لاختفاء العين من الكلمة أو إضمارها.

وكما رأينا أعلاه فقد كتب المصريون إحدى صيغ اسم مشوش بطريقة واضحة جداً هي «م.ع.ش.و.ش» mʿšwš، بالفصل بين «م» و«ع» كما كُتبت بإدماج و أيضاً، أي إن الصيغة الثانية يجب أن تُقرأ على غرار الأولى دون الأخذ بإدماج رسم «م» و«ع» أثناء النطق، حيث إن الأولى أقدم ظهوراً بالطبع، إذ نجدها منذ الأسرة الثامنة عشر بصيغة معشاوا *mʿšꜣwꜣ*. مع ملاحظة أن بدج لم يتوقف كثيراً عند اقتراحه السابق، حيث قرأ بصيغتها الأصلية، أي «مع» *mʿ* ، ونقلها في معجمه بأكثر من شكل: ، ، ، ، بهذا اللفظ (أي «مع»)، مشكّكاً في الوقت نفسه في قراءتها mi،[1] بالرغم من أنه لا يلغي هذه القراءة تماماً، إذ نجده يعود فيقرأ

1. Budge, op. cit., I, 279.

(ينبوع) مثلاً بطريقتين متجاورتين: «معمع»، و«ميمي».[1]

هناك الكثير من المفردات اللغوية (جذوراً وأفعالاً وكلمات) في المصرية القديمة يمكننا أن نفسّر بها تسمية مشوش، ونجد أن أقربها في اللغة المصرية يجعل الاسم مكوناً من كلمتين متتابعتين أقرب نحوياً إلى صيغة المضاف والمضاف إليه[2] حُملتا على دلالة التسمية فصارتا مفردة واحدة: مش mš + وش wš، دون أن يعيق ذلك تردّد حرف العين في المفردة الأولى بين ظهور واختفاء، إذ إن الجذور «مش» MŠ ، «مشع» MŠʿ ، «معش» MʿŠ، تشترك في أداء المعنى نفسه، ويمكننا افتراض أسبقية الجذر «مش»، قبل إضافة العين إما مزيداً داخلاً أو كاسعاً؛ وهي جميعاً تفيد المسير والحركة والترحال، كما في تحولاتها الفعلية والاسمية التالية:

- مش *mš* : مشى، أقدمَ، تقدّمَ.
- معشا *mʿšꜣ* : مشى، ذهب، تقدّم.
- معشع *mʿšʿ* : ذهب، سافر، رحل.
- معشعي *mʿšʿy*: مسافر، راحل.
- معشعت *mʿšʿt* : رحلة، سفر.
- معشعو *mʿšʿw*: جندي، محارب، (: جيش ، جنود).

1. Ibid., 280.

2. قد تكون الإضافة متصلةً، في المصرية القديمة، أي دون فاصل بين المضاف والمضاف إليه، وقد تكون باستخدام أداة الإضافة (ن). انظر: خشيم، م. س، ج.2، 591. وأيضاً: بكير 1982، § 42-44.

- معشو $m^{c}šw$: سيف، خنجر.[1]

- مشع $mš^{c}$: تقدّمَ، ذهبَ، سارَ.

- مشع $mš^{c}$: جندي، محارب.[2] : جنود، مشاة، جيش.[3]

- مشع $mš^{c}$: حرب، سفينة حرب،[4] حملة عسكرية؛ شنّ حرباً.[5]

على هذا النحو فإن اسم مشوش (بصيغه المختلفة) يتكون أساساً من:

- مشع $mš^{c}$: جندي، محارب.

- وش [6] $wš$: وتفيد النهب والسلب والإفساد والتخريب، كما تفيد فساد الشيء واضمحلاله،[7] وأيضاً: أُتلفَ، دُمّر، خُرّب.[8] أي «الجنود المخرّبون» أو «المفسدون».

---

1. Budge, op. cit., I, 287-288.
2. Ibid., 330.
3. Faulkner, op. cit., 147.
4. Budge, op. cit., I, 330.
5. Faulkner, op. cit., 147.

6. تكتب أيضاً أو أو العلامة .

7. تعني كلمة وَشش wššš : قبيلة أو أمة أجنبية (Budge 1920, I, 49). ويحيلنا هذا إلى اسم وشش weshesh $w\underline{3}š\underline{3}š$ الذين ظهروا مع شعوب البحر في السنة الثامنة من عهد رمسيس الثالث، وقد جعلهم فرانسوا شاباس (ت. 1882) من الأوسكانيين Oscans (من الشعوب الإيطالية القديمة)، ثم اقترح ماسبيرو (ت. 1916) أنهم من واسُس Wassos (مدينة إغريقية في الأناضول)، بينما اقترح هنري هال (ت. 1930) أنهم من واكسُس Waksos (كريت). وأعتقد أن وشش، مثل مشوش، إنما أخذوا اسمهم من المصريين، لا من حيث جاؤوا. ولأن اسم وشش لا يظهر مع اسم مشوش في الوقت نفسه أثناء ذكر شعوب البحر فإن ذلك ربما يجعلنا نقول بأن الاسمين يشيران إلى المجموعة نفسها.

8. Faulkner, op. cit., 85.

أعتقد –دون أن أجزم– أن المصريين، وفق هذا التأثيل، هم الذين أطلقوا اسم مشوش على هذه المجموعة من مجموعات شعوب البحر الغزاة، أي إن تلك المجموعة لم تأت مصرَ حاملةً اسمها هذا، بل أُطلق عليها اسم مصريّ مركّب من مفردتين لتعيين ميزة تميّزت بها، فاسم المشوش بهذا المعنى أشبه –على وجه التقريب– بالمعنى الذي ضُمّن اسمَ الوندال في أدبيات التاريخ البيزنطي التي أرّخت لأحداث القرن الخامس بدلالة التخريب والهمجية، ما لم نأخذ الكلمة على أنها تضمر صفةً وموصوفاً، فيكون المصريون قد أرادوا باسم مشوش: جنود منهزمون، أو هُزموا أو قُضي عليهم.

في كل الأحوال فإن هذا التحليل ربما يفسّر جزءاً من سيرة المشوش في مصر، وملخّصها أنهم كانوا غزاةً أشدّاء جاؤوا من الشمال في بادئ الأمر، ولكنهم هُزموا، ثم وُطّنوا، ثم صاروا مقاتلين مرتزقة في جيش مصر الملكي.

إن نتيجة التحليل السابق تنتهي إلى أن المشوش لم يكونوا مجموعة عرقية متميزة إثنياً، بقدر ما كانوا مقاتلين ومحاربين متميزين، على أنْ لا شيء يثبت ذلك من الشواهد الموجودة، إلا إذا أخذنا بفرضيات موازية، كأن يكون المشوش مجموعة عرقية عُرفت بتلك الميزة، أي الحرب والقتال، وأنهم ربما حملوا اسماً قبلياً آخر لم تذكره المصادر المصرية، أو أنهم صاروا كذلك مع توطينهم في مصر وبقائهم في ما خُصّص لهم من أرض، دون أن ننسى أن اللغة المصرية كانت آنذاك إحدى أهم لغات الشرق الأدنى والعالم القديم كفيلةً بأن تصنّف الأقوام والأجناس والأقاليم، وهي الميزة التي ستتصف بها اليونانية واللاتينية بعد ذلك.

خلاصة القول: أقدم دليل لدينا على وجود المشوش يعود إلى عهد تحوتمس الثالث ثم أمنحوتب الثالث، على أنه يثبت وجودهم في مصر، دون

أن يشير إلى ليبيا بأي من تسمياتها الكثيرة التي كانت سائدة في اللغة المصرية آنذاك، أو إلى أي مكان آخر. ما نعرفه جيداً عن طريق الشواهد النصية والنقشيّة هو أن المشوش قد وُوجهوا وهُزموا ثم أُسروا ووُطّنوا ثم وُظّفوا وجُنّدوا. يمكننا بعد ذلك أن نضع الفرضيات التي تكمل المشهد التاريخي الاجتماعي؛ كأن نقول أن المجموعة العرقية المسمّاة مشوش، إذا وُجدت فعلاً، قد التحقت في زمن تال بمن سبق منها وتوطّنت في مصر، أو أن الأسْر والتوطين والتجنيد قد تكرّر مرة أو مرات أخرى... إلخ، على نسق الأدبيات المصرية القديمة في التكرار وديمومة الإشادة بالانتصارات والإنجازات، ولكنها تظل مجرد فرضيات تكميلية. أما ما تفيدنا به مواد المصادر المصرية تحديداً فهو أن المشوش حصلوا على أماكن محدّدة، أو أراضٍ، مقابلَ خدماتهم العسكرية، وأن دورهم العسكري قد تطوّر تدريجياً، من نخبة عسكرية في الجيش إلى أن صار اسم مشوش يدلّ على فرقة متميزة (أو فرق) أجنبية أو ذات أصول غير مصرية في الجيش الملكي.

إننا لا نعرف بالمحصلة من أين جاؤوا إلى مصر، وربما لن نعرف ذلك أبداً، ولكنهم وفق ما نستنتجه من الشواهد والمصادر المصرية لم يكونوا من سكان ليبيا أو جزءاً من تركيبتها القبلية الاجتماعية. أما عن «هوية» المشوش الليبية، وقبائل أخرى، فلعلّ أفضل من عبّر عنها هو وليام كوني بقوله إنها: «**هوية اختُلِقت واصطُنِعت ثم طُوّرت بمرور الوقت**».[1]

**

من المناسب في الختام أن نشير إلى أن منهجيات البحث التاريخي لا تهدف إلى إثبات الهويات أو نقضها، فتلك المسألة على أهميتها في استظهار المشهد العام ومتابعة التحولات والتشكلات المورفولوجية في خرائط

1. Cooney, op. cit., 23.

الأويكومين القديم إلا أنها تعدّ عرضيةً من الناحية المنهجية، كما إنه –أي البحث التاريخي– لا يجب أن يستعين بيقين مسبق، أو صورة نمطية سائدة، وإن كان ذلك لصيقاً بالباحثين على عواهن مبتغاهم، كلٌّ بما يتوخّى، بل يستجيب لدلالات ما يوجد من شواهد أثرية ووثائق أركيولوجية، أما استنتاجات البحث وخلاصاته فهي عرضة للتبدّل والتغيّر بما يعتمل من دلالات جديدة، أو بما يطرأ من تفسير جديد قد يصحّح بعض السياقات أو يعيد ترتيبها. إن «نفضَ» سجلّات التاريخ لا يغيّر شيئاً من سطوة التاريخ نفسه ما لم تسعفنا السِيَر الموازية Vitae Parallelae التي نلجأ إليها لفكّ تضاعيف التاريخ وأحجياته، وفي كل الأحوال سوف يظل التاريخ القديم يتطلّع إلينا بعيون «يانوس» العديدة، كأنه يدرك أن وقائع الماضي لم تنته بعدُ، وأن بعضها لن ينتهي أبداً!

لوحة ونقش

1

لوحة پاسن حُر *Pꜣ-sn-Ḥr*

عثر الآثاري فرانسوا مرييت على لوحة پاسن حُر سنة 1852، ونشر نصها سنة 1857، ثم نشره لپسيوس سنة 1858، وحُفظت اللوحة بمتحف اللوفر بباريس (رقم: 278)،[1] وهي من الحجر الجيري (29 سم × 18.5 سم)، وتتكون من ستة عشرة سطراً، تتضمن خمسة عشر جيلاً تبدأ بپاسن حُر نفسه، وينتهي بسلف أعلى اسمه تحن.بويوواوا.

عدّت هذه اللوحة بعد اكتشافها دليلاً نسابيّاً فريداً في جنيالوجيات الأسر الحاكمة، حيث أقامها الكاهن الأكبر پاسن حُر في السنة السابعة والثلاثين من عهد شيشنق الخامس (الأسرة الثانية والعشرين)، بعد موت العجل المقدّس «حب» Ḥp (أبيس)، وكما يبدو، فإن الكاهن لم يترك فرصة هذا الحدث المشهود تمرّ دون أن يؤكّد إلحاق نسبه العائلي بشيشنق، وصولاً إلى السلف الأعلى، «أبد الآبدين»، كما يقول، لكن رغبته تلك يبدو أنها لم تتحقّق تماماً، حيث أصبح اتصالُ نسبِه بشيشنق الأول موضعَ شكّ كبير، بعد أن أنتجت لوحته هذه تاريخاً حافلاً من الجدل، وأصبحت مصدراً للكثير من الآراء والآراء المقابلة، ومثالاً دارجاً عن عدم التوافق العلمي بين الباحثين.

من أهم مظاهر عدم الاتفاق ما يتعلّق بتحيين أزمنة الأسماء المتكررة، وطبيعة العلاقة بينها، وانقطاع الخط النسبي أو تزامن خطيّن نسبيين، على

---

1. Breasted, op. cit., § 785.

الأقل، والانتقال من نسب الأب إلى نسب الأم، وقد تحوّل ذلك إلى مبحث فرعيّ مستقل ضمن أبحاث الفترة الانتقالية الثالثة، كما انعكس بطرق مختلفة على فهم تاريخ هذه المرحلة وتسلسل الأسرات زمنياً.

ليسمح لي القراء هنا بإبداء الملاحظة التالية عن التسلسل الزمني.

قد لا يعني تسلسل الأسرات في بعض الأحيان أن ملوك أسرة ما قد حكموا قبل ملوك الأسرة التي تلتها، أو بعد الأسرة التي سبقتها، بل ربما تزامنت معها، جزئياً أو كلياً. المفهوم التقليدي الذي نميز به الزمن قد يختلف هنا، فالتسلسل في ترقيمه تصنيفيٌّ أساساً الغرض منه وضع دليل موحّد يعرض جميع مراحل التاريخ المصري القديم، بدءاً مما قبل التاريخ وزمن ما قبل الأسرات وانتهاءً بالمرحلة الرومانية، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا دائماً أن مراحل التصنيف الكرونولوجي المتتالية تتداخل في أحيان كثيرة. أما في ما يتعلق بالفترة الانتقالية الثالثة تحديداً، فما زالت حتى الآن، وسوف تبقى كذلك إلى زمن مجهول، إحدى أكثر المراحل غموضاً في تاريخ مصر القديم. من أمثلة ذلك، يقول بيتر جيمس في «قرون الظلام» إن أبحاث كيتشن Kitchen وبيربر Bierbrier الجينيالوجية تخلص إلى وجود ثغرات تخالف التسلسل الزمني الدارج، كما يقول ليبلين Lieblein بوجود «تداخل كبير» بين الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين،[1] ومثلما قال غاردنر مشككاً: «مشكلات [التسلسل الزمني في الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين] محيرة تماماً، ولا يمكن معالجتها بطريقة مجدية وواضحة حتى تُجمع النقوش المتناثرة والمشذّرة من جديد، ويقع نسخها بدقة، وتحريرها بشكل صحيح، وحتى في هذه الحالة يظل من المشكوك فيه تماماً ما إذا كنا سنحصل على فعلاً على رواية متماسكة أم

---

1. Peter 1993, 242.

لا».[1] وقد كان غاردنر محقاً في تشكّكه هذا، بالنظر إلى تلك الأطياف المختلفة من التقديرات والروايات، وهي دقيقة في بعض الأحيان، أو يشوبها نوع من التخمين أو الرغبة في إثبات تصوّرات مسبقة في أحيان أخرى.[2] وقد ساهمت لوحة پاسن حُر دون شك في «إثراء» الجدل، أو بالأحرى تأجيجه، إلا إنها تحوّلت بدورها إلى جزء من تاريخ الجدل بسبب التدقيقات الكثيرة التي شكّكت في صحتها.

في الصفحة التالية أعدتُ ترجمة اللوحة مستعيناً بترجمة بريستد (1906)،[3] وسليم حسن (1952)،[4] وروبرت ريتنر(2009)،[5] مع الأخذ في السطر الثالث عشر بتدقيق رينوف في ترجمة كلمة «تحن»،[6] وفق ما ورد من ملاحظات أثبتناها في الفصل الأول. وقد أخذت نص اللوحة على حرفيته المفترضة، أي تسلسل الآباء والأمهات دون انقطاع، دون أن أركّز في عرضه على تداخل خَطَّيّ النّسب، ثم قدّمت نموذجين من اختلاف الآراء –هما فلندرز پتري وجيمس بريستد– مع بعض الملاحظات.

---

1. Gardiner 1961, 33-334.

2. انظر على سبيل المثال:

I. Velikovsky, *Ages in Chaos*, Book Club Associates/Sidgwick & Jackson, London, 1977; P. James, *Centuries of Darkness*, Jonathan Cape, London, 1991; P. A. Clayton, *Chronicles of the Pharaohs*, Thames & Hudson, London, 1994; E. J. Sweeney, *The Genesis of Israel and Egypt*, Janus, London, 1997.

3. Breasted 1906, 785, 786, 787.

4. سليم حسن، م. س. ج. 9، ص. 100.

5. Ritner, op. cit., 18-19.

6. Renouf, op. cit., 602.

نص لوحة پاسن حُر

(1) قَدِمَ هذا الإله إلى والده پتح في السنة الملكية الثانية عشرة، في الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم الرابع، من (حكم) الملك عا-خپر-رع	(1) *sḫn nṯr pn n ỉt=f Ptḥ n ḥsb.t 12.t ꜣbd 4 pr.t sw 4 n ny-sw.t ꜥꜣ-Ḫpr-Rꜥ*
(2) ابن رع، ششق مُنِحَ الحياة، وُلد في السنة الحادية عشرة من عهد جلالته، ودُفن في مثواه	(2) *sꜣ Rꜥ Ššq dỉ ꜥnḫ ms.tw=f n ḥsb.t 11.t n ḥm=f ḥtp=f ḥr s.t=f*
(3) في تا-زسر، في السنة السابعة والثلاثين، الشهر الثالث من الفيضان، اليوم السابع والعشرين من عهد جلالته. لعلّه يَمْنَح الحياة والرخاء والصحة وفرح القلب	(3) *m tꜣ-ḏsr n ḥsb.t 37.t ꜣbd 3 ꜣḫ.t sw 27 n ḥm=f dỉ=f ꜥnḫ wḏꜣ snb ꜣw(.t)-ỉb n*
(4) لابنه المحبوب، كاهن نيت، الأب الإلهي، پاسن حُر ، ابن الحاكم، راعي مصر العليا، كبير كهنة هنن.ني.سوت (أهناسيا)	(4) *sꜣ-mr=f ḥm-N.t ỉt-nṯr Pꜣ-sn-Ḥr sꜣ ḥꜣ.ty-ꜥ mr-Šmꜥy mr-ḥm.w-nṯr m Ḫnn-ny-swt mr-*
(5) قائد الجيش حميتح الذي أنجبته كاهنة حوت-حُر، سيدة أهناسيا، أخته السيدة إرتورو	(5) *mšꜥ Ḥm-Ptḥ ms.n ḥm(.t)-nṯr Ḥw.t-Ḥr Nb(.t) Ḫnn-ny-sw.t sn.t=f nb.t pr ʾIrt.w-r-r=w*
(6) ابن مثيله پاسن حُر الذي أنجبته حاملة صاجات الإله حرشف، ملك الأرضين، حاكم الضفتين	(6) *sꜣ mỉ-nn Pꜣ-sn-Ḥr ms.n ḫrp ỉḥy.w n Ḥr(y)-š=f ny-sw.t tꜣ.wy ḥq(ꜣ) ỉdb.wy*
(7) المرأة پتپتددس، ابن مثيله حمپتح الذي أنجبته ثانكمت مثيلتها، ابن مثيله	(7) *Ptpt-dd-s sꜣ mỉ-nn Ḥm-Ptḥ ỉr.n mỉ-nn Ṯꜣ-n-km.t sꜣ mỉ-nn*

(8) *Wḏ-Ptḥ-ʿnḫ=f ír.n ḥm(.t)-nṯr Ḥw.t-Ḥr Nb(.t) Ḫnn-ny-sw.t sꜣ.t ny-swt.t nb.t pr Tí-n.t-spḥ (sꜣ) sꜣ ny-sw.t mí-nn Nꜣmrꜣtí*

(8) وج-پتح-عنخف الذي أنجبته كاهنة حوت-حُر، سيدة أهناسيا، ابنة الملك، السيدة تنتسپح، ابن مثيله نامراتي

(9) *ír.n ḫrp íḥy.w n Ḥr(y)-š=f ny-sw.t tꜣ.wy ḥq(ꜣ) ídb.wy Ṯ-n.t-spḥ sꜣ nb tꜣ.wy Wsrkn ír.n Wḏ-Mw.t-ʿnḫ=s sꜣ ny-sw.t Tkríwṯ*

(9) الذي أنجبته حاملة الصاجات الكبرى للإله حرشف، ملك الأرضين، حاكم الضفتين، السيدة تنتسپح، ابن رب الأرضين، وسركن الذي أنجبته وجموت-عنخس، ابن الملك تكرِوْث

(10) *mw.t-nṯr Kꜣps sꜣ ny-sw.t Wsrkn mw.t-nṯr Tꜣ-šd-Ḫnsw sꜣ ny-sw-sw.t Links Links*

(10) والأم الإلهية كاپس، ابن الملك وسركن والأم الإلهية تاشد خنسو، ابن الملك شَشنق والأم الإلهية

(11) *ʿmʿ.t (sꜣ) ít-nṯr wr ꜥꜣ Nꜣmrꜣtí mw.t-nṯr Ṯ-n.t-spḥ sꜣ mí-nn Links ír.n mw.t ny-sw.t*

(11) كرعمعت، (ابن) الأب المؤلّه، الرئيس العظيم ناماراتي، والأم المؤلهة تنتسپح، ابن مثيله ششنق الذي أنجبته أم الملك

(12) *Mḥ(w).t-n-wsḫ.t sꜣ mí-nn Pꜣ.ṯw.t sꜣ mí-nn Nb-nší sꜣ mí-nn*

(12) محوت.ن.وسخت، ابن مثيله پاثوت، ابن مثيله نبنشي، ابن مثيله

(13) *Mꜣwꜣsꜣn sꜣ tḥn Bwywwꜣwꜣ mn sp-2*

(13) ماواسان، ابن الساطع بويوواوا.

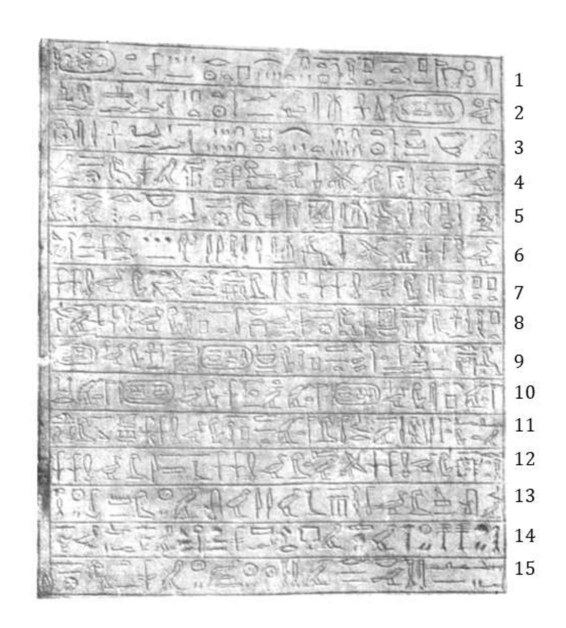
(14) *wꜣḥ sp-2 ḏd sp-2 wꜣḏ sp-2 m Pr-Ḥr(y)-š=f ny-sw.t tꜣ.wy ḥq(ꜣ) ídb.wy m s wʿ sꜣ s*

(14) يلبث لبثاً، يبقى بقاءً، يُخلّد تخليداً، يفلح فلاحاً، في معبد الإله حرشف، ملك الأرضين، حاكم الضفتين، رجلاً ابن

(15) *wʿ nn sk r nḥḥ sp-2 ḏ.t sp-2 m Ḫnn-ny-sw.*

(15) رجل، دون فناء، أبد الآبدين، أبد الآبدين في أهناسيا.

**





ش. 8: النص الأساسي من لوحة حور پاسن، نقلاً عن: Petrie 1905, 230

السطر الأول: يُسند الفعل «قَدِمَ» إلى الإله «حب» Ḥp (أي أبيس)، أما المقصود من الفصل الثاني هنا فهو الشتاء.

س.2: يرد اسم شيشنق بصيغة «ششق» *Ššq*، وقد عدّه الباحثون في السابق شيشنق الرابع، ولكن المتفق عليه الآن أنه شيشنق الخامس. أما الإشارة إلى «وُلد في السنة الحادية عشرة» فتعود إلى أبيس.

س3. كلمة تا-زسر *tꜣ-ḏsr* تعني حرفياً الأرض المقدّسة، وهي المقبرة، أما الفعل «يمنح الحياة» فيعود إلى الإله.

س.4: «حم-نت» *ḥm-N.t* هو كاهن نيث (ويرد بعد ذلك *ḥm-nṯr* أي كاهن الإله)، ومن السائد الآن ترجمة «حم» إلى نبي prophet، ولكننا التزمنا هنا بالترجمة القديمة، لأن «حم» تتضمن في بعض معانيها خدمة الإله، كما إن كاهن بالإضافة إلى معنى التعبّد تتضمن الحديث غيباً أو بصوت الإله، فكلمة كاهن في الترجمة العربية هنا أشمل من كلمة نبي.

س.6 وما بعده: ابن مثيله *sꜣ mỉ-nn*، أي مثيله في اللقب السابق.

س.7: «مثيلتها» أي أن ثانكمت مثيلة پتپتددس في ألقابها.

س.9: وسركن في السطر التاسع هو أوسركون الثاني، الملك الخامس من الأسرة الثانية والعشرين، أما تكرِوْث فهو والده تاكيلوت الأول.

س.10: ششنق هو الملك شيشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين.

س.11: يرد اسم كرعمعت kr-*ʿmʿ.t* على هذا النحو في هذا السطر، ويقرأ عادةً كرامات kr*ꜣmꜣt* وهي الصيغة التي عُرف بها في نصوص أخرى، بالإضافة إلى كريمَت Karimat وكريمُت Karimot وكراما Karama.

س.12: في نقول أخرى قرئ الاسم باعحوتي *Pꜣ-ʿḥwt(y)*، والقراءة الأصوب هي باثوت *Pꜣ.ṯwt*.

س. 13: قرئ اسم ماواسان *Mꜣwꜣsꜣn* في نقول أسبق بصيغة ماواساتا *Mꜣwꜣsꜣtꜣ*، أما اسم بويوواوا فيرد ضمن عبارة تحن بويوواوا *tḥn Bwywwꜣwꜣ*، لكن جميع الباحثين غير المدقّقين يجعلونه «الليبي بويوواوا». وهذه ترجمة مخلّة لسببين؛ الأول: لأنها تحرّف الأصل، والثاني لأنها تحول دون التفكير في ما إذا كان بويوواوا من التحنو، أم أن «تحن» هذه صفة تقديرية وُصف بها إعلاءً وتبجيلاً. فتحن.بويوواوا – فضلاً عن كونه شخصية أسطورية– ليس من «التحنو» إلا بقدر ما يكون أمنحوتب الثاني أو رمسيس الثالث من التحنو أيضاً، لأن كلمة «تحن» التي ترد في هذه اللوحة قد ارتبطت بهما قبل ذلك في بعض النقوش (انظر تحليل الكلمة في الفصل الأول)، وهذه الصفة (أي تحن، أو الساطع) هي الأساس الوحيد الذي بُنيبت عليه فرضية الأصل الليبي، ما أدّى تبعاً إلى إهمال جميع الاعتبارات الأخرى التي تؤكّد انتماء الأسرة الثانية والعشرين إلى أصل أشوري.

- ملاحظة أخرى أثارت جدلاً ظل محتدماً بين الباحثين ولكنه تُرِك دون إجماع، ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وشغلت الباحثين من مؤيدي الفرضيتين، الأشورية والليبية، تتمثل هذه الملاحظة الدقيقة في أن بعض الباحثين قد أقحم كلمة من باب التخمين، لم تكن موجودة في النص الأصلي، لكي يتفادوا خلل تسلسل النّسب، وهي كلمة «ابن» التي أُخذ بها فصارت جزءاً أصلياً، وضد هذا الإقحام بنى فلندرز پتري جزءاً واضحاً من حججه.

حلّل پتري خلل تسلسل الأنساب كما ورد في نص اللوحة، على النحو التالي : «تعدّ لوحة پاسن حُر قيّمة جداً بالنسبة إلى الأنساب الملكية، لكن أصل الأسرة (الثانية والعشرين) في هذه اللوحة لا أساس له بسبب إقحام رابط سلالي descendive أُفترض افتراضاً تمثله كلمة «ابن ...» التي لا وجود لها في الأصل. في نسخة الجزء الخاص بالأنساب الموضحة هنا [ش. 6] أُضيفت حروف لتمييز كل جيل: الحروف الكبيرة (من A إلى Q) للذكور، والحروف الصغيرة (من *a* إلى *m*) للإناث؛ وهي مكرّرة في الهامش لتسهيل الرجوع إليها.

لا يمكن الوثوق بتسلسل النّسب تماماً، فهو يذكر أن (G) أوسركون Uasarkon الثاني كان ابن (H) تكرات Takerat الأول، و(*h*) أي شپس Sheps [كبس]، في سبعة أجيال قبل كتابة [النسب]، بينما تشير الأدلة المعاصرة من الكرنك إلى أن والدة أوسركون الثاني كانت Mut·mery·ka·ma·ma .

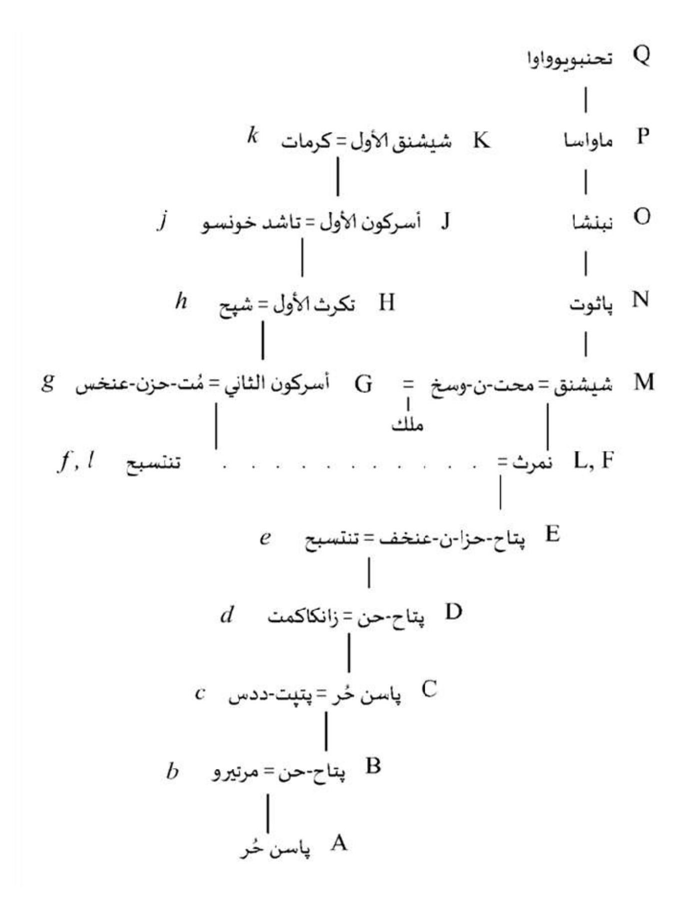
يلاحظ أن كل جيل يبدأ بصيغة «ابن» حتى نصل إلى L التي لا اقتران لها بـ K أو *k*، وقد افترض مرييت أنها كانت ثنتسپح Thentspeh ابنة تكرات الثاني، ثم خمّن كتّاب لاحقون إدراج «ابن» في L، مفترضين أن سلسلة الأنساب بأكملها (من L إلى Q) هي من أسلاف شيشنق الأول على نحو متواصل دون انقطاع. لكن هذا ليس ما نجده في النص؛ وسلالة الأسلاف المفترضين، من تحنبويوآوا Tahenbuyuaua الذي يُذكر كثيراً، تعتمد على هذا الإدراج التخميني. وعلى الرغم من تكرار بعض الأسماء غالباً، إلا أن اقتران الأسماء المزدوج نادر جداً. ومن ثَم فعندما نرى أن F و *f* هما نمرث Namareth وتنتسپح Tentspeh، ثُم يتكرّر هذان الاسمان مع الزوجين L و *l* اللذين ذُكرا بدون أي صيغة محدّدة، فإننا قد نستنتج أن ذلك مجرد تكرار للأشخاص أنفسهم. في واقع الأمر، فإن الكاتب وقد تتبّع الأسرة حتى مؤسس السلالة في K و *k*، يلتقط الخيط مرة أخرى ويواصل سلسلة نسب

أب آخر. وتكمن الصعوبة الوحيدة في إن (*f*) تنتسيح يتبعها «ابن» أوسركون، و(L) نمرث يتبعه ابن شيشنق، ويكون علينا بالتالي أن نتوقع أن أحدهما يشير إلى الزوجة، بإضافة *t* لتكون «ابنة ... »؛ ولأن L يوصف بأنه ابن رجل يحمل ألقاباً مثيلة، فيبدو أن الخلل لابد أن يكون عند *f* ، حيث يجب أن يُقرأ *sit neb taut Uasarkon* . هناك حاجة ماسة إلى بعض الترميم، ويقع الاختيار بين احتمالين (1) إما إدخال كلمة «ابن» قبل L، مفترضين أن زوجين مختلفين *f* F و *l* L لهم الأسماء ذاتها، وأن لديهم «أم ملكية» في *m* بجيلين اثنين قبل بداية السلالة، أو (2) تغيير التسلسل إلى *t* عند G، فنعادل بذلك بين *f* F و *l* L بالأسماء نفسها، وجعل *m* أماً ملكية لتكرات الثاني. أن الترتيب الثاني يبدو أكثر قبولاً، ويؤكّده على هذا النحو جلب الأم الملكية محت.ن.وسخت Mehtenusekht إلى الجيل نفسه باعتبارها الملكة موت.م.حت كراما Mut·em·hat Karama ، وهو ما يتفق مع حقيقة أن أوشبتي الملكتين متطابقان في اللون والأسلوب، ومن هنا ينبغي ترتيب النتائج على النحو التالي:

Q. Tahenbuyuaua
P. Mauasa — **K. Sheshenq I. = Karamat** *k*
O. Nebnesha — **J. Uasarkon I. = Tashedkhonsu** *j*
N. Pathut — **H. Takerat I. = [Sheps]** *h*
M. Sheshenq = Mehtenusekh (*m*) **= G. Uasarkon II. = Muthezankhs** *g*
a ki|ng
F, L. Namareth = ... Thentspeh *f l*
E. Ptah·hezankhf = Thentspeh *e*
D. Ptah·hon = Zaenkakemt *d*
C. Horpasen = Petpetdudus *c*
B. Ptah·hon = Mertiru *b*
A. Horpasen.

«

ش. 9- أ: خط النَّسب في لوحة پاسن حُر، وفق پتري (1905, p. 231)



ش. 9- ب: خط النَّسب في لوحة پاسن حُر، وفق پتري (1905, p. 231)

كانت أسباب عديدة قد رجّحت في بداية القرن العشرين فرضية الأصل الليبي، بالرغم من ملاحظات پتري المهمة، ولعل أولها أن إقحام كلمة «ابن» قد مكّن الباحثين من أخذ تسلسل الأنساب خطيّاً، الآباء/الأمهات فالأبناء فالأحفاد، لا لفهم التسلسل في حد ذاته، ولكن لأن فهمه بهذه الطريقة

يجيب على أسئلة عديدة تتعلق بالأسرتين الثانية والثالثة والعشرين، ويؤكدّ «ليبيّة» الملك شيشنق الأول تماماً، فضلاً عن كلمة «تحن» التي تسبق اسم بويوواوا، بعد أن تضاربت الآراء أمام «سؤال التجنيس» المحيّر، كما وصفه شتيرن في مقال له بعنوان «الأسرة المانيثونية الثانية والعشرين» سنة 1883، قائلاً بأن «أحداً لم يعد يشكّ في أن هذه الأسماء المختلفة تنتمي إلى الليبيين... فالأسرة الحاكمة ليست من أصل سامي أو سورري أو أشوري، بل هي من أصل ليبي»،[1] وصار ذلك من قبيل اليقين حتى إن أحد أهم المدقّقين من علماء المصريات، وهو رينوف، قال ساخراً: «يبدو من قبيل الإيمان لدى علماء المصريات الآن القول بأن ملوك الأسرة المصرية الثانية والعشرين كانوا من أصل ليبي».[2]

جيمس بريستد كان من بين أولئك «المؤمنين» بليبيّة الأسرة الثانية والعشرين، وقد عمد في «سجلات مصر القديمة» إلى نشر سلسلة پاسن حُر على نمطّ خطّي متّصل (انظر: ش. 8)، مع اعترافه بأن إقحام كلمة «ابن»، كما أشار پتري، تبدو واضحةً، وأنها غائبة من النص الأصلي، ولكنه برّر ذلك بالقول أن مثل هذا الخطأ قد يحدث بسهولة في مثل هذه القائمة الطويلة من الأسماء.[3]

رأى بريستد في نص پاسن حُر خطاً نسبياً متّسقاً يمتد من الأسرة الثانية والعشرين عبر عشرة أجيال، وستة أجيال سبقتها. وأن الأجيال العشرة في هذه الأسرة تتوافق مع ملوك الأسرة الثانية والعشرين التسعة، مع اندماج الجيل السادس قبل پاسن حُر في خط ملكي يمثله أوسركون الثاني.[4] ووفقاً

1. Stern 1883, 20-21.
2. Renouf, op. cit., 601.
3. Breasted 1906, op. cit., 399.
4. Ibid., § 786.

ووفقاً لذلك يأخذ بريستد على فلندرز پتري رأيه في انقطاع تسلسل النّسب، ويوضّح ذلك بأن پتري «يعتقد أن الزوج نملوت وتنتسپح، من الجيل السادس، هما الجيل الحادي عشر نفسه، حيث يتوقف تسلسل النسب عند الجيل السابع ثم يبدأ من جديد مع الجيل الحادي عشر (الذي يعادل السادس)، فيعاد التسلسل من السادس إلى الأول متوازياً مع تسلسل الحادي عشر إلى السابع، حيث الحادي عشر إلى السابع يمثّل نسب نملوت، والسادس إلى الأول يمثل زوجته تنتسپح. ولكن إعادة البناء هذه تواجه ثلاثة اعتراضات عصيّة:

الأول: إذا كانت الأجيال من السادس إلى الأول هي تسلسل نسب تنتسبپح وحدها، فلماذا أُدرج اسم زوجها قبل اسمها في الجيل السادس؟

الثاني: إذا كانت الأجيال من السادس إلى الأول تسلسل نسب امرأة، فلماذا يتبع الجيل الخامس كلمة «ابن» وليس «ابنة»؟

الثالث: الألقاب الواردة في الجيل السادس والحادي عشر ليست هي نفسها، ولكن في الجيل السادس يوجد لقب ليبي قديم لنملوت، بينما في الجيل الحادي عشر هناك ألقاب مصرية لابد أن نتوقعها بعد تمصّر الأسرة Egyptianization».

ثم يضيف: «إنه لمن المؤسف أن الاحتمال المذكور أعلاه لتجنّب القول بالأصل الليبي في الأسرة الثانية والعشرين يُستخدم حجةً لإثبات الأصل الآشوري، على الرغم من وجود دليل إيجابي مفاده أن الأسرة الثانية والعشرين عندما ظهرت، كانت آشور في طور انحدار، ولم تكن قادرةً على الإطلاق للتحرّك بقوة في الغرب».[1]

1. Ibid., 399.

1. The Libyan, Buyuwawa

2. Divine father of Harsaphes, great chief, Musen

3. Divine father of Harsaphes, great chief, Nebneshi

4. Divine father of Harsaphes, great chief, Pethut

5. Divine father of Harsaphes, great chief, Sheshonk—king's-mother, Mehetnuskhet

6. Divine father of Harsaphes, great chief, Namlot—Divine mother, Tentsepeh

7. KING SHESHONK I—Divine mother, Kerome

8. KING OSORKON I—Divine mother, Temehkhonsu

9. KING TAKELOT I—Divine mother, Kepes

10. KING OSORKON II—Uzmutenkhos

11. Count, governor of the South, High Priest of Heracleopolis, commander of the army, Namlot—Priestess of Harsaphes, Tentsepeh

12. (Same titles), Uzptahenkhof—King's-daughter, Tentsepeh

13. (Same titles), Henptah—Priestess of Harsaphes, Thenekemet

14. (Same titles), Harpeson—Priestess of Harsaphes, Petpetdedes

15. (Same titles), Henptah—Prophetess of Hathor, Ireteru

16. (Same titles), Harpeson (year 37 of Sheshonk IV)

ش. 10 - أ: خط النَّسب في لوحة پاسن حُر، وفق بريستد (1906, § 787)



ش. 10 - ب: خط النَّسب في لوحة پاسن حُر، وفق بريستد (1906, § 787)

هذا العرض «التقابلي» بين پتري وبريستد يتيح لنا معرفة حدّة الجدل الذي ظهر بين الفرضيتين (الآشورية والليبية) في مطلع القرن العشرين. إننا نعرف على وجه التحديد أن الفرضية الآشورية كانت نوعاً من العبء في علم المصريات لأن آشور آنذاك كانت من الضعف بمكان لا يتيح لها أن تتوغل غرباً فتقف وراء سعي الكهنة و/أو القادة العسكريين إلى السيطرة على عرش مصر، وقد قاد هذا الرأي جزئياً إلى ترجيح الفرضية الليبية. لكن حجة بريستد في إن آشور إبان ظهور الأسرة الثانية والعشرين كانت في طور انحدار، يعدّ محض مقارنة شكلية، إذ لا أحد من الباحثين –پتري تحديداً– لجأ إلى الافتراض بأن شيشنق قد استولى على عرش مصر بدعم من آشور، فهو أساساً مصريّ ذو أصل آشوريّ لا أكثر، وهذا هو جوهر الفرضية الآشورية، فضلاً عن أنهما يتحدثان في الواقع عن زمنين مختلفين ينسبانهما إلى شيشنق الأول.

لا معنى إذن للسؤال عن علاقة مملكةِ آشور بحَدَثِ ظهورِ مملكةٍ مصرية جديدة أسّسها قادةٌ أشوريُّ الأصل. أما من ناحية أخرى فإن وجود عائلة شيشنق في شرق الدلتا التي عُدّت دائماً أقرب إلى سطوة آشور قد يؤكّد انتماء عائلة شيشنق إلى الشرق، لا إلى الغرب. ملاحظة بريستد السابقة عن زمن ظهور الأسرة الثانية والعشرين، وكيف كانت آشور في طور انحدار آنذاك لا يؤهلها إلى القيام بأي دور في الغرب (أي مصر)، هي ملاحظة شكلية حقاً، ولكنها ترتبط بملاحظة أخرى كان قد ذكرها سابقاً مفادها أن عائلة شيشنق كانت قد سيطرت خلال الأسرة الحادية والعشرين على بوباستيس (شرق الدلتا)، وأن شيشنق «اتّخذ مكان إقامته هناك»،[1] وهو ما يثبت صلته بالآشوريين في الحالتين.

1. Ibid., 369.

هذه النقطة التي احتجّ بها بريستد تدعم الفرضية الآشورية إذن، فضلاً عن نقطتين أخريين لا يمكن تجاوزهما في حجاج پتري، الأولى هي غياب كلمة «ابن» من تسلسل النسب (بريستد ينسب ذلك إلى خطأ ارتكبه الكاتب المصري)، ما يؤكّد وجود خطّين نسبيين في لوحة پاسن حر، والثانية تنبيه رينوف (أكّده پتري ولم يعلّق عليه بريستد) على أن كلمة «تحن» التي تسبق اسم بويوواوا ليست سوى نعت على التقدير أُريد به التبجيل، ولا نستطيع أن نفهم منها معنى المجموعة العرقية «تحنو»، أو بلاد التحنو، لغياب المحدّد التمييزي الذي يشير إلى ذلك، وهو سياق ثابت في النقوش المصرية لا يتغيّر.

2

نقش ملك الملوك

غايتان متّصلتان لي وراء ترجمة نقش «ملك الملوك»، الأولى: عرض نموذج من تحليلات الروّاد الأوائل، وفي هذا مثال عن تلك الرؤية المنهجية الدقيقة التي رأوا من خلالها أبعاد الكيان الأفروآسيوي ووحدة أجزائه. والثانية: عرض نموذج من أساليب ترجمة النصوص الهيروغليفية لا يقتصر على مجرّد النقل الحرفي في حيز اللغة المصرية القديمة بل يستعين معها بلغات الشرق الأدنى، ومثالها الأشورية، من أجل فهم النص المترجَم فهماً شاملاً، واستجلاء غوامضه.

عندما ترجم بروغش نقش أبيدوس لاحظ أن نصفه العلوي مفقود، وتوقّع أن يكون مدفوناً في مكان ما أبيدوس، بينما كان نصفه السفلي محفوظاً يمكن قراءة محتوياته بوضوح. يقول عن ذلك: «واجهتُ صعوبة كبيرة في نقل النص من سطح أثرت فيه عوامل المناخ، ولكنه سيعطي للقراء صورة عامة عن مراسم الملك الآشوري العظيم الذي كانت أسماؤه وألقابه محفوظ جيداً، خاصة في ما يتعلق بألقاب الشرف الشرقية المضفاة على ملك الملوك. أقدم هنا ترجمة هذا الجزء المتبقي، مقتنعاً بأن زملائي في هذه الدراسات سوف يرحبون بكل سرور بنشر هذا النقش الرائع غير المعروف حتى الآن».[1]

1. Brugsch, op. cit., II,

كانت تلك كلمات بروغش في كتابه «تاريخ مصر في ظل الفراعنة»، أما لماذا لم يتردّد في تأكيد صفة «الملك الأشوري العظيم» و«ملك الملوك» فلأنه قرأ Mat على هذا المعنى،[1] كما قرأ Ur على أنها أيضاً تعني «ملك»،[2] ولم تخرج عبارة «ور ن م» في ترجمته عن «ملك الأشوريين»، أو «ملك أشور العظيم».[3]

قد يرى بعضنا أن هذا النص على لسان شيشنق إنما هو الذي توجّه به شيشنق الجد إلى الإله آمون في زمن پسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين. هذا التوافق بين اسم شيشنق الجد وابنه نملوت، من جهة، وشيشنق الأول وابنه نملوت من جهة أخرى، كان صلب جدل كبير ما زال مستمراً. ولا يغفل المتخصصون عن إن الكثير من حُجج هذا الرأي مبنية على ترجيحات أساسها التوافق والتواضع بين الباحثين. إن هذه المرحلة (الفترة الانتقالية الثالثة إجمالاً)، بتسلسها الزمني الهشّ، ما زالت مربكة جداً في جينيالوجيات الأسر المصرية، وأعتقد أنها ستظل مشوّشةً إلى زمن طويل طالما أن الاكتشافات الأثرية ممكنة ومتاحة لم تنته، وليس من المستغرب أن مثل ذلك التسلسل الزمني الهشّ قوبل في حالات كثيرة بالنقد أو صير إلى إعادة ترتيبه بناءً على اكتشاف نقش أو العثور على لقية أو الانتباه مجدّداً إلى تفاصيل نص متوارٍ.

أعتقد من هذه الناحية أن الحجج التي قدّمها بروغش (وآخرون) لم

---

1. Ibid., 201-202.
2. Ibid., 285.
3. في ترجمة بلاكمان التي نشرها (Blackman 1942, 83-95)، يتكرر اسم مشوش ثلاث عشرة مرة، دون أن يرد الاسم في هذا النقش مرةً واحدة. ذلك أنه أبدل به كلمة «مَ» (مع) أينما وردت في عبارة *Wr ꜣ n Mꜥ*، وهو اللقب الذي نقرأه «سادن مَ الكبير». انظر ش. 11.

تستوفَ بعد، وإذا كنّا قد انتهينا ببحثنا هذا إلى إحياء الفرضية الآشورية وتأكيدها فإن ترجمة نقش أبيدوس كما قدّمها بروغش تحتاج من الباحثين إلى إعادة تقييمها، ولا أعني الأخذ بها حرفياً، قدر ما أعني إعادة وضعها في مكانها الصحيح، والاستفادة منها في «ترميم» المفردات الرئيسية التي ظهرت واستُخدمت في زمن الأسر 22- 24، وانبنت على أساسها الكثير من الآراء والتفسيرات الخاطئة التي لوت مسار التاريخ حتى صار الشرق غرباً والغرب شرقاً.

غير إن «المفاجآت في هذا الشأن لم تُستنفد بعد»، كما قال بروغش.

**

﴿ النص ﴾[*]

«[إلى آمون رع تحدّث ملك أشور العظيم] ... الملك العظيم، الملك شيشنق [زارَ] ابنه في مثواه الجميل مع أبيه أوزيريس، حيث سُجّي جثمانه على سريره في مدينة نفر (أبيدوس)، على مرأى [معبد أوزيريس]: «أنت أعتقتَه من بلوغ الشيخوخة الواهنة، بينما بقي على الأرض، أنت منحتَه راحته [«الأبدية»]. سوف تكون أعيادي في سبيل هذا، لأنال نصراً محقّقاً». ووافقه الإله العظيم تماماً.

ثم تحدّث جلالته ثانيةً إلى الإله العظيم وقال: «أيها الرب الصالح، أمِت [قادة] الجند،[1] و... الكاتب، ومعاين الأراضي، وكل...؟ الذين أرسلتَهم [مفوّضين] إلى هذا المكان، وكل من نهبَ [ممتلكات] مذبح سيد آشور

(*) ما يرد بين حاصرتين وعلامة تضمين [«...»]إضافة شارحة أو تعليق على الأصل.

1. في الأصل (الجيش)، وهم الجنود المكلّفون بحراسة ضريح نمرث (نملوت).

العظيم، الأوزيري[1]، نروماث Na-ro-math[2] (نمرود Nimrod)، ابن محت-ن-وسخ Mehet-n-usekh، دفينة أبيدوس، وجميع الذين سطوا على مِلكه المقدّس، وأهله، وقطعان مواشيه، وحدائقه، وقرابينه، وكل ما كان مكرساً على شرف ذكراه، فلتفعل ما تقرّه روحك العظيمة بمحض قدرتها، لإعادتها ثانيةً، وإعادة النساء وأطفالهن»، وأقرّ الإله العظيم هذا [«الرجاء»] بكل لطف.

إذّاك ارتمى جلالته على الأرض أمامه، وقال جلالته: «امنح النصر لشيشنق ملك أشور العظيم، ملك الملوك العظيم المجيد... وكل من معه، وجميع المحاربين، وكل [شعبه] معاً».

ثم [كلّمه] أمون رع، ملك الآلهة: «سأفعل [وفق رغبتك]، سوف تنال (بركةَ) عمرٍ عظيم، وسوف تبقى على الأرض، وسوف يجلس وريثك على عرشك إلى الأبد».

ثم أمر جلالته بتمثال على هيئة رجل يمشي، يصوّر ملك آشور العظيم، الأوزيري، ملك الملوك العظيم، نروماث الذي جلب النهر إلى أبيدوس. وكان الحاضرون أثناء ذلك جماعة كبيرة من الجند في سفن كثيرة لا أحد يعرف عددها، ومعهم سفراء ملك أشور العظيم. وجُهّزت غرفة قدس الأقداس الملكية الرائعة تحت عين الشمس اليمنى لكي تحمل القرابين على مذبح نفر. وبحسب الشعائر المقدسة أقيم التكريس.

ضُوّع البخور في غرفة الأسرار ثلاثةَ أيام، وأُعدّ ذلك لـ[«إقامة»] شرائع

---

1. الأوزيري Osirian، وصف نمرث الذي انتقل إلى أوزيريس في عالم الأموات.

2. الأصل الهيروغليفي في اسم نملوت يوافق نمرث *Nmꜣrṯ* أو نمرتي *Nꜣmꜣrti͗*، وهناك صيغ أخرى في كتابته أيضاً، لكن بروغش ينقله *Nꜣ-rw-mꜣṯ* .

الهيكل على هيئة سجل مكتوب، وفق ما جاء في شرائع أعياد الآلهة، ونُصِب لوحٌ تذكاري بلغة أرض باب[ل]، يتضمّن أمر [الرب العظيم] باسمه. ووُضع (اللوح التذكاري) في قدس أقداس الآلهة إلى أبد الآبدين.

[هذا هو السجلَ] الذي تم تخصيصه لمذبح ملك الآشوريين العظيم، الأوزيري، نروماث، ابن محت-ن-وسخ، دفينة أبيدوس، وقد خُصّص (له) أشخاص [مشترون؟] [«أرقاء»] من خارج [بلدان؟] ملك آشور العظيم، وهم: أيروماپاتوت Aïromapatut، من شعب الفينيقيين، ومطيع النداء خاو-آمون Khau-amon ، ... و ... فينيقي (يُدعى) بك-پتاح Bek-ptah. (وكان ثمن) شراؤهم خمسة عشر من النقد الفضي. وأعطاهم جلالته عشرين نقداً فضياً، مجموعه خمسة وثلاثون نقداً، وهذا هو مبلغ كلفتهم. إن خمسين أرورا[1] من الأراضي التي تقع في مرتفعات جنوب أبيدوس، وتسمّى «عهدالمملكة الدائم» *Heh-suteni* ، تكلف خمسة من النقد الفضّي، و(الحقول) التي توجد بجانب (؟) القناة في أبيدوس، وهي في خمسين أرورا، قد دُفع فيها خمس من النقد الفضّي، وهذا مجموعه [مائة أرورا] في هذين المكانين من منطقة المرتفعات جنوب أبيدوس، وفي منطقة المرتفعات شمال أبيدوس، ومن أجل ملكية هذا الأرض المكونة من مائة أرورا، دُفع أيضاً عشرة من النقد الفضيّ.

[سجلّ خَدَمة المكان]: خادمه پي-يوئر Pi-uër، خادمه ...، خادمه آري-بك Ari-bek، خادمه بو-پي-أمون-خا Bu-piamon-kha، خادمه ناي-شنو Nai-shennu، خادمه پش-ن-حُر Pesh-en-Hor. ما مجموعه ستة خَدَم دُفع ثمنهم بقيمة ثلاثة وأوقية واحدة من النقد الفضي، ما مجموعه [8]1

1. أرورات (Arurae في اللغة اليونانية) جمع أرورا Arura، وهي كلمة مصرية، تعني مساحة من الأرض تبلغ 100 ذراع *mḥ* مصري.

نقداً في ست أوقيات من الفضة. إن [ولده (؟) ... وولده (؟)] ... ابن حُر-سي-يس Hor-si-ise قد دفع له أربع أوقيات وثلثين من النقد الفضي عن هؤلاء.

الحديقة التي تقع في قطاع المرتفعات الشمالية من أبيدوس كلّفت نقدان فضيّان، والبستاني حُر-مس Hor-mes، ابن پن-مر Pen-mer [«كُلْفته»] ? + ثلثا أوقية من النقد الفضي، والسقّاء ... ابن ... كُلْفته ستٌّ وثلثا أوقية من النقد الفضي.

سجلّ الخادمات: نس-ت-تپ Nes-ta-tep، أمها تت-مت Tat-mut، الوصيفة تات-يس Tat-ise، ابنة نبت-حپت Nebt-hepet ، أمها أرياماخ Ariamakh، الوصيفة تت-أمون Tat-amon، ابنة پنحاس Pinehas، [الوصيفة ...، ابنة ...]، كل منهن بخمسة أوقيات وثلثين من النقد الفضي.

نفقة [شراء العسل] قدرها ثلاث أوقيات وثلثين من النقد الفضي، حُسِبت من ذخيرة أوزيريس، حتى يُعطى مقدار هنو *hnw* [1] من العسل من ذخيرة أوزيريس [إمداداً يومياً، للأوزيري] ملك آشور العظيم، نرومات الذي أبوه ملك الملوك العظيم [شيشنق وأمه محت-ن-وسخ، إلى الأبد].
يُحسَب من ذخيرة أوزيريس المال اللازم لذلك، دون زيادة أو نقصان.

[نفقة شراء] البلسم balsam يجب أن تبلغ أربع أوقيات وثلثين من النقد الفضي، وتحسب من ذخيرة أوزيريس، حتى تعطى أربع أوقيات من البلسم من ذخيرة أوزيريس كل يوم من أجل قربان الأوزيري، ملك الآشوريين العظيم، نرومات الذي أمه محت-ن-وسخ إلى الأبد. و[للتزود] بالبلسم، يُحسَب المال من ذخيرة أوزيريس، دون زيادة أو نقصان.

[نفقة شراء] البخور تبلغ خمس أوقيات وثلثان من النقد الفضي،

1. مقياس سوائل مصري يزيد عن ستة لترات.

تُحسب من ذخيرة أوزيريس، حتى يُعطى مقدار هنو ? *hnw* + وثلثا أوقية من ذخيرة أوزيريس كل يوم من أجل [الاستمرار في] حرق البخور للأوزيري، ملك آشور العظيم، نروماث الذي أمه محت-ن-وسخ إلى الأبد. ومن أجل شراء البخور، يُحسَب المال من ذخيرة أوزيريس، دون زيادة أو نقصان.

[نفقة مختلف الأشخاص العاملين في تحضير التوابل، والأشخاص الذين يعملون في الحصاد، تبلغ لكل منهم] ? + ثلاث أوقيات، لكل واحد أوقية من النقد الفضي، تُحسب من ذخيرة أوزيريس، حتى يُعطى [... كعك التوابل] كل يوم، و[يعطى ...] من ذخيرة أوزيريس، ويعطى... من ذخيرة أوزيريس من أجل مذبح الأوزيري، ملك آشور العظيم، نروماث الذي أمه محت-ن-وسخ إلى الأبد.

لمعونة العاملين في تحضير التوابل، يُحسَب المال أيضاً من ذخيرة أوزيريس. [وأيضاً بالنسبة إلى] العاملين في الحصاد في الحقول العليا [نفقاتهم] تُحسَب من ذخيرة أوزيريس، حتى مبلغ قدره ... من النقد الفضي، دون زيادة أو نقصان.

هذا هو مجموع النقد الفضي لهؤلاء، ويُحسَب من ذخيرة أوزيريس [ومنها تؤخذ جميع المدفوعات] التي تُقتطع من [ذخيرة أوزيريس] من أجل مذبح الأوزيري، ملك آشور العظيم، ملك الملوك، نروماث الذي أبوه ملك الأشوريين العظيم شيشنق، الذي أمه محت-ن-وسخ.

هذا مخصّص للأوزيري، ملك الآشوريين العظيم، نروماث ابن محت-ن-وسخ [دفينة] أبيدوس، لملكية مائة أرورا من الأرض، لخمسة وعشرين رجلاً وامرأة، للحدائق، ويبلغ ذلك من النقد الفضي مائة + ? نقداً، ?أوقيـ(ـات)...».

**

ش.11: الأسطر الأولى (1-10) من نقش ملك الملوك، نسخة بلاكمان

Blackman 1942, plate X.

أعتقد أن زملائي المحترمين في المجال العلمي يعترفون عن طيب نفس أنه على الرغم من حالة النقش التالفة والمتضررة، فإنه أحد أكثر النقوش أهميةً، وأضيف أنه أحد أكثر النقوش إدهاشاً من بين كل ما عُثر عليه من نقوش على الأراضي المصرية. مَن كان يتوقع مثل هذا الدليل المباشر على وجود ملك آشوري عظيم في وادي النيل، في حين أخفت الآثار –بطريقة عنيدة– كل البيانات الحقيقية؟ لا يمكننا إلا أن نفترض أن المصريين، بعد رحيل ملوكهم الآشوريين العظماء، دمّروا جميع آثارهم بكل حرص، وأن الأثر الذي ذكرناه لم يفلت من المصير نفسه إلا لأنه استُخدم على هيئة كتلة حجرية ملائمة تم حشرها في بعض مباني مقبرة أبيدوس.

سأضيف إلى هذه الملاحظات إشارة إلى حقيقة جديدة ليست أقل أهمية من ذلك، وتتعلق بتمثال الملك العظيم نمرود [«نروماث»] الذي ورد ذكره في النقش، إذ بمصادفة غريبة من القدر تم الحفاظ عليه أيضاً، وقد تعرّفت عليه في تمثال من الغرانيت الأحمر على هيئة جالسة عن طريق النقش الهيروغليفي الذي يحمله، وهو واضح جداً في أهم مقاطعه، والتمثال معروض في وسط القاعة الرئيسية للمجموعة المصرية في متحف فلورنسا.

مَن كان يستطيع افتراض أن هذا التمثال الذي بلا رأس يمثل ملكاً آشورياً عظيماً وُجد حوالي عام 1000 ق.م؟ لكن المفاجآت في هذا الشأن لم تُستنفد بعد. وسوف أُثبت، بينما نستمر، وجود حكام مقاطعات آشوريين من عائلة نمرود نفسه، وقد كانوا أمام أعيننا في النقوش، دون أن ينتبه أحد من الباحثين أن سر-ا-مت Ser-’a-mat «أمير الشعوب العظيم» كان لقباً آشورياً رسمياً.

كما أشرنا سابقاً، ارتقى أحد أبناء ذلك الملك العظيم نمرود عرش

مصر، وهو شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين .وفي الوقت نفسه تقريباً، بتوجيه من شيشنق هذا، نُظّمت مسألة ميراث الأميرة كرامات Karamat (هكذا يجب أن يُقرأ الاسم، وليس «مات-ك-را» Mat-ke-ra ، أو «إيا-مات-كي» Ea-mat-ke) بأمر ملكي، وباسم مجمع آلهة طيبة. لقد كانت هذه السيدة من نسل زواج الملك پيسبخان[1] من رجل من طيبة (من الرعامسة؟)، ووفقاً لعادة مصرية شائعة، فقد سُلب إرثها الموجود في مصر العلي. أما بزواج الملك شيشنق الأول من كرامات Kar-am-at، فقد تغير شأنها تماماً.[2]



1. پيسبخان Pisebkhan: هو پسوسنس الثاني آخر ملوك الأسر الحادية والعشرين، وپسوسنس هو الاسم التتويجي، أما اسم الميلاد فهو حُر-پسبخانيوت *ḥr-pꜣ-sbꜣ-ḫʿi-n-níwt* (Hor-Pasebakhaen-niut II) أو Hor-Pisebkhan II كما يكتبه بروغش.
2. Brugsch, op. cit., II, 208-213.

مراجعة اسم ليبيا

معالجة المفردات الأساسية من أسماء الملوك والقبائل في سِيَر الأسر 22– 24 يتّصل في نهاية المطاف باسم ليبيا، وقد رأيت من المناسب أن أضيف هذا الفصل محاولاً الإجابة عن أسئلة الأصل وبناء الكيان، مع التذكير ثانيةً بأن اسم ليبيا أينما ورد في هذا البحث إنما هو «ليبيا القديمة» وفق التقليد الهيرودوتي، أي أقاليم شمال أفريقيا غرب النيل، ولا صلة له باسم ليبيا الحديثة كما استخدمه الإيطاليون في الربع الأول من القرن العشرين.

مراجعة اسم ليبيا

مرّ بنا أن المشوش Mšwš كانوا جزءاً من شعوب البحر، وأن دلالة الكلمة صارت تعني «الجند الأغراب» في جيش مصر أو ما يعرف بـ«المرتزقة» منذ أواسط عصر الأسرة الثامنة عشرة، ولا صلة لهم بليبيا في الأساس، كما إن اسمهم لا يتوافق لغوياً مع الاسم الذي أورده هيرودوت، أي Maxyse، وإن وجودهم المسبق في شمال أفريقيا غرب النيل مجرّد رأي دارج في الدراسات التاريخية، لا دليل يثبته، بل وصفوا بالليبيين لارتباطهم في الكثير من النقوش المصرية باسم آخر هو «الربو» الذي عُدّ أصل اسم ليبيا.

لا دليل، من ناحية أخرى، يثبت أن الربو كانوا في ليبيا القديمة، شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، كما إنهم، مثل المشوش، لم يُذكروا في الوثائق المصرية إلا ضمن شعوب البحر، أو الشعوب الشمالية «التي جاءت من كل البلدان»، حيث ظهر اسمهم بشكل غامض في عهد رمسيس الثاني، ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشر، ثم وطّنهم رمسيس الثالث في مصر، بعد أن هزمهم. فكيف ارتبط اسمهم باسم ليبيا على النحو الذي يعرفه الجميع؟

يُنسَب اسم ليبيا إلى عدة مصادر، أهمها: المصري والإغريقي والفينيقي، وكما سيرى القارئ، سوف نبحث جذور الاسم التاريخية في هذا الفصل، فنعرف أنه لم يقتصر على أحد تلك المصادر، ولكنها اشتركت تباعاً في ذلك، حيث كانت بدايته مصرية، ثم نقله الفينيقيون إلى الإغريق الذين أثبتوه في مصادرهم بصيغته الحالية.

إن السبب الرئيسي الذي جعل الربو «ليبيين» يعود إلى المقاربة

الاشتقاقية التي قاربت بين «ربو» و«لبو» وهو الاسم الذي قيل أنه تحوّل عن طريق الإغريق إلى ليبو، ومنه اشتقّ اسم ليبيا. رحلة اللفظ السريعة هذه كما عَبَرَها الباحثون لم يُعَد النظر فيها أو في حقيقة تأثيلها اللغوي-التاريخي، منذ نهاية القرن التاسع عشر، بالرغم مما يسمها من خلل، خاصة بعد فرضية بروغش (ت. 1894) في أن الربو في الوثائق المصرية هم الليبيون أو سكان شمال أفريقيا، وقد جرى ذلك مع إهمال قراءة أسبق كان شامبليون (ت. 1832) قد استنتجها، وفيه يجعل كلمة «ربو» أينما وردت في النقوش تعني البدو،[1] أي إن دلالة اللفظ تتصل بسكان غرب النيل وشرقه على السواء، ولكن نسبة «ربو» إلى ليبيا استقرّت، مثل مفردات أخرى غيرها، لتدل على الليبيين، ثم صارت يقيناً لا شكّ فيه، واحتلت جزءاً أصيلاً من ذاكرة المعارف التاريخية. أعتقد أننا نستطيع التفكير بمعزل عمّا هو دارج في هذا السياق عن طريق إعادة النظر في تأثيل المفردات الأساسية التي تكرّر ذكرها في اللغات الأفروآسيوية القديمة.

1. المصدر المصري

أطلق المصريون على بلادهم اسم كمت *kmt*، أي الأرض السوداء (وادي النيل)، كما أطلقوا على عموم ما يقع غربها وشرقها من صحراء اسم دشرت *dšrt*، أي الأرض الحمراء وسوف يبقى هذا الاسم كذلك، بالإضافة إلى تمييز غرب مصر بأسماء أخرى، مثل «إمنت» *ʾImnt* التي تعني في المصرية القديمة: جهة الشرق (لأن المصريين القدامى كانوا يعتبرون الشمال جنوباً

1. «ترجم شامبليون، وهو أول من كتب في اللغة المصرية القديمة وقواعدها، باعتباره فاكّ رموز كتابتها، كلمة ربو (ريبو) Rbw في مؤلفه Principes généraux de l'écriture sacrée égyptienne إلى «بدو» Bedouins [أي أعراب] ولم يترجمها «ليبيون» Libyens». انظر: خشيم، م. س. ج1، ص. 84.

والجنوب شمالاً، والشرق غرباً والغرب شرقاً)، ولأنهم اعتقدوا أن الشمس تموت في الشرق (أي الغرب) قبل أن تنهض حيةً في اليوم التالي من الغرب (أي الشرق)، فقد أطلقوا على الصحراء التي تليهم غرباً اسم: «إمنت»، وهو يرادف في معتقدهم أرض الأموات، الأرض التي ترحل إليها الأرواح وتتوطّنها. وكانت الكلمة تكتب بعلامة هيروغليفية تمثل ريشة النعام التي قصرها الباحثون غالباً على تمييز القبائل الليبية القديمة، وهذا دارجٌ بينهم ولكنه غير صحيح، لأنها أكثر ارتباطاً بالجنود، وخاصة النوبيين منهم.

توارى اسم «إمنت» في ظلال الأساطير، بينما أطلق المصريون على القبائل (أو الأقوام) التي تقع غرب النيل أسماء مختلفة، ومن الدارج القول بأن اسم ليبيا يعود إلى اسم إحدى هذه القبائل أو الأقوام (أي ربو RBW)، إلا أنه سينتشر بصيغته اليونانية، لا المصرية، وإن كانت الأساطير اليونانية مع ذلك تعيد ليبيا إلى مصر بطريقة أو بأخرى، كما سنرى.

كان أول أثر يشار فيه إلى «الليبيين» هو الذي ظهر فيه اسم تحنو ويعرف بلوحة التحنو أو اللوحة الليبية التي تعود إلى ما قبل زمن الأسرات، ثم ظهر اسم تمحو في نقش ويني، في زمن بيبي الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة (المملكة القديمة)، وسوف يمضي وقت طويل حتى يظهر اسمان آخران عُدّا من الليبيين هما المشوش والربو في زمن رمسيس الثاني (المملكة الحديثة)، وسوف يواصل الباحثون ذكر هذه الأسماء الأربعة كلما تحدثوا عن الليبيين في مصر.[1]

يمكن القول أن المصريين رأوا جيرانهم الغربيين في صورة مجموعات

---

1. مع أسماء أخرى ذُكرت دون أن تعود الأدبيات المصرية إلى الإشارة إليها مثل: إموكهك، قهق، قيقش، إسبت، إقبت، حس، بقن.

متفرقة من سكان الصحراء، لكنهم لم يميزوا من أولئك السكان سوى التحنو والتمحو، وهما اسمان يعودان إلى اللغة المصرية نفسها، أما المشوش والربو فلم يكونوا سوى مجموعتين من مجموعات الغزاة الذين «جاؤوا من كل البلدان»، أو ما يُعرف بشعوب البحر.

في نقش مرنبتاح يتكرّرَ ذكر ثلاث تجمّعات قبلية (أو شعوب)، يقول النقش على لسان الملك: «أتى أهل التحنو Teḥnu معاً في مكان واحد، ربو Rbw وسپد Spd ومشوش Mšwš». إن عبارة «في مكان واحد» تشي فعلاً باستقلال كل مجموعة عن الأخرى، أو بتوزّع تلك القبائل على مناطق مختلفة دون رابط يجمعها (ربو، مشوش، سپد) إلى أن التقت في وقت معيّن في مكان واحد. هذه العبارة تقول بوضوح أن «أهل التحنو» أي أولئك الذين تجمّعوا في «أرض التحنو» التقوا «في مكان واحد»، لكن لا شيء في نقش مرنبتاح يشير إلى أن «التحنو» أنفسهم كانوا جزءاً من ذلك التجمّع، فهؤلاء التحنو أسبق وجوداً ولم يكونوا من بين الذين جاؤوا إلى تلك الأرض، فهي موطنهم في الأساس. يجب أن ندقّق هذه العبارة هنا. إن مرنبتاح يفرّق بين تلك الأقوام وبين التحنو، بينما كان يستعدّ لدخول أرض التحنو ومواجهة شعوب البحر. لقد لخّص رينوف هذه النقطة منذ نهاية القرن التاسع عشر في «من كان الليبيون؟» قائلاً: «أنْ نخلط بين التحنو والربو والمشوش تحت اسم عرقيّ واحد [الليبيين]، أشبه بأن نخلط بين الإغريق في قورينا، والقرطاجيين والنوميديين».[1]

سوف يستمر ذكر التحنو والتمحو حتى زمن پسماتيك الأول (الأسرة 26)، أما المشوش والربو فقد استمر ذكرهما حتى زمن بيي (بعنخي) وطهارقا (الأسرة 25)، وفي كل الأحوال فإن هذه المجموعات الأربع لم تُعرف

1. Renouf, op. cit., 559.

خارج مصر، وإذا كنا قد رأينا في التحنو والتمحو مجموعتين تنتميان إلى غرب النيل، ورأينا في المشوش جنداً أغراباً أشداء تم إخضاعهم، فإن الربو تحديداً هم من سيتميّز اسمهم لاحقاً، فيدلّ على شعب أو شعوب شمال أفريقيا، والقارّة في زمن ما. فإلى أي مدي يصدق هذا التحوّل من اسم قبيلة أو مجموعة من غزاة مصر إلى هذه الدلالة الإثنية والإقليمية والقارية؟

لقد تم التعرّف على دلالة اسم ليبيا المشوشة عن طريق اللغة المصرية، هذا إذا رجّحنا بأن كلمة «ربو» انتقلت إلى اليونانيين بصيغة «لبو» أو «ليبو»، دلالةً على القبيلة، ومنها اشتقّت ليبيا، أي أرض الليبو. ولكننا مع ذلك لا نستطيع الإجابة عن عدة أسئلة يثيرها هذا الترجيح، وأبرزها ما يتعلق بالسبب أو الأسباب التي تكمن وراء تحوّل اسم «ربو» من دلالته القبلية إلى دلالة إقليمية عامة تشير إلى جميع «القبائل الليبية» بالرغم من غياب أي دليل يشير إلى وجود قبيلة كبيرة أو قوية أو معروفة بهذا الاسم بين قبائل غرب النيل، باستثناء ما أشار إليه المصريون من أنها تولّت قيادة التحالف العسكري-القبلي لغزو مصر، أما غير ذلك فلا شيء من الشواهد الأثرية، النصية أو النقشية، على الإطلاق، يدلّ على وجودها قبل ذلك الغزو. وبينما أكدت النقوش المصرية وجود الربو في مصر وأنهم كانوا مع «الشماليين الذين جاؤوا من كل البلدان»، أي شعوب البحر، فإنها لم تذكر قط أنهم كانوا من سكان غرب مصر (دشرت أو أمنت أو أي اسم آخر يدلّ على غرب مصر)، ومثلما يقول كوني فإن «الإشارة إلى السكان المعروفين لدى المصريين باسم «الربو» قد بدأ على نحو مفاجئ في عهد رمسيس الثاني، ولكن ظهورهم المفاجئ في المصادر المصرية لا يقدم لنا أي إشارة إلى أصولهم... كما إن التحالف بين هذه المجموعة وما سمّى بشعوب البحر يشير إلى صلة وثيقة جمعت تلك الشعوب بهذه المجموعة

السكانية الكبيرة غير المتجانسة ذات الأصل الغامض مثلهم».[1]

وبسبب الاعتقاد بأن اسم ليبيا ينحدر من اسم «ربو» صارت جميع القبائل أو الأقوام المختلفة التي توجد أصلاً غرب النيل أو تأتي منه في زمن ما، أو ترتبط به بكيفية أو بأخرى، تدعى ليبيين، وساد اتفاق بين الباحثين أن قبيلة «ربو» كانت من الضخامة والانتشار بما يجعل اسمها علماً على جميع القبائل أو الأقوام الأخرى طالما أنها تسكن في الغرب. ولكن الأمر لم يكن كذلك قبل تعميم اسمها وتضمينه معنى «شعب»، فالثابت لدينا أن القبائل والأقوام التي يشار إليها بهذا الاسم كانت مختلفةً عن بعضها بعضاً اجتماعياً ولغوياً، كما إنها لم تكن تسكن، أو ترتاد، أرض «ليبيا» أو شمال أفريقيا، باستثناء التحنو والتمحو. أما في ما يتعلّق بالربو (ومثلهم المشوش، وغير ذلك من الأسماء التي وردت ضمن شعوب البحر) فلا شيء على الإطلاق يُثبت عرقهم أو لنقل «هويتهم»، ولم يقع تصنيفهم وتحديد أبعادهم إلا بفعل تراكم عدد من أوهام البحث العلمي على مدى عدة عقود. إنها بعبارة وليام كوني لا تعدو كونها: «هوية اختُلِقت واصطُنِعت وطُوّرت بمرور الوقت».[2]

---

1. انظر وليام كوني، 2011، ص 167، وهو يضيف ملاحظة مهمة بعد ذلك (ص.173): «عُثر على أقدم الإشارات إلى الربو في النصوص المصرية المكتشفة على امتداد الساحل الشمالي الممتد من العلمين إلى زاوية أم الرخم، وفي حين أن هذه التلميحات تشير بقوة إلى أن المصريين واجهوا مجموعة الربو على امتداد هذا الخط الساحلي، فقد يكون من باب الاستنتاج المنطقي بالتالي تفسير ظهورهم المفاجئ بكونهم من السكان الأصليين في هذه المنطقة. لكن الواقع هو أن الحصون التي تحمي الشريط الساحلي يشير إلى أن الإستراتيجية الدفاعية لم تكن بناء سلسلة من المواقع موجهة غرباً نحو «ليبيا»، بل كانت دفاعاً شمالياً... موجهاً نحو البحر الأبيض المتوسط».

2. Cooney, op. cit., 23.

2. المصدر الإغريقي

يبدو تحوّل التسمية المصرية «ربو» إلى «ليبيا» على نحو تدريجي تسلسلاً مقبولاً بين الغالبية العظمى من الباحثين:

ربو ← لبو ← (لوبو) ليبو ← لوبوس (ليبوس) ← لوبيا (ليبيا)

Rbw → Lbw → Lybu (Libu) → Lybues (Libues) → Lybia (Libya)

لكن الكيفية التي حدث بها هذا التسلسل واشتق بها الإغريق مصطلح Libues دلالةً على «الليبيين» ما زالت مجهولةً منذ أن ظهرت فكرة هذا الاشتقاق في منتصف القرن التاسع عشر.

كان هيرودوت في «التواريخ» أشهر من نشر اسم ليبيا، أو لوبيا،[1] في القرن الخامس ق.م. إلا أننا قبل ذلك نجد الاسم بهذه الصيغة عند هوميروس في ملحمتيه «الإلياذة» و«الأوديسا»، أما التفكير في كيف ظهر الاسم في زمن هوميروس، أي القرن التاسع (أو الثامن) ق.م. فسوف يبقى سؤالاً بلا إجابة، هذا إذا رجّحنا بالطبع أن هوميروس كان شخصاً تاريخياً حقاً، وأن الملحمتين من تأليفه، وليستا من قبيل السرديات الشعبية الشفوية التي جُمعت ودُوّنت لاحقاً.

إننا نجد اسم ليبيا في عمق الأساطير، في حكايات هرقل الأسطورية وحدائق الهسبيريد والأمازونات، وغير ذلك من المغامرات الأولمبيّة، بدلالة عامة تفيد الرحيل إلى أرض بكر مجهولة المعالم ومليئة بالمفاجآت غير المتوقَّعة والمخاطر الفتّاكة، ولم يكن الـ«ميثوس» في زمن هوميروس مصدراً يُقصَر على دلالة الأسطورة، بل إن الأسطورة في حدّ ذاتها كانت شكلاً من أشكال الإخبار وأقرب إلى «اليقين»، ثم أخذت بالتدرّج دلالة الحكاية،

---

1. لوبيا Lybia شكل آخر من لفظ ليبيا Libya يغلّب نطق y بلفظ u أو o.

فصارت أقرب إلى مجرّد «خبر مرويّ»، خبر قد يشترط الإمتاع، ولكنه لا يشترط المعقولية، وبهذه الدلالة الأخيرة كانت في زمن هيرودوت الذي أرّقته المقارنة بين الأخبار المتناقَلة بمقياس صدقها من عدمه، وكان أمامه في ما يبدو عدد غير قليل من السرديات الميثولوجية التي نُسجت عن ليبيا، «بعضها يقول أن الإله زيوس Zeus قد أحب إيوس Io بنت الإله النهر إينوخوس Inachus، وصيفة زوجته الإلهة هيرا Hera، فغضبت هذه منها ومسختها بقرةً بيضاء وعندما علم زيوس بذلك طفق يبحث عنها في أقاليم العالم وبحاره إلى أن عثر عليها في مصر فأعادها إلى طبيعتها الأولى، ثم أنها ولدت له إيبافوس Epaphus، وهو أبيس المصري الذي سيرزق فيما بعد بابنة اسمها ليبيا، وهي أم أغنور[1]، جدّ الفينيقيين الأعلى، والد عربا (أوروبا).

وفي أسطورة أخرى يؤسس ايناخوس بن جابيتوس Japetos مدينة يسميها إيوبوليس أي مدينة إيو Io (القمر)، وكانت له ابنة اطلق عليها اسم ايوس تبركاً بالقمر، وقد رأى زيوس بيكوس هذه الفتاة فأحبها وأرسل عبيده لخطفها وإحضارها إليه، ثم أنه اغتصبها فوضعت له بنتاً أطلق عليها اسم ليبيا، لكنها هربت إلى مصر فوجدت أن حاكمها هو ابن زيوس نفسه، فواصلت هربها إلى سوريا وهناك ماتت كمداً.

وفي أسطورة أخرى نجد أن ليبيا هي ابنة بوسيدون من إلهة بحيرة تريتونس (بحيرة شط الجريد في تونس) وأنها هربت مستنجدة بزيوس عندما دب الخلاف بينها وبين أبيها، فتبناها زيوس وأبقاها إلى جواره. ويضيف

---

1. جد الفينيقيين الأعلى، أمر أبناءه الثلاثة: فوينكس وقدموس وكليكيس (فينيق، قدم، قليق) ببناء مدن جديدة في قيليقيا وطيبة وتراقيا. وفي أسطورة أخرى أنه أمرهم بالترحال بحثاً عن أختهم أوروبا التي اختطفها زيوس.

هيرودوت أن هذه هي الرواية التي يردّدها الليبيون أنفسهم عن إلهتهم (بلادهم) ليبيا. أما الأسطورة التي تجعل من ليبيا زوجة لبوسيدون فهي كما يرويها يوحنا النيقيوسي في الفصل الثالث والعشرين من «تاريخ العالم القديم» أن: «بوسيدون تزوج من امرأة تدعى ليبيا... وأنه أطلق اسم زوجته على البلد الذي يحكمه، وأنجب بوسيدون ثلاثة أبناء هم بوسيدون Poseidon وبيلوس Belus وأغنور Agenor».[1]

على هذا النحو احتلّت ليبيا مكاناً دائماً وبارزاً في البناء الميثولوجي الإغريقي، وهو أمر لا يساعدنا كثيراً على البتّ في أصل الاسم وتحديد مصدره، بل يتركنا أمام المصدرين، المصري والإغريقي، على قدر متساو من الترجيح. وعلى الاختصار، فإن تحوّرات اسم «ربو» من المصريين إلى الإغريق، ثم الاتفاق على «ليبيّة» أصلهم، ثم الإقرار بأن اسم ليبيا متحدّر من اسمهم، كل هذا إنما هو من قبيل التوجّه السائد بين الباحثين دون دليل يؤكّده.

3. المصدر الفينيقي

لقد جرى التعرّف على اسم ليبيا من خلال المصريين بدلالات مشوشة قبل أن يستقر استخدامه بطريقة واضحة تشير إلى سلالة أو قبيلة من شعب، وبدلالة لا تقلّ اضطراباً لدى الإغريق قبل أن يُصرف إلى اتجاه محدّد وإن اختُلف على رسم تخومه أو حصر أقاليمه المترامية الأرجاء، أما مع الفينيقيين، بمعزل عن المصريين والإغريق، فإننا نعثر على دلالة ثالثة تستعير صفة القحل والضراوة التي تتداخل فيها الإشارة إلى الأرض وسكانها وحيواناتها في آن واحد، حيث تكرّر عندهم اسم «لبو» في بعض النقوش

1. انظر مفردة ليبيا في الجزء الأول من الفهرس الليبي.

التي عثر عليها في طرابلس وتونس، منها ما يدلّ على البشر، وهي كلمة «لبو» 𐤋𐤁𐤉 LBY التي قُرئت ليبي، ومنها ما يدل على الأرض بصيغة «لبت» 𐤋𐤁𐤕 LBT،[1] ومن الآراء المرجحة بهذا الصدد أن اسم لبدة، لپقي 𐤋𐤐𐤒𐤉 LPQY التي عرفت باسم لبتيس Liptis وLepcis، يعود إلى الجذر نفسه بتعاقب الباء 𐤁 والپاء 𐤐.[2]

إن 𐤋𐤁𐤉 لبو ولبت 𐤋𐤁𐤕 يعودان من ناحية أخرى إلى الجذر نفسه الذي أنتج كلمة لبأ 𐤋𐤁𐤀 Lbʾ، وهي الفصحى لبؤ، أي أسد، وتؤنث لبأت 𐤋𐤁𐤀𐤕 Lbʾt، أي لبؤة، ونجدها في أسماء الذكور مثل لبأ Lbʾ، ولبي Lby، ولبأي Labʾay، وأسماء الإناث مثل لبت Lbt. كما إنها تتكرّر في الأكدية: لبؤم Labʾum، لابُ Lābu، لبُّ Labbu، والإبلائية: لبو(م) Labw(um)، والآرامية: لبأ Lbʾ،[3] والأوجاريتية لبو Lbu، والعبرية لبيء Labīʾ،[4] وهي الفصحى لَبُؤ Lbwʾ بالمعنى نفسه، (جمعها لُبُؤ)، ولكن هذا الأصل أُميت، واختصت الكلمة بأنثى اللبؤ، أي اللبؤة.[5] وبدلالة اللفظ كما حفظته لنا الفصحى، وكما استقر في العاربات.

ما يعنينا في هذا التطابق بين اللغات/اللهجات العاربة جميعها، أن

---

1. انظر : Krahmalkov 2000, 252.

2. من التوافقات اللغوية الطريفة، أن الكلمة الفينيقية لبو، الفصحى لَبُوء (أي أسد)، هي مصدر اسم مدينة لِبدة، كما إن الكلمة نفسها (لِبدة) تعني أيضاً: شعر الأسد. إننا نجهل متى ارتبطت هذه الكلمات ببعضها بعضاً، ولكن اتفاقها هذا يدعم صحة الاشتقاق.

3. Olmo Letc 2003, 490.

4. Krahmalkov, op. cit., 252.

5. انظر: ابن منظور، لسان العرب، جذر: لبأ.

الكلمة تتطابق أيضاً مع المصرية القديمة في «ربو» rbw [1] بالمعنى نفسه، أي أسد، أو لَبُؤ،[2] أي إن كلمة ربو في دلالتها الأصلية بمعنى «أسد»، قديمة قدم اللغة المصرية نفسها، وهي تسبق «ربو» رمسيس الثاني، أولئك الغزاة الذين جاؤوا يقودون مجموعات أخرى عُرفت بأسمائها، مثل الشردن والشكلش والمشوش. فهل كان المصريون هم الذين أطلقوا هذا الاسم على أولئك الغزاة، أم أنهم كانوا يحملونه قبل أن يتوجهوا إلى مصر؟

4. مناقشة وتحليل

إن الأرجح، في ظهور اسم ليبيا، وفقاً لما بين أيدينا من شواهد أثرية ودلائل لغوية، لا يؤكّد مصدراً واحداً من المصادر الثلاثة السابقة، بل يشير إلى مسار آخر مركَّب تنقل به الاسم حتى أخذ صيغته المعروفة، ويمكننا القول أنه مرّ من المصريين إلى الفينيقيين ثم الإغريق، على أن رحلته هذه لم تكن خطيّةً كما تبدو، بل أخذت في الواقع مراحل متعاقبة تتداخل أحياناً على النحو التالي:

- ظهر اسم «ربو» دلالةً على البلد، و دلالةً على الشعب، ضمن شعوب البحر في زمن رمسيس الثاني، ولكن كلمة «ربو» أقدم من ذلك بكثير، وتعني «أسد» و«لبؤة»، وتشترك الكنعانية

---

1. Budge, op. cit., I, 422.

2. يمكننا –بدلالة ما مرّ من تماثلات بين اللغات العاربة– أن نقرأ الكنعانية بصيغة لَبُؤ Labwʾ، والمصرية بصيغة رَبُو Rabw، وأعتقد أن هذا أقرب إلى صحّة اللفظ من رِبو أو ريبو Rebu، أو غير ذلك من الصيغ التي اقترحها قراء المتون الهيروغليفية ثم كتبوا بها ليبو Libu على تحقيق الياء صائتاً طويلاً بينما الصائت القصير هو الأصل أو أقربُ لفظاً في هذه اللغات.

(الفينيقية) مع المصرية في هذه الكلمة لفظاً ومعنى.

- التوافق بين المصرية والفينيقية، أولاً، وسبْقُ التواصل بين المصريين والفينيقيين ثانياً، وظهور الاسم في شمال أفريقيا بصيغته الفينيقية ثالثاً، يؤكّد أن الفينيقيين هم الذين نقلوا الاسم عن المصريين إلى الإغريق في زمن ما من الألفية الأولى ق.م. فالدور الفينيقي الوسيط آنذاك، بين المصريين والإغريق، مثلما بين أمم أخرى، مثّل صلة وصل أممية غير مباشرة عن طريق ما عرفوا به من تنقلات تجارية تركت آثاراً ثقافية مهمة في مسار حضارة المتوسط والشرق الأدنى ثم شمال أفريقيا.

- حمل الفينيقيون اسم ربو المصري في صيغة لبو، ومنهم انتقل إلى الإغريق بصيغة الجمع Libues، فالفينيقيون أسبق من الإغريق في تبني الاسم، والمصريون أسبق من الفينيقيين في إطلاقه، أما اهتمام الإغريق به فهو الذي أعطاه أبعاده العرقية والجغرافية، فضلاً عمّا نسبوه إلى اسم ليبيا من أساطير جعلته يبدو كأنه إغريقيّ في الأساس، أي إنهم ابتكروا صيغة التسمية كما عُرفت، وكان ذلك ضمن تقاليد ثقافية عُرف بها الإغريق الذين كانوا مولعين بـ«تصنيف» الشعوب وأنماط حياتهم.

- تشترك اللغات الثلاث: المصرية والكنعانية والفصحى في أساس واحد يقوم على بناء أفروآسيوي مشترك، وكذلك بقية اللغات الأفروآسيوية (العاربات) التي ترد فيها الكلمة بحرف اللام، ومن بينها العبرية التي نجد فيها الاسم بصيغة لوبيم Lwbym (Lūḇīm) في التوراة،[1] ومن المرجّح أن الاسم

1. أعتقد أن اسم «لوبيم» و«لهابيم» انتقل إلى كتّاب العهد القديم عن طريق الكنعانيين/الفنيقيين، وهو يدلّ في التوظيف التوراتي على سلف من الأسلاف يراد به جدّ الليبيين أو للإشارة إليهم بوصفهم من فرق جيش شيشنق ضد الملك رحبعام =

العبري أسبق من الإغريقي بناءً على صلة الكنعانية بالعبرية، على إن التوراة تشير إلى الليبيين بصيغة الجمع، وترد ليبيا بصيغة لُوب לוּב، والكلمتان تفيدان العطش والجدب، وهي الفصحى لُوب ولَوْب ولُواب، وجميع هذه الكلمات تحيل إلى الصحراء والقحل.

إن التماثل بين اللفظين المصري والفينيقي (وهو جزء من نسيج أفروآسيوي مشترك) لم يكن بسبب استعارة الكلمة كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هو متأصّل في اللغتين المصرية القديمة والكنعانية – الفينيقية، الأمر الذي يجعل سؤالاً آخر يبرز هنا: ما السبب الذي جعل المصريين والفينيقيين يشتركون في إطلاق هذ الاسم على هذه الأرض؟ لنقل مبدئياً أنه لم يكن سوى ما عرفته ليبيا منذ القدم من انتشار الأسود في أرجائها وفق المؤرخين القدامى، بل إن الأسود كانت تصل إلى أجزائها الشمالية وسواحلها حتى وقت متأخر جداً ذكره الرحالة والمستكشفون في القرن الثامن عشر. يبدو هذا التفسير بالغ البساطة، ولكن الوقائع قد لا

(التكوين، 10: 1 -22. دانيال، 11: 43). و«لوبيم» أو «لهابيم» نسبة تعود إلى مصدر غير محدّد في التوراة، ولكنها تقول لنا أن «لهابيم» هو ابن «مصرايم» (التكوين، 10 : 13)، أي إن التوراة تشترك مع الأساطير اليونانية في جعل الليبيين جزءاً من المصريين، أو بالأحرى حلفاء لهم، إلا إذا أخذنا ذلك على أنه ضرورة سردية استفاد واضعها من تأصيل الاسم سلالياً ووظّفه في تاريخيّة التوراة وجغرافيتها. وقد يختلط تفسير الاسم أحياناً مع اسم «فوط»، الابن التوراتي الثالث من أبناء حام بن نوح، وهو شقيق كوش ومصرايم وكنعان (التكوين 10: 6، أخبار 1: 8)، وقد ظلّ هذا الاسم مجهولاً لا شيء عن نسله حتى اقترح المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الميلادي الأول أن نسله هم الليبيون، مع تداخل دلالة الاسم مع اسم آخر ليس أقل غموضاً هو «بونت» الذي يسود الاعتقاد الآن بأنه بلاد تقع في مكان ما من شرق أفريقيا (أريتريا و/أو الصومال).

تكون إلا كذلك!

على هذا النحو، يمكننا القول أن اسم ليبيا يعود إلى المصرية ربو التي تعني لَبُؤ (أي أسد)، إشارة إلى أرض الآساد وصحرائها، وأن الفينيقيين نقلوه إلى الإغريق فاستقر لديهم بصيغة لوبيا أو ليبيا Λιβύη وانتشر عن طريق هيرودوت وثيوسيديس (القرن الخامس ق.م.)، ومن تلاهما من مؤرخين وجغرافيين وفلاسفة، مثل أرسطو وكاليماخوس القوريني (القرن الرابع)، وإيراتوستين (القرن الثالث)، كما أعاد الفينيقيون استخدامه في تسمية موطنهم الجديد الذي جمعهم بالليبيين في صيغة ليبوفينيقيون Libyphœnices، وذكره الإغريق بصيغة Λιβοφοινικες. وقد استخدم الفينيقيون هذا الاسم دون أن يتضمن دلالة جغرافية محدّدة بدقة في بادئ الأمر، فحيثما وُجِد الطرفان متّصلين فثمة موطنهم وهذا هو اسمهم، وسوف يستمر استخدام الاسم بينهم على هذا النحو.[1]

لقد استقرّت المصرية-الفينيقية LBW في اسم ليبيا والليبيين الذي حفظته لنا النقوش الفينيقية (الليبوفينيقية) في شمال أفريقيا بصيغة

1. وردت كلمة ليبوفينيقي Libuphœnician أولاً في نص فينيقي الأصل، فُقد ولم يعثر سوى على ترجمته اليونانية، يتحدث عن رحلة الملك البحّار حنّون (انظر للمؤلف: رحلة حنون، الطواف حول الأرجاء الليبية، دار تانيت، طرابلس- تونس، 2012)، ولا تتضمن الكلمة دلالة قبلية أو إثنية، في بادء الأمر على الأقل، ثم اتسع نطاق الاسم فصار يعبّر عن سكان شمال أفريقيا من إمبوريا (إقليم المدن الثلاث) حتى قرطاج ممتداً إلى جنوبها وغربها ليشمل مجال حركة القبائل متداخلاً في نهاية المطاف مع الممالك التي نشأت تدريجياً ثم استقلت لاحقاً. وقد ذكر الليبوفينيفيين من المؤرخين القدامى ديودوروس الصقلي (20: 55: 4) وسترابون (17: 3: 19) وبليني (5: 24) وبطليموس (4: 3: 6).

«لبيم» 𐤋𐤁𐤉𐤌، كما في عبارة 𐤔𐤃 𐤋𐤁𐤉𐤌 Šd Lbym[1] (أرض أو إقليم الليبيين)، و«لوبيم» 𐤋𐤅𐤁𐤉𐤌 ، كما في عبارة 𐤔𐤃 𐤋𐤅𐤁𐤉𐤌 Šd Lwbym من نقش الحداجية[2]،ثم كُتبت في مراحل متأخرة بصيغة «ليبيم» Lybim.[3] وهذه آخر الصيغ التي وُجد فيها الاسم في تاريخنا القديم، أما في ظهور الاسم من جديد دلالةً على ليبيا الحالية فقد عاد الإيطاليون إلى الصيغة اليونانية-الرومانية Λιβύη وLibya.



ش. 12: نقش يتضمن عبارة «أرض الليبيين»، عن: الميار 2005، 237.

هذا إذن هو أصل اسم ليبيا بالعودة إلى المصريين والفينيقيين، أما نِسبة الاسم إلى قبيلة من قبائل «شعوب البحر» هي ربو RBW فلا نجد شيئاً يثبته في جميع المصادر النصيّة والنقشية القديمة التي بين أيدينا، بالرغم من أنه توجّه سائد غلب على معظم، إن لم يكن جميع، الدراسات التاريخية. وهنا يجب إثارة مسألة متّصلة بسياق هذا التحليل، ولكنها تنتهي بنا إلى وجهة أخرى لها ما يسندها، لنرَ.

لماذا صِير إلى تعميم اسم قبيلة «ربو» دون غيرها لتكون علماً على القبائل الليبية؟

---

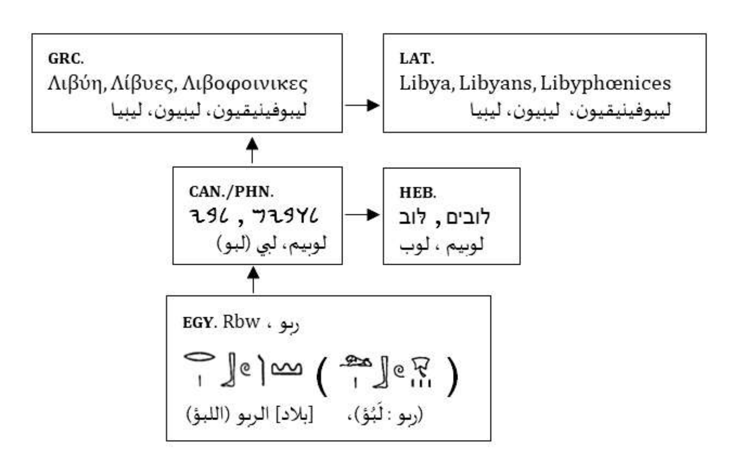
1. Krahmalkov, op. cit., 107, 179, 360, 406, 457. 458, 460.

2. انظر: الميار 2005، ص. 95-97، 337.

Tomback 1976, 314; Krahmalkov, op. cit., 276, 424, 457, 458, 497 .

3. Krahmalkov, op. cit., 458.

لقد مرّ اسم «ربو» بتحولات مختلفة بين الباحثين الأوائل من قراء المتون المصرية، حيث كان قبل نهاية القرن التاسع عشر يدلّ على قبيلة أو شعب آسيوي الأصل، وهو رأي أخذ به جون ويلكنسون في كتابه «أعراف



ش.13: جذور اسم ليبيا وتحولاته اللغوية

وتقاليد المصريين القدماء» (1837)، فوصفهم بأنهم كانوا «بعض ألدّ الأعداء الآسيويين الذين واجههم المصريون»، ورجّح أن يكونوا –بالنظر إلى أزيائهم ولون بشرتهم– من الفرس أو البارثيين. لكن صار من الدّارج مع نهاية القرن أن يقول الجميع بأن الربو هم سكان شمال إفريقيا الأصليين، بناءً على الفرضية التي كان بروغش قد قدمها سنة 1858، في كتابه «جغرافية الدول المجاورة لمصر وفق الآثار المصرية القديمة»، مؤيداً كارل لبسيوس K. Lepsius الذي افترض أصلاً أفريقياً للربو في كتابه «أثار مصر وأثيوبيا» سنة 1848. ثم قدّم إدوارد مكاولي E. McCaulay سنة 1881 فرضية أخرى مُفادها ارتباط اسم «ربو» Rbw (رابو R3bw) و«عرب» الجزيرة العربية.[1]

1. Cooney, op. cit., 24-25.

ولكن هذا الفرضية لم تُدرَس جيداً، فلم تنل حظاً كبيراً من الانتشار. بالرغم مما تبدو به من دقّة فيلولوجية، وهي الفرضية التي أعاد طرحها علي فهمي خشيم في نهاية القرن العشرين، استناداً على أن الربو كانوا ليبيين فعلاً.

في 1900 نشر إدوارد ناڤيل E. Naville مقالة بعنوان «تماثيل مصرية من العصر القديم»، استند فيها إلى صورة رجل يرتدي جراب العورة، ليفترض دون دليل أن كل من يرتدي جراب العورة في النقوش والرسومات المصرية ينتمي إلى «المجموعة الأفريقية»، وأن هذا الجراب سمة ميزت الربو الذين قادوا حلفاءهم من شعوب البحر، ثم يمضي في تعديد السمات، مثل ريش النعام واللحية الرفيعة، أي السمات التي كان قد وضعها في الأساس لتمييز الأفارقة في النقوش والرسومات المصرية، إلا أنها انتقلت بقدرة قادر فاقتصرت على «الليبيين». يقول كوني عن ذلك: «لم يكن ناڤيل أول من اقترح أصل الربو، أو عادلَ بين اسمي ربو وليبيا – كما فعل بروغش – لكن مقالته كانت مهمةً في التأريخ للربو وخلق «الهوية الليبية»، لأنها أحدثت منعطفاً مرجعياً في أوائل القرن العشرين، وعلى خطى ناڤيل، كانت جميع رسومات الأشخاص الذين يرتدون جراب العورة في الفن المصري قد اكتسبت فجأة هوية «ليبية»، ثم استشهد جميع الباحثين بمقالة ناڤيل وكتاب لپسيوس «رجل الربو من مدينة هابو» لدعم ادعاءاتهم».[1] وغالباً ما كانت شواهدهم واهيةً في اتباع هذه الفرضية والسعي إلى إثباتها.[2]

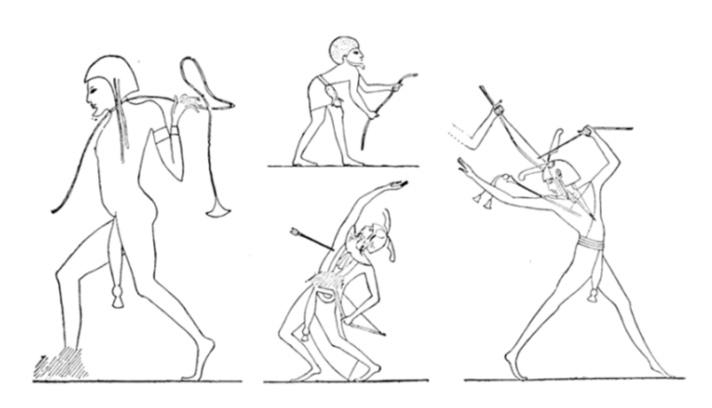
---

1. Ibid., 27.

2. يقول وليام كوني إن ناڤيل بفرضية جراب العورة هذه وضع «حقل ألغام» أمام جميع الباحثين الذين جاؤوا بعده. للمزيد من التفاصيل عن هذه الشواهد كما ظهرت في أعمال الباحثين، انظر:

=

بجراب العورة هذا وجد الباحثون مفتاحاً يحلّ الكثير من المشكلات العالقة، هكذا وجد جميع الآثاريين أنفسهم يهرعون إلى إطلاق صفة «ليبي» أينما وجدوا أو رأوا صورة رجل يرتدي جراب العورة أو غمد القضيب phallus-sheath الذي صار بصورة حصرية «سمة قومية» تميّز الليبيين القدماء. ولم يمض سوى وقت قصير بعد ذلك حتى التقط أوريك بيتس هذه السمة وعمّمها بدوره في كتابه «الليبيون الشرقيون» (1914)، قائلاً أن جراب العورة «سمة مميزة في أزياء سكان شمال أفريقيا»،[1] بالرغم من أنه يذكر أيضاً أن هذا الغمد ليس غريباً عن الشعوب الأخرى من كريت شمالاً حتى جنوب أفريقيا.[2]



ش.14: أفارقة أم ليبيون؟ عن: Navylle, 1900, p. 69

وبانتشار فرضية ناڤيل لم يعد أحد من الباحثين يلتفت إلى الرسومات التي أظهرت الربو دون ارتداء هذا الجراب، وقد كانت جد معروفة منذ أن

Cooney, William; *Egypt's encounter with the West: Race, Culture and Identity*, Durham University, (etheses.dur.ac.uk/910), 2011.

1. Ibid.
2. Bates, op. cit., 122

نشرها جورج مولر G. Möller سنة 1926،[1] وڤيلهلم هولشر W. Hölscher في 1937، ويُورويرث إدواردز Iorwerth Edwards في 1938، ثم صار هذا التنميط راسخاً في ذاكرة الآثاريين والباحثين دون مراجعة، كما أوضحنا.[2]

على هذا النحو ولدت صورة ليبيا في علم الدراسات المصرية، ونَمَت بسرعة، بالرغم من اعتراض بعض الباحثين على ما حدث من تعميم مخلّ بسبب إطلاق اسم «ربو» (الليبيين) على جميع جيران مصر الغربيين،[3] ولكن ذلك لم يؤثّر كثيراً على الأخذ بهذه القاعدة لدى الغالبية العظمى من الباحثين، كما إن اسم ربو لم يحلّ بصيغته المحوَّرة (Libu ← Rbw) بديلاً عن اسم أي قبيلة أخرى تسكن غرب النيل فحسب، بل صار اسماً جاهزاً لا حاجة معه إلى شيء سوى العثور على رسم «جراب العورة» سواءً كان من الربو أم لا، أراد الرّسام المصريّ ذلك أم لم يرده. وبهذه الطريقة من الاستنباط، وهي غريبة حقاً، ما لم نقل إنها كانت رعناء، كُتب جزء كبير من تاريخ الليبيين في مصر.

لنترك جراب العورة جانباً، ولننظر في دلالة التأثيل اللغوي الذي أوردناه.

---

1 . توفي الباحث الالماني جورج مولر سنة 1921، أما أبحاثه المشار إليها فنُشرت بعد وفاته سنة 1926.

2. للمزيد حول هذا الموضوع انظر: كوني، 2011، 36.

3. استمر الأمر على هذا المنوال حتى تسعينيات القرن العشرين، عندما شكّك ديفيد أوكونور David O'Connor في صحّة إطلاق كلمة «ليبيين» على جيران مصر الغربيين، ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أبحاث أساسية في هذا الاتجاه يقوم بها باحثون مدققون يتقدّمون مدرسةً جديدة تعيد تقييم المصادر والمفردات الأساسية التي بُني عليها علم الدراسات المصرية. مثل مورينو-غارسيا Moreno-García وويليام كوني W. Cooney وكولين دارنل C. Darnell.

إننا إذا عدنا في تأثيل اسم ليبيا إلى مقابلته بأسماء الأقوام الشمالية أو «الشماليين الذين جاؤوا من كل البلدا» كما تقول النقوش المصرية،[1] وهي الأقوام المسمّاة منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي باسم «شعوب البحر».[2] فإننا نجد أن الربو كانوا من بين تلك الأقوام التي لم تذكر المصادر المصرية أصولهم، أي إننا لا نعرف شيئاً عن موطن الربو الأصلي أو من أين جاؤوا، وإن درجنا على جعلهم من «ليبيا»، لا لشيء إلا لأن الإغريق بعد ذلك جعلوا اسم ليبيا دالاً على كل ما يقع غرب النيل، أرضاً وأقواماً، وهذا من قبيل تفسير السابق باللاحق، وهو أمر غير منطقيّ. فالشردن مثلاً (في الأصل الهيروغليفي: شارادنا Šꜣrꜣdnꜣ) كانوا من بين الشماليين الذين جاؤوا من كل البلدان، وقد نُسبوا إلى سردينيا، أو نُسبت إليهم بالأحرى، أي إن سردينيا أخذت اسمها من اسم الشردن. وبالمثل فإن اسم الشكلش (في الأصل: شكروشا Škrwšꜣ)، واسم صقلية يرتبطان بالكيفية نفسها، أي أن الجزيرة أخذت اسمها بعد أن توطّنها الشكلش. أما بالنسبة إلى «الربو» الذين دأبنا على مقابلة اسمهم باسم «ليبو» لكي نفسّر به اشتقاق اسم ليبيا كما نعرفه الآن، فلا شيء يمنع من الاعتقاد بأن ليبيا قد سميت هكذا بعد أن توطنها الـ«ربو»، كما هو الأمر في نسبة سردينا إلى الشردن ونسبة صقلية إلى الشكلش. أي إن ليبيا لم تُعرف باسمها هذا الذي اقتبسه الإغريق من المصريين إلا بعد أن توطّنها الربو مجهولو الأصل. إن هذا الاحتمال المنطقي يقلب الصورة رأساً على عقب في تصوّر نشأة الاسم.

1. دوّنت أربعة مصادر مصرية أخبار شعوب البحر هي: نقوش الكرنك وعمود القاهرة ولوحة أثريب وأنشودة النصر.
2. كان الأثري الفرنسي إيمانويل دو روجيه de Rougé (ت. 1872م.) أول من استخدم عبارة «شعوب البحر» للتعبير عن «الأقوام الشمالية» التي وصفتها النقوش المصرية.

عودة إلى العرب

مرّت بنا الإشارة إلى فرضية إدوارد مكاولي E. McCaulay التي توحّد بين اسم «ربو» R3bw و«عرب»، وهي الفرضية التي أعاد علي فهمي خشيم تأكيدها في نهاية القرن العشرين.

من السائد القول بأن النصوص المصرية تخلو من الاسم الذي عُرفت به العرب في النصوص القديمة بالرغم من أنه يرد في النصوص الآشورية، أي إن المصريين القدماء لم يذكروا هذا «الشعب» بينما أشاروا إلى الشعوب المحيطة بهم بأسماء أو نعوت محدّدة سُجّلت في العشرات من الكلمات التي تدلّ على الأقوام والمواطن غير المصرية، في جميع الاتجاهات، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً. أليس من المستغرب أنهم لم يفعلوا ذلك؟

ربما قال قائل بأن المصريين لم يعرفوا العرب لأن اسمهم لم يكن قد وُجد آنذاك، حسناً، ولكننا نجده في شكله الصريح في السجلات الآشورية منذ 1019 ق.م. على الأقل، ما يعني أن الاسم لم يكن غائباً عن المصريين وأنهم ربما ذكروه بكيفية ما.

إن أقدم صورة ظهر فيها الاسم[1] حتى الآن وردت في عهد شلمنصر

---

1. توضيح: في الرواية المتداولة المعروفة أن الآشوريين واجهوا الآراميين والعرب أو «العريبي» (ربما كانوا أعراب ما نسميه بادية الشام الآن)، ولكن حديث الأسماء والتسميات ليس حديث الأجناس والأعراق، فمن نصفهم هنا إنما هم جميعاً من العرب، لا الأعراب (البدو)، أي جميع من تحدّث العربية، أو لغة تناظرها، على اختلاف أنماط حياتهم، بدواً وحضراً، وكنت قد ذكرت في «أصوات بابل» أن معيار اللغة هذا يجعلنا نجمعهم تحت مسمّى واحد هو العرب منذ القدم، وهذه «اللغات العاربة» أو التراث اللغوي العربي القديم، يشمل اللغات واللهجات الأفروأسيوية

=

الثاني (ت. ~1019 ق.م.) أو الثالث (ت ~823 ق.م)، وجاء بعدة صور متقاربة: عَرِبِ (أرِبِ) Aribi، عَرُبُ Arubu، عَرْبِ Arbi، عُرْبِ Urbi، عَرَبِ Arabi، عَرَبُ Arabu، عَرْبُ Arbu، رَبِ Rabi، كما نجد الاسم على نقش دارا الأكبر في جبل بهستون بصيغة Arbaya، وفي العيلامية بصيغة Arpaya ، وجميع صور الألفاظ هذه لا يخرج عن البناء على الراء والباء. وعند الآراميين بصيغة عربايا، كما في بيت عربايا beth Arbaya (موطن العرب)،[1] أي بإضافة حرف العين الذي يعوّض الألف، أو يستعيده، أما في النصوص العربية الجنوبية فقد استقر الاسم في صيغة «أعرب»، كما في «أعرب حضرموت» و«أعرب ملك سبأ»، وفي جميع صور الألفاظ هذه فإن المعنى

التي تبدأ من تاريخ غير مدوَّن يمتدُّ إلى ظهور الأقوام الأولى في بلاد الرافدين، الأقوام التي ستُعرَف في الدراسات الشرقية في القرن التاسع عشر باسم «سومر»، ومُيّزت لغتهم عن «الساميات»، ولكن هذا محض قصور في قراءة السومرية كما أثبت في كتاب «ما قبل اللغة»، فهم كانوا يسمون بلادهم «كي.إن.گي» ki-en-gi (كِنْگي)، وكانت تنطق في لهجة إميسيل السومرية الدارجة: كنآن Kanaan، أي كنعان. إن النظر إلى الصورة الكبرى التي وُجدت فيها الأجزاء القديمة، من جنوب جزيرة العرب حتى بلاد الرافدين شمالاً، فمصر، فشرق أفريقيا وشمالها والصحراء الكبرى، يمكّننا من فهم الكيان الأفروآسيوي القديم فهماً شاملاً، وإدراك تماثل مكوناته ووحدتها في اللغة والدين وأنماط الحياة. أما عزل هذه الأجزاء فلا يتيح لنا بالنتيجة سوى معرفة جزئية، وإن كانت دقيقة، وخير مثال على ذلك هو تصنيف الأفروآسيوية إلى لغات وألسنة متعددة ومختلفة، وهذا وهمٌ علميّ آخر، يضاف إلى سلسلة الأوهام العلمية التي تحيط بالشرق الأدنى وشمال أفريقيا، إذ ما المنطق الذي يجيز لنا الفصل بين الأشورية، والآرامية، والكنعانية، على سبيل المثال لا الحصر، غير ما يُعرف بأنماط التلفّظ المحلية، وهي متصلة في الأساس، أو اختلاف أنماط الكتابة، وهذه أيضاً متّصلة دون شك.

1. انظر: خشيم، م. س. ص. 81.

يُحمَل على دلالتين رئيسيتين، لغوية مباشرة هي الأعراب (أي البدو) الذين يعيشون في نطاق مملكة أو منطقة ما، وإشارية هي أهل القبائل والأقاليم التي تعيش على نمط غير حضري أينما وُجدوا في شبه الجزيرة العربية أو على نطاقها، ويَحمِل هذا المعنى الإشاري صيغة مبكّرة من المدلول القومي أو العرقي سوف تتطوّر لاحقاً.

هذا على الجانب الشرقي من مصر، في الآشورية والآرامية والعيلامية وصولاً إلى فارس، وإلى الجنوب من ذلك في حضرموت وسبأ. أما في مصر نفسها فمن الدارج القول بأن «أقدم ذكر لهذا الاسم في النصوص المصرية قد ورد في نص ديموطيقي يرجع إلى العصر البطلمي (322- 30 ق.م.) أو إلى عصر الاحتلال الفارسي على أكثر تقدير (525-332 ق.م.)».[1] أي إن المصريين تفاعلوا مع هذا الاسم بعد مرور أكثر من 500 سنة من ظهوره! ولكن هذا الرأي ليس ثَبَتاً، والأولى بنا أن نبحث عن صيغة أو صيغ الأسماء المصرية التي دلت على العرب في مصر القديمة.

لقد عرف المصريون البدو (الأعراب)، وواجهوا غاراتهم شرقاً وغرباً، حتى إنهم خضعوا لحكمهم أكثر من مائة سنة على يد الهكسوس (بين 1650 و1550 ق.م. إذاصحّ التأريخ الدّارج)، فمن هم هؤلاء البدو المحيطين بمصر شرقاً وغرباً؟ إن الأدبيات المصرية القديمة دقيقة من هذه الناحية، لأنها تصف البدو بسمات بيئية وجغرافية وأنثروبولوجية واضحة، فهي مثلاً لا تسمّي الجنوبيين (النوبة العليا والنوبة السفلى) بدواً، ولا تصفهم بكلمة قريبة من معنى البداوة، فصفاتهم تتصل غالباً ببشرتهم أولاً، وذلك يعني ضمناً تحديد موطنهم، ما يعني أيضاً اختلاف عاداتهم

---

1. سيد 1994، ص. 33.

وأعرافهم عن المصريين الذين جعلوا النحسو في بدء الزمان إحدى أربعة أمم: رمث *rmṯ* أو رث *rṯ* (تعني الإنسان أو البشر، ويقصد بها المصريون أنفسهم)، نحسو *nḥsyw* (الجنوبيون = السّود)، عأمو *ꜥ3mw* (الشرقيون = الآسيويون)، تمحو *tmḥw* (الشماليون = الليبيون)، وهي صورة أسطورية عبّر بها المصريّ القديم عن مركزيّة وجوده وكيف أن أمم العالم التي تحيط به لا ترقى إلى مستوى «رمثيّته». لقد خلق رع هذه الأمم من سوائله، دمعه أو منيه، لكن أنثروبوغونيا الخلق المصرية هذه سوف تتغير ثم تتلاشى بمرور الوقت بعد أن يرى المصريون أجناساً أخرى لم تكن أساطيرهم عن بداية الزمان قد أشارت إليها، كما سيتضاءل اسم عأمو *ꜥ3mw* ليحل بدلاً عنه اسم آخر يدلّ على البدو الشرقيين، ويتضاءل اسم تمحو *tmḥw* ليحل بدلاً عنه اسم آخر يدل على البدو الغربيين.

كان البدو في ثقافة المصريين أغراباً (كاوت)، ينتمون إلى أرض صحراوية غريبة (خاست) *ḫ3st* [1] أو ،[2] وهي غالباً في الشمال ، أو في الغرب (باللفظ نفسه)،[3] وسكان الصحراء هم خاسْتِيوْ *ḫ3styw* . وكلمة خاستِيوْ *ḫ3styw* تندرج كذلك ضمن دلالتها على جنس العأمو (مفردها عأم *ꜥ3m*)، والكلمتان عامّتان لا تختصان بقبيلة معينة أو مجموعة واحدة، لأن القبائل والمجموعات كانت تدعى بأسمائها المفردة، غير إن كلمة عأمو تحديداً قرئت أيضاً بمعنى عرب (لفظاً ودلالةً)، وكان آرون إمبر Aaron Ember قد انتبه منذ زمن طويل إلى ذلك فأشار في «دراسات مصرية-سامية» Egypto-Semitic Studies (1900) إلى أن «ثمة إبدال في كلمة عأم

1. Budge, op. cit., I, 533.
2. Faulkner, op. cit., 228.
3. Budge, op. cit., I, 534.

ꜣm ، فالهمزة مبدلة من الراء، وهو مما يحدث كثيراً، وضرب أمثلة عن ذلك، والميم مبدلة من الباء، وهو أمر كثير الحدوث عند مقابلة المصرية بما يسميه «السامية»، وضرب أمثلة عن ذلك أيضاً»، وبحسب رأيه «فإن «عءم» *ꜥꜣm* على هذا الأساس تقابل «عرب» ʿrb التي تفيد أصلاً: بدو، رحّل، أهل الصحراء».[1] وقد يرى بعضهم بُعد الشُّقّة بين اللفظين، بالرغم من أن التحليل الذي أجراه إمبر مقبول تماماً، فلنتركه جانباً على أن نعود إلى الإشارة إليه لاحقاً، مع الانتباه إلى أن كلمة عأمو هذه قد تميّزت بدلاً عنها كلمة شاسو (أو شأسو) 𓈙𓄿𓋴𓅱𓈉 *šꜣsw* بالدلالة على بدو الشمال الشرقي، وفق فوكنر،[2] أو الساميين –أي العرب– وفق بدج،[3] وأصل الكلمة شاس *šꜣs* التي تفيد التنقّل والترحّل، ومنها شاسيو *šꜣsyw* التي تعني مترحلين أو مسافرين.

هذا عن البدو الشرقيين، فماذا عن البدو الغربيين؟

لقد أشرنا مراراً إلى أن «الربو» لم يُعرفوا في مصر قبل عهد رمسيس الثاني، وهو الزمن الذي شهد ظهورهم المفاجئ قادمين مع «شعوب البحر»، دون أن يكونوا من سكان غرب النيل أساساً، إذ لا يوجد شاهد واحد يدلّ على ذلك، وتنسبهم النصوص المصرية إلى نمط واضح من البداوة والتصحّر، والأغلب أنهم كانوا من الرّعاة، على أن المصادر النصية والنقشية لا تميزهم بسمة معينة من السلوك أو الأدوات أو الأزياء، مثلما ميزت آخرين، مثل الشردن والمشوش والشكرش.

إننا لا نعرف شيئاً في الواقع عن موطنهم الأصلي، أكثر من الصحراء

---

1. انظر: خشيم 1990، ج.1، ص. 53 -54.

2. Faulkner, op. cit., 320.
3. Budge, op. cit., II. 727-728.

نفسها، وسواء كانت الصحراء الشرقية أو الصحراء الغربية فالأمر لا يختلف بالنسبة إلى المصريين الذين جمعوا البدو تحت اسم خاستِيوْ *ḫ3styw*، نسبةً إلى خاست *ḫ3st* التي تدلّ على أماكن وجودهم، شرقاً وغرباً، ويتوافق مع هذه التسمية الجغرافية العامة تسمية «عرقية» أو «إثنية» عامة أيضاً، تتمثّل في كلمة «ربو» التي لا أعتقد أنها كانت تدلّ على قبيلة معينة، قدر دلالتها على البدو عامةً، أو الرعاة المتنقلين من مكان إلى آخر .

لنعد بهذا الصدد إلى آراء قديمة نوعاً ما، أُهملت دون أن تُدحَض، رأت منذ البداية دلالة البداوة والصحراء في اسم «ربو»، وأولها بالطبع رأي شامبليون في كتابه «مبادئ عامة في الكتابة المصرية المقدسة» Principes généraux de l'écriture sacrée égyptienne (1836) حيث نجد أنه ترجم كلمة ربو إلى «بدو»، ولم يترجمها «ليبيون» على ما درجَ بين الباحثين بعد ذلك.[1] وما زال صرف الكلمة إلى هذا المعنى يبدو صائباً تماماً، خاصة وأن اللفظ من ناحية أخرى يرتبط في اللغة المصرية –كماسنرى– بالصحراء في معنى «أسد»، بغض النظر عن قَصْره بعد ذلك في دلالة عرقية محدّدة وتحويله إلى اسم اثني ethnonym.

لم يكن الربو قبيلة أو شعباً محدّداً، وقد جمع اسمهم أسماء قبائل ذُكرت في البداية ثم أُهملت لأن اسم «ربو» حلّ بديلاً عنها، مثل أموهكك، وقهق، وأسبت، وقيقش، وشاي، وهس، «وهذا بالضبط ما كان يحدث في الجزيرة العربية، قبائل وشعوب ذات أسماء تُنسب إليها، لكنها تظل جميعها تنضوي تحت اسم موحد هو العرب»،[2] فلنتابع تحولات اسم «ربو» في النقوش المصرية لنرى مدى تطابقه مع اسم «عرب».

1. انظر: خشيم، م. س. ج1، ص. 84، هـ 1.

2. خشيم، م. ن. ص. 83.

يرد اسم الربو في المصادر المصرية بعدة صيغ:

ربو Rbw ، (Rabu).[1]

رب Rb ، ، ، (Rab).

ربي Rby ، ، [2] (Raby).

ربأي Rbꜣy ، (Rabay) .

ربأيو Rbꜣyw (Rabayw).

ربس Rbs (Rabas).

ربت Rbt (Rabt، Rabat).

رمأ Rmꜣ (Rama).

رمأي Rmꜣy (Ramay).

رمأيو Rm’yw (Ramayu).[3]

هذه حصيلة تحولات اسم «ربو» بدءاً من عهد رمسيس الثاني فمرنبتاح

---

1. ثمة صيغ أخرى عديدة باللفظ نفسه أي ربو Rbw.

2. تجدر الإشارة إلى أن صيغة البادئة بعلامة رو Rw (أي أسد) تعود إلى العهد البطلمي، وهي المرة الأخيرة –فيما يبدو– التي توثّق فيها المصادر الهيروغليفية اسم ربو.

3. يعود الفضل في حصر سلسلة أسماء الربو إلى ويليام كوني W. Cooney الذي قام بجمع العبارات المتصلة بهذا الاسم في أصلها الهيروغليفي. انظر الملحق C في أطروحته المتميزة «مواجهة مصر مع الغرب: العرق والثقافة والهوية» (2011) Egypt's encounter with the West: Race, Culture and Identity.

وصولاً إلى بعنخي (بيي)، وانتهاء بالبطلميين: ربو، رب، ربي، رباي، ربايو، ربس، ربت، رما، رماي، رمايو. ولفظ هذه الأسماء بتحقيق صوائتها إو تخفيفها مسألة لا يمكن الجزم بصورة واحدة أو صور قليلة لها، ولكنها كما نلاحظ تعود جميعاً إلى البناء على الراء والباء، أو بتعاقب الباء والميم، وهذه الأخيرة تعيدنا إلى رأي آرون إمبر A. Ember (1900) السابق في الصلة بين «عءم» *ʿꜣm* و«عرب» ʿrb ، أما تعاقب الهمزة والعين فأمثلته كثيرة جداً في لغات الشرق الأدنى وشمال أفريقيا.

لقد قرئت «ربو» بصيغة «لبو»، فالراء أضمرت اللام التي تخلو منها المصرية بصوت صريح، والراء والباء صوتان مجهوران متوسطا الشدّة والرخاوة يقتربان لفظاً، والباء على شدّتها شبه الميم على توسّطها لأنهما صوتان شفويان، وعلى هذا النحو قرئت «ربأي» و«رمأي» على غرار ما قبلهما فكانتا «لبأي»، غير إن هذه ليست نهاية تحولات الاسم.

مع ثبات ربو في صيغة لبو فإننا نجد ڤيلهلم شبيغلبيرغ في كتابه Der Sagenkreis des Königs Petubastis (1910)، يترجم بردية دونت الديموطيقية فيذكر كلمة «أليبي» *ꜣlibi*،[1] وقد يتبادر إلى الذهن أولاً أنها صيغة أخرى من لبو *lbw*، لوجود الساكنين الرئيسيين اللام والباء ، غير إنه يترجمها «عربي»، وهي ترد ضمن عبارة «خشب عربي»، وشبيغلبيرغ هنا ينقلها بحرف اللام الديموطيقي، فإذا أعدناها إلى حرف الراء الهيروغليفي نجد أنها تتوافق تماماً مع التسمية الأشورية ꜣribi (أريبي)، أي عَرِبِي. ويرد الاسم لديه بالصيغة نفسها في ترجمة بردية ديموطيقية أخرى تتضمن قائمة بأسماء الشعوب الأجنبية.[2] كما يذكر في «نصوص ديموطيقية» *Demotische*

1. Spiegelberg 1910, 64.

2. سيد، م. س. ص. 44، أوردها: السعيد 2003، ص. 100.

Texte (1912) عبارة «أرض العرب» Lande Arabien التي ترد في النصوص المصرية أكثر من مرة بصيغة «تا ن ألبِن» *tꜣ n ꜣlbin* : «أرض ألبِن»، أي «أرض عربن». كما في عبارة «أوسكي پا ور پا تا ن ألبن»

ꜣuski pꜣ wr pꜣ tꜣ (n) ꜣlbin

أي: أوسكي كبير أرض العرب.[1]

على هذا النحو، فإن ما يجعلنا نطابق بين اسم ربو وبقية الأسماء التي وردت في السلسلة السابقة (رب، رباي، رابيو، ...إلخ)، لا يمنعنا من مماثلة تلك الأسماء بشبيهاتها الأشوريات التي أوردناها قبل ذلك (رَبِ Rabi (عَرِبِ)، أريبي Aribi (عَرِبِ)، أروبو Arubu (عَرُبُ)، ...إلخ). وممّا مررنا به من تحليل، ووفق ما رأينا من شواهد مصرية (هيروغليفية وديموطيقية) وأشورية يتضح جلياً أن:

- كلمة «ربو» تعني البدو أساساً في اللغة المصرية القديمة.

- كلمة «ربو» صُرفت للدلالة على مجموعة عرقية تنتمي إلى الصحراء الشرقية، بسبب طابعها البدوي، وهي التي تحالفت مع شعوب البحر في زمن رمسيس الثاني.

- المصرية الهيروغليفية «ربو» (لبو) هي أصل الديموطيقية «أليبي»، وهما متصلتان بالأشورية «ربي» و«أريبي»، بمعنى: عرب (عرب بدو، أعراب).

- التماثل بين المصرية الهيروغليفية «ربو» Rbw (عرب، بدو)، والمصرية الديموطيقية «أليبي» ꜣLibi (عرب، بدو)، والآشورية «أريبي» ꜣRibi (عرب، بدو)، هو أساس الاسم الذي استقر دلالةً على «الليبيين».

ومثلما أطلق المصريون اسم دشرت للدلالة على الأرض الحمراء، أي

---

1. Spiegelberg, op. cit., 16-17.

الصحراء، المحيطة بالنيل شرقاً وغرباً، ثم استقرّ غالباً للدلالة على الصحراء الغربية، فإنهم أطلقوا كلمة ربو للدلالة على الأعراب البدو شرقاً وغرباً، ثم استقرّ الاسم للدلالة على البدو الغربيين، في حين ميزوا البدو الشرقيين باسم شاسو، ثم صار الشاسو والربو يُذكران معاً على التضاد جغرافياً بين الشرق والغرب.[1]

لنعد الآن إلى واحدة من سلسلة صيغ «ربو» التي أوردناها سابقاً، وهي

1. قبل أن يحل اسم الربو دلالةً على ليبيا، أو على غرب الدلتا تحديداً، كان الشاسو والتحنو على طرفين متقابلين جغرافياً في المصادر المصرية، تفصل بينهما الدلتا، حيث يقع موطن الشاسو إلى الشرق من الدلتا، بينما يقع موطن الربو إلى غربها. يرد في لوحة «بيثوم» (تل المسخوطة) كيف أن رمسيس الثاني قد حصّن مصر وسيطر على كل الاتجاهات التي تحيط بها: «غنمتَ خورو [شمال مصر] وكوش [جنوب مصر]، والتحنو [غرب الدلتا]، وشاسو [شرق الدلتا]، والجزر في وسط الأخضر العظيم [البحر الأبيض المتوسط]».

ونقرأ في نقوش أبي سمبل كيف أن رمسيس الثاني نقل الشاسو (بدو الشرق) إلى الغرب، ونقل التحنو (بدو الغرب) إلى الشرق: «لقد وطّن الشاسو في أرض الغرب، ووطّن الربو على التلال». فالغرب وفق هذا النقش هو موطن التحنو غرب الدلتا، والتلال (نا ثسوت *nꜣ ṯswt*) هي الشرق حيث موطن الشاسو في شرق الدلتا، ويمتد حتى سيناء، متصلاً بشمال جزيرة العرب. وفي نقش آخر: «أعاد توطين التحنو في مستوطنات تحمل اسمه (*dmỉw ḥr rn.f*)، واعتقل الشاسو ببسالته فنقلهم إلى مصر»، وعلى مسلة من تانيس: «وطّن الشرق بالتحنو (...) ووطّن الشرقيين في أرض الغرب»، وملخص ما ورد في هذه النقوش، وغيرها، أن رمسيس الثاني أعاد توطين الليبيين في الشرق، بينما وطّن بدو الشاسو (أي العرب) في مصر من ناحية، وشمال أفريقيا من ناحية أخرى. انظر بتفصيل واف كتاب رافائيل غيڤون الذي خصّصه لدراسة البدو الشرقيين بعنوان: بدو الشاسو في الوثائق المصرية Giveon, Raphael; *Les Bédouins Shosou des documents égyptiens*. Leiden, Brill, 1971.

«ربت» RBT ، ولنقارنها بالاسم الفينيقي «لبت» 𐤋𐤁𐤕 LBT الذي دلّ في النقوش على أرض ليبيا، أي البلاد التي تقع غرب النيل. إنه الاسم ذاته.

تعود كلمة «ربت» Rbt (Rabat ،Rabt) هذه إلى سجلات الأسرة الخامسة والعشرين ضمن نقش تُرجم نصّه إلى «كبير الربو»، وكما هو واضح فإن التأنيث (علامة التاء) ملحق بكلمة رب Rb، ومتّصل بمحدّد الأرض أو البلاد كما هو واضح، فالأصوب في ترجمته أن تكون «كبير ليبيا» أو «رئيس ليبيا»، لا كبير الربو أو رئيسهم.

نخلص من ذلك إلى أن المصريين القدماء عبّروا بالهيروغليفية «ربو» Rbw عن العرب، سكان الجزء الشرقي من شمال أفريقيا بعد قدومهم من الصحراء (خاست) الشرقية، وهو الاسم الذي استقر في الديموطيقية بصيغة أليبي Libiꜣ ، متوافقاً بذلك مع الكلمة الآشورية Ribiꜣ الدّالة على العرب، ولأن العرب الشرقيين، استقرّوا غرب النيل في زمن رمسيس الثاني، فقد صار اسمهم، أي «ربو»، يدلّ على البدو الذين يقيمون غرب النيل، أي ليبيا القديمة. أما اسم «ليبيا» فقد بدأ بصيغة «ربت» Rbt (أي بلاد الربو)، وهي الكلمة التي عبّر بها الفينيقيون بصيغة «لبت» Lbt، بمعنى «ليبيا». وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسمان إلى الإغريق بين القرن الثامن والقرن الخامس ق.م، وعلى هذا النحو فإن الكلمة الإغريقية Libues Λίβυες (أو Libus Λίβυς) هي صيغة جمع من الفينيقية لبو Lbw (Libu)، المصرية ربو Rbw وأليبي Alibiʾ ، أي «ليبيون»، كما إن كلمة Λιβύη (Libya) هي الصيغة العَلَمية الدالة على بلاد الليبيين. وإلى الإغريق يعود الفضل في نشر الاسم وترديده في نصوص تاريخية مختلفة، حيث سيتطوّر استخدامه وينتشر مع المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان ليدلّ قارة أفريقيا

بأسرها، ثم على شمال أفريقيا والصحراء الكبرى غرب النيل.

ملاحظة لا أتردّد في ذكرها هنا: إن النصوص المصرية القديمة واضحة جداً، ودلالاتها متسقة في غاية الدقة، إذا قرأناها في مصادرها الهيروغليفية، أما الاضطراب الذي تتسم به الدراسات التاريخية المرتبطة بعلم المصريات فمردّه على الأغلب اقتراحات الباحثين، ثم النّسج على هذه الاقتراحات وتحويلها إلى «حقائق تاريخية»، دون الالتفات إلى أنها كانت في الأصل مجرّد تصورات لمعالجة مسألة عالقة أو لتطوير مرحلة ما من مراحل تحليل النقوش وتقصّي دلالاتها.

[1] ربو ◄ [3] لبو
◄ [5] ليبو(س) ◄ [6] ليبيا
[2] عريبي ◄ [4] أليبي

1: مصري هيروغليفي، 2: آشوري، 3 فينيقي، 4: مصري ديموطيقي، 5: إغريقي، 6: إغريقي-لاتيني

E.H. Rbw ► Phn. Lbw
► Grc. Libues ► Grc.+Lat. Libya
Assy. ʿAribi ► E.D. ʾAlibi

E.H. = Egyptian Hieroglyphic, E.D. = Egyptian demotic, Assy. = Assyrian,
Phn. = Phoenician, Grc. = Ancient Greek, Lat. = Latin

ش. 15: الأطوار اللغوية في اسم ليبيا وانتقاله من المصرية إلى اللاتينية وتماثل الآشورية عريبي مع المصرية أليبي، والمصرية ربو مع الفينيقية لبو.

هذه الجغرافيا المرنة

ليبيا في كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق كيانٌ متصوَّر بنوع من إحداثيات «الجغرافيا المرنة»، قبل أن يستقر تدرّجاً في استخدام المؤرخين والجغرافيين الرومان. يمكننا أن نتحدث بدلالة التواصل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي عن الجزء الشرقي من ليبيا القديمة وهو

يتلاشى تدريجياً حتى يصل إلى نهر النيل دون حدود واضحة، وقد استمر أثر هذه الجغرافيا المرنة حتى منتصف الألف الرابع ق.م. يقول سليم حسن عن ذلك: «لم يكن بين مصر وغربيها أي حدود، بل كانت ضمن دائرة ثقافية تشمل جزءاً من شمال الصحراء وشرقيها، ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تطوَّر موقف مصر بالنسبة إلى جيرانها من أساسه؛ إذ اختفت الحدود بينها وبين الشرق (آسيا). وأغلقت الحدود بينها وبين البلاد الغربية، ومن ثم ابتدأ عصر انفصال مصر عن الأمم الغربية المجاورة لها، وكذلك ابتدأ عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافاً للعصر السابق لهذا التاريخ الذي كانت تُعد فيه الثقافة المصرية جزءاً من الثقافة الأفريقية أو نوعاً منها، ومن ثم أخذت العلاقات بينها وبين الغرب تتغير من أساسها، فأصبح منذ ذلك العهد أقوام غرب النيل يُعدُّون أعداء مصر المتوحشين... أما الروابط الثقافية مع أقوام الغرب فقد أخذ نفوذها يقل منذ تلك الفترة، ومن ثم أصبح نمو مصر وتقدمها يأخذ مجرًى مختلفاً تمام الاختلاف عن الثقافة الليبية».[1]

لقد انتهت مراحل التدافع الحضاري والاجتماعي بين الطرفين بانصهار القبائل الليبية التي وُجدت في الدلتا أو على أطراف النيل في المجتمع المصري تماماً، غير إننا لا نستطيع بالطبع أن نتحدث عن كيان اسمه «ليبيا» حتى بعد ذلك، بل عن قبائل متفرقة تعيش على أطراف الحضارة المصرية التي كانت مركزاً أفريقياً قارّاً يميّزه انتظام تسلسل الأسرات، ومنظومته السياسية والدينية والاقتصادية، دون أن تتحد تلك القبائل وتنشئ منظومتها الخاصة إلا على نحو جزئي إقليمي، ويعود سبب ذلك إلى التنوع العرقي الذي شهدته ليبيا القديمة، فضلاً عن عدم ظهور دولة

---

1. سليم حسن، م. س. ص. 19.

مركزية تجمع شتات القبائل والمجموعات الإثنية المتفرقة، ومن الواضح أن الإغريق فيما بعد لم يكونوا مهتمين بغير استيطان وتطوير الجزء الشرقي الذي استطاعوا بسط سيطرتهم عليه دون التفكير في التوغّل جنوباً أو غرباً، كما إن الفينيقيين إلى الغرب من ذلك (قبل أن تصبح قرطاج سلطةً مركزية) لم يكن يعنيهم غالباً سوى توطيد وجودهم بشكل سلمي حفاظاً على استثماراتهم وتبادلاتهم التجارية وتطوير مدنهم وأسواقهم المتوسطية.

لقد جعل هيرودوت اسم ليبيا، كما أشرت سابقاً، دالًّا على قارة من قارات العالم الثلاث: ليبيا، أوروبا، آسيا. ثم خُصّصت للدلالة على شمال أفريقيا، أما البحارة الكريتيون والإيجيون فكانوا يطلقون على سكان سواحل شمال أفريقيا اسم ليبو (ليبوس) Libus، واستخدمت الكلمة أيضاً للتعبير عن الجزء الذي استوطنه الإغريق من أفريقيا في القرن السابع ق.م. (قورينا وما حولها - غرب وادي النيل). ونعثر في وثائق البردي والمصادر الكلاسيكية على اسم ليبيا بوصفه إقليماً مصرياً يمتد من غرب وادي النيل حتى قورينا Cyrenaica، ففي البردية المعروفة باسم پتري Petrie Papyri نجد أن غرب النيل أصبح في العصر البطلمي يدعى «إقليم ليبيا» وعُيّن له حاكم بصفة ليبارخيس Libyarchs - Λιβαρχης ، أو الحاكم الليبي، أي حاكم مصر الغربية، وكان مشرفاً على الجباية ويتبع المسؤول عن الخزانة والموارد في الاسكندرية[1]، وهو منصب يماثل تعيين حاكم على إقليم شرق النيل، بصفة أراباخيس Αραβαρχης، أو الحاكم العربي، أي حاكم مصر الشرقية، أو إقليم العرب. إلا أن دلالة ليبارخيس كما هو واضح لا تتجاوز قورينا غرباً.

1. Mahaffy, 1859 , 181

أما سترابون فوصف ليبيا بأنها «تشبه جلد الفهد، إذ إنها منقّطة بمواطن مأهولة محاطة بأرض صحراء لا ماء فيها... وبها خواص أخرى تجعل لها تقسيماً ثلاثياً. أولاً: إن معظم ساحلها المواجه لنا خصب للغاية، وبخاصة قورينا والبلاد حول قرطاج حتى ماوروسيا وأعمدة هرقل. ثانياً: إن ساحلها الواقع على المحيط ينتج من مقومات الحياة شيئاً وسطاً. وثالثاً: إن المنطقة الداخلية التي تنبت السلفيوم تنتج من الغذاء النزر القليل، حيث أنها في الجزء الأكبر منها صخرية وصحراء رملية».[1] وتحدث سترابون عن إقليم ليبيا في مصر، وجعله يشمل الدلتا والمناطق المحيطة بها غرباً وجنوباً، يقول إن المرء إذا أبحر باتجاه الجنوب «تسمّى الأجزاء التي عن يمينه ليبيا، كما تسمّى كذلك الأجزاء حول الإسكندرية وبحيرة مريوط. وعلى هذا فإن هليوبوليس تقع في بلاد العرب، لكن مدينة كيركيسورا الواقعة قرب مراصد ايودوكسوس Euboxus، تقع في ليبيا».[2] ولأن هذا الإقليم يشمل بحيرة مريوط فإنه، بالنسبة إلى سترابون، يمتد غرب الاسكندرية حتى مدينة الحمام الحالية (محافظة مطروح). ويذكر بليني الأكبر أن المنطقة التي تقع شرق مقاطعة قورينا تدعى ليبيا ماريوتس، أي ليبيا مريوط Libya Mareotis، ويقول: «هي تحدّ مصر ويشغلها المرمريديّون والأدرماخيد، وبعدهم المريوطيّون Mareotae».[3]

مع الرومان ترسّخ الاسم ونُزعت عنه أطيافه الأسطورية. فالشاعر فرجيل استخدم في ملحمته (إنياذة) تعبير أرض ليبيّة وكلمة ليبيا بمعنى شمال أفريقيا، ثم تقلّصت حدود ليبيا لاحقاً لتعني قورينا ومنطقة نفوذها،

---

1. سترابون، 2 : 5 : 33.

2 . سترابون، 17: 30.

3. بليني، 5 :6.

بينما كان الرومان يسمون السكان الذين يعيشون غرب قورينا باسم أفري، ويسمون بلادهم: أفريقيا، وربما كان الأصل في هذه الكلمة اسم قبيلة أفري التي كانت تعيش آنذاك جنوب تونس الحالية. ومنذ القرن الأول الميلادي عاد اسم ليبيا عند الرومان ليعني قارة أفريقيا، إلا أن التمييز بين القارة وشمالها أصبح واضحاً لديهم، وأصبح العالم منذ أن كتب المؤرخ سالوست كتابه «الحروب اليوغرطية» مقسماً إلى ثلاث قارات هي: أفريقيا، أوروبا، آسيا. ولم يعد لكلمة ليبيا دلالتها القارّية الأولى.

في نهاية القرن الميلادي الثالث وضع ديوكليزيان Dioclezian مخطّطاً جعل فيه ليبيا العليا Libya Superior إقليماً يضم المنطقة الواقعة من سرت غرباً إلى خليج بمبة شرقاً، وليبيا السفلى Libya Inferior إقليماً يضم المنطقة الواقعة من واحة أوجلة غرباً إلى واحة سيوة شرقاً، بينما كونت الأقاليم التي تشمل الآن طرابلس وتونس والجزائر وحدة إدارية واحدة.

في القرن السادس الميلادي أورد كوريبوس في كتابه «الحروب الليبية» اسم ليبيا ويعني به شمال أفريقيا، أو غرب وادي النيل، إلا أنه يستعمله أيضاً بالمعنى القديم نفسه أي القارّة، ولكن الاسم حافظ لزمن طويل على دلالة رئيسة هي شمال أفريقيا غرب مصر.

من هذا التراصّ الدلالي ظهر اسم ليبيا بصيغته الأخرى وهي لوبية، لدى المؤرخين العرب، مثل ابن عبد الحكم وخرداذبة بمعنى كورة من كور غرب مصر، وأحياناً بدلالة مشوّشة، لكنهم يتفقون جميعاً على أن لوبية تقع غرب وادي النيل، وهم بذلك يستعيدون خريطة ديوكليزيان المذكورة بشكل أو بآخر.

مراجع

- آرموار، روبرت؛ **آلهة مصر القديمة وأساطيرها**، ترجمة: مروة الفقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

- بدج، والاس؛ **آلهة المصريين**، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- بكير، عبدالمحسن؛ **قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.

- حسن، سليم؛ **مصر القديمة**، (الجزءان 1، 9) ، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1952.

- خشيم، علي فهمي؛ **آلهة مصر العربية**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا؛ دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1990.

سترابون، **وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية**، نقله عن الإغريقية محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، 2006.

السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم؛ **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، مكتبة الملك فهد، 2003.

- السيد، عبدالمنعم عبدالحليم؛ **حول العلاقات بين مصر وجنوب الجزيرة العربية في العصر الفرعوني**، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، 1994.

- شامو، فرنسوا؛ **الإغريق في برقة: الأسطورة والتاريخ**، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990.

- العروي، عبدالله؛ **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.

- غاردنر، ألن؛ **مصر الفراعنة**، ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

- كمال الدين، حازم علي؛ **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية**، مراجعة

وتقديم: رمضان عبدالتواب، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.

- المحجوب، عبدالمنعم؛ **ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية**، دار تانيت، طرابلس-تونس، 2008.

- ____ ؛ **المعجم السومري**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.

- ____ ؛ **ليبيا القديمة**، دار الاتحاد، تونس، 2014.

- الميار، عبدالحفيظ؛ **دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا**، منشورات جامعة الفاتح، 2005.

- هيرودوت؛ **الكتاب السكيثي أو الكتاب الليبي**، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003.

- Barnett, R.D.; *The Sea Peoples*. in The Cambridge Ancient History, Vol. II, Ch. XXVIII, Cambridge, 1975

- Bates, Oric. *The eastern Libyans: an essay*. London, 1914.

- Blackman, A.M.; *The Stela of Shoshenk, Great Chief of the Meshwesh.* Egyptian Archaeology Journal, Vol. 27. The Egypt Exploration Society, 1942.

- Breasted, James Henry; *Ancient Records of Egypt*, Historical documents, Parts I, IV, University of Chicago press, 1906.

- Brinkman, John A. Miguel Civil, Ignage J. Gelb and others; *The Assyrian Dictionary*. The Oriental Institute, Chicago, Illinois, 1992.

- Brugsch, Henry; *History of Egypt under the Pharaohs Derived Entirely from the Monuments to which is added a Discourse on the Exodus of the Israelites*, II. Trans. and ED. by Philip Smith, 2nd ED., London, John Murkay, 1881

- Budge, E. A. Wallis; *An Egyptian Hieroglyphic Dictionary*, John Murray, Lodon, 1920.

- Clayton, Peter A.; *Chronicle of the Pharaohs*, Thames & Hudson, London, 1994.

- Cooney, William; *Egypt's encounter with the West: Race, Culture and Identity*, Durham University, (etheses.dur.ac.uk/910), 2011.

- Cooper, J.C. *An Illustrated Encyclopaedia of Traditional Symbols*, Thames and Hudson Ltd, 2012.

- Courville, D.; *The Exodus Problem and its Ramifications*, Vol. 1, Crest Challenge Books, Loma Linda, California, 1971.

- Edel, Elmar; *Neue Deutungen Keilschrift Licher Umschreibungen Ägyptischer Wörter und Personennamen*, Österreischten Akademie der Wissenschafen, Wien, 1980.

- Faulkner, Raymond O.; *A Concise Dictionary of Middle Egyptian*. Griffith Institute, Oxford 1962.

- Gardiner, Alan; *Egypt of the Pharaohs*, The Clarendon Press, Oxford, 1961.

- _____; *Egyptian Grammar*, Griffith Institute, Oxford, 1966.

- Giveon, Raphael; *Les Bédouins Shosou des documents égyptiens*. Leiden, Brill, 1971.

- James, Peter; Peter G. van der Veen and Robert M. Porter, *Solomon and Shishak: Current Perspectives from Archaeology, Epigraphy, History and Chronology*: Proceedings of the Third BICANE Colloquium held at Sidney Sussex College, Cambridge 26-27 March 2011.

- James, Peter, et al.; *Centuries of darkness: a challenge to the conventional chronology of Old World archaeology*. Rutgers University Press, New Brunswick, 1993.

- Krahmalkov, Charles R.; *Phoenician Punic Dictionary*, Sudia Phoenicia xv, Uitgeverij Peeters en Department Oosterse Studies Leuven, 2000.

- Kitchen, Kenneth A.; *The Third Intermediate Period in Egypt (1100–650 B.C.)*. 2nd ed. Warminster: Aris & Phillips, 1986.

- Kramer, Samuel Noah; *The Sumerians: Their History, Culture, and Character*. Chicago: The University of Chicago Press, 1963.

- Möller, Georg; Eegyptisch–libysches, *OLZ*, no. 9/10, Sept. 1921.

- Naville, Édouard. Figurines Égyptiennes de l'Époque archaïque II, *Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes*, 22, 1900.

- Neveu, François; *The Language of Ramesses: Late Egyptian Grammar*. Trans. Maria Cannata. Oxbow Books, Oxford & Philadelphia, 2015.

- O'Connor, David; *The nature of Tjemhu (Libyan) society in the later New Kingdom*. In: A.Leahy, Libya and Egypt, 29-113. London: SOAS centre of Near and Middle Eastern Studies and the Society for Libyan Studies, 1990.

- Olmo Letc, Grcgorio del; Joaquín Sanmartín; *A dictionary of the Ugaritic*

language. Trans. Wilfred G.E. Watson. Leiden, Boston, Brill, 2003

- Oppert, Jules; *Les Inscriptions en langue susienne, Essai d'interprétation*. Mémoires du Congrès international des Orientalistes.1re Session, Paris, Vol. II, 1873, Revue Orientale et Américaine 1876.

- Petrie, Flinders; *A History of Egypt III*, London, Methuen, 1905

- _____; The Queenly Title, XXIInd Dynasty, in *Ancient Egypt*, Part 2, 1916.

- Renouf, Peter Le Page; Who Were the Libyans? in *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology* (*PSBA*), no. ci, June, 1891.

- Ritner, Robert K.; *The Libyan Anarchy: Inscriptions from Egypt's third Intermediate Period*. Ed. Edward Wente, Society of Biblical Literature, Atlanta, 2009.

- Spiegelberg, Wilhelm; *Der Sagenkreis des Königs Petubastis*, J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung, Leipzig, 1910.

- _____; *Demotische Texte auf Krügen Herausgegeben und Erklärt*, J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung, Leipzig, 1912.

- Stern, Ludwig. *Die XXII manethonische Dynastie*. Zeitschrift für Ägyptische Sprache Altertumskunde (ZÄS) 21, Leipzig, 1883.

- Tallqvist, Knut L. *Assyrian Personal Names. Acta Societatis Scientiarum Fennicae*, Tom. XLIII, No. 1. Helsingfors, 1914.

- Tomback, Richard S.; *A Comparative Semitic Lexicon of thr Phoenician and Punic Languages*. The Society of Biblical Literature Series, no. 32; Scholars Press, Missoula, Motntana. 1978.

- Wainright, G. A.; *The Meshwesh*, The Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 48, 1962.